محمد جواد مغنية

الشيعة والحاكمون



دار الجواد

دار ومكتبة الهلال

على صراط الحق

الشيعة والحاكمون

الشيعة والحاكمون

تأليف

محمد جواد مغنية

دار ومكتبة الهلال
بيروت - لبنان

دار الجواد
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

الطبعة الأخيرة

٢٠٠٠ ـ ميلادية

١٤٢١ هجرية

دار ومكتبة الهلال

بيروت ـ لبنان

ص . ب . ١٥/٥٠٠٣

دار الجواد

بيروت ـ لبنان

ص . ب . ١٤/٥٨١٣

تلفون : ٣٠٠٧٤٨

كلمـة النـاشر

الاقبال الذي لاقاه هذا الكتاب في الأوساط الأدبية والعلمية والدينية دفعنا الى اعادة طبعه رغم الطبعات الكثيرة التي طبعت ، وقد أجرينا التصحيحات اللازمة لتلافي الأخطاء المطبعية الكثيرة التي وردت في الطبعات السابقة ، انسجاما مع واقعنا العلمي والأدبي وما نهدف اليه من خدمة القارىء الكريم ٠

والله نسأل أن يسـدد الخطى ويطيب المسعى وهو وحده القصد والغاية ٠

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

•

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وآله الطاهرين .
وبعد :

فان الحاكم ـ أي حاكم ـ يستحيل عليه ان يسوس الناس بالحق والعدل مهما كانت مواهبه وكفاءاته الا اذا استفتى المحكومين في جميع تصرفاته وعمل بالتعاون معهم على تحقيق رغباتهم ومصالحهم ، او كان عالماً بكل ما يصلح الناس من امور الدين والدنيا ، عاملا بعلمه قد نصب نفسه لله وللخير ، او قل اذا توافرت فيه جميع الشروط التي اعتبرها الشيعة الامامية بإمام الدين والدنيا ، بحيث يخرج عن كونه فرداً كسائر الناس ويصير ، وكأنه المبدأ الاسمى متمثلاً في شخصه ، او ظل الله في ارضه على حد تعبير الامامية انفسهم ، وعندها يكون الراد عليه راداً على الله بالذات .

واذا لم يكن لا هذا ولا ذاك ، عمّ الظلم ، وانتشر الفساد ، وتكررت الحوادث المفجعة ، كنتيجة طبيعية لاخضاع الناس بالقوة . وان قول الامامية ـ كفكرة ـ صحيح الى ابعد الحدود ، كما ان تطبيقه الآن غاية في الصعوبة الى ابعد الحدود ، فلم يبق الا الحاكم برضا الناس واختيارهم . وفي ضوء هذه

الحقيقة نستطيع ان نفسر ما حدث ويحدث من الاصطدام والصراع بين الحاكين، نفسره باستبداد الحاكم برأيه، وحصر جميع السلطات في يده.

وقد يتساءل: اذا كان الاستبداد، وحصر السلطة في فرد او افراد يستدعي بطبيعته انتشار المظالم والمآثم فما معنى تخصيص الشيعة في هـذا الكتاب ما دام المستبد يحكم الرعيـة بجميع طوائفها وفئاتهـا. وما دام استبـداده يعم الكل بدون استثناء ؟!

الجواب:

ان الشيعة يشترطون في الحاكم الذي يجمع بين السلطتين الدينية والزمنية ان يكون معصوماً من الخطأ والزلل في علمه وعمله، او من يرتضيه المعصوم لكفاءته العلمية والخلقية الجامعة المانعة، ومتى فقدت هذه الكفاءة فلا يحق ان يحكم باسم الله والدين، وله ان يحكم باسم الناس اذا كان محلاً لثقتهم محققاً لامنيتهم، هذا ما تعتقده الشيعة الامامية، اما اهـل المذاهب الاخر فانهم لم يشترطوا شيئاً من ذلـك، بل اكثرهم يحرم الخروج على الحاكم الفاجر الجـائر وان حكم باسم الدين، وتكلمنا عن ذلك بشيء من التفصيل في بعض فصول الكتـاب بعنوان (طاعة الحاكم الجائر).

وكان الحاكمون من قبل يحكمون باسم الدين، وكانوا دائماً يصطدمون بعقيدة التشيع التي تعتبر الحاكم بامر الله غاصباً كاذباً اذا لم يجمع الشروط، وكان الحاكم الفاقد للشروط يحاول حل هذه المشكلة بالضغط والارهاب، بل وبارادة القمع والابادة، فتزداد المشكلة تعقيداً، حيث يزداد الشيعة انتشاراً وايمـاناً وتمسكاً بمبدأهم وعقيدتهم.

ومن اجل انهم الحزب المعارض بموجب عقيدتهم كان موقف الحاكين من الشيعة اشد واقسى منه مع غيرهم، وهذا الكتاب يكشف عن هذا الموقف الاثيم المشين الذي اضعف الاسلام والمسلمين، وترك لهم من الضغائن والاحقـاد ما

يتوارثونهم جيلاً بعد جيل ، انه يصور مظالم (المستبد الفاسد) الذي تأمر بلا شورى ، وتآمر وتنمر على كل من لا يقره على الاثم والفساد والعدوان .

وفي الوقت نفسه يصور الكتاب ثبات اهل الحق عليه ، وتمسكهم به ، وتضحيتهم بالارواح والاطفال من اجله ، كما يكشف الكتاب عن الانفجار الذي زعزع اركان الظالمين ، واودى بعروشهم ، وقضى عليهم الواحد تلو الآخر .

وقد اهتم الشيعة اهتماماً بالغاً بأوصاف الحاكم الديني ، والشروط التي اعتبروها اساساً لحكمه ، فدونوها في كتب الفقه والعقائد ، وألقوها على الطلاب في المعاهد ، وعلى المؤمنين في المعابد ، وعلى الناس اجمعين في المجالس والاندية العامة والخاصة ، وحكموا بقول قاطع على كل حاكم باسم الدين انه عدو الله ورسله وملائكته اذا فقد شرطاً واحداً من الشروط التي لا بد منها فيمن يتولى منصباً من المناصب الإلهية ، ولم يفرقوا في حكمهم هذا بين السني والشيعي : بل الحجة على الشيعي اقوى وأبلغ ، لانه خالف ما يدين ويعتقد ، بل لم يكتف الشيعة بشرط العلم والعدل، حيث اضافوا اليها عدم جواز تقويم الفاضل على الافضل[1] فمن تصدى للحاكم ، وفي الناس من هو خير منه فقد افترى وتجاوز الحد .

فدولة الفاطميين والبويهيين والحمدانيين والايرانيين كلها زمنية في عقيدة الشيعة لا تمت الى الدين بصلة ، تماماً كدولة الامويين والعباسيين من هذه الجهة ، نقول هذا مع العلم بأن الشيعة لا يرون أي بأس من الناحية الدينية بقيام أية دولة زمنية في هذا العصر ، والعصور السابقة اذا حكمت برضا الناس واختيارهم ، وأدت واجبها كدولة صالحة تحفظ الامن والنظام ، وتصون لكل ذي حق حقه ،

(١) اتفق الامامية على ان « المفضول لا يجوز تقديمه على الفاضل » واستدلوا بقوله تعالى « افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون - ٣٥ يونس » وقد جرت عليهم هذه القاعدة الويلات والنكبات .

وتحصن الحدود من الاعتـــداء ، على شريطة ان لا تتعرض للاديان من قريب او بعيد[1] .

ثم ان مرادنا من « الحاكمون » في تسمية الكتاب كل حاكم ظالم، لا خصوص الحاكم السني كما قد يتوهم ، وما حدث من مظالم الحكام السنيين على الشيعة انما كان بدافع سياسي لا ديني .

وبالتالي ، فان غرضنا من هــذا الكتاب ان يتجه بالقــارىء الى الصمود والثبات على مبدأه ، وما يوجبه اليه الضمير الانساني لا يتزحزح عنه بحال ، حتى ولو دفع ثمن هذا الصمود والثبات رأسه ، او ما هو أعز وأغلى ، فان انتهى الى هذه الغاية فهي المنى ، وإلا اتهمت نفسي بالتقصير . وقبل ان اترك القلم أود ان اشير باختصار الى ان استقرائي للتاريخ قد كشف لي عن حقيقتين : الاولى ان الاسلام لولا الحكام الطغاة لعمّ الكرة الارضية ولما وجد عليها انسان غير مسلم. الثانية ان طبيعة الحكام تتغير وتتبدل عما كانت عليه من قبل الحكم ، وان ذاتهم تنقلب رأساً على عقب بعد الحكم إلا من عصم الله ، وهم اقل من القليل ، وهو سبحانه المسؤول ان يوفقنا لصالح الاعمــال ، بمحمد وآله صلوات الله عليه وعليهم .

---

(١) ويدل على هذا قول الامام في نهج البلاغة حين بويع عثمان . « والله لأسالمن ما سلمت امور المسلمين ، ولم يكن فيها جور الا علي خاصة » .

اختلاف المسلمين

•

في عهد الرسول :

كان المسلمون في عهد رسول الله (ص) كلمة واحدة لا فرق ولا مذاهب ، لانه المصدر الوحيد لمعرفة الدين والوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فاذا ما عرضت مسألة من مسائل الشريعة كان قوله الفارق والفصل ، لا قول معه لقائل ، ولا اعتراض لسائل : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ـ ٥٨ النساء » . اذن لا مجال لتعدد الاقوال، وتضارب الآراء فيا جاء عن الله ورسوله ما دام الرسول حياً ، والوصول اليه ممكناً .

بعد الرسول :

وبعد ان انتقل النبي الكريم الى خالقه ، تقدست اسماؤه، ظل المسلمون على وحدتهم واتفاق كلمتهم على وحدانية الله ، وان محمداً رسول الله ، وأن القرآن من عند الله ، وان البعث حق ، والحساب حق ، والجنة والنـــار حق ، كما انهم لم يختلفوا في شيء ثبت حكمه بضرورة الدين، وواظب الرسول على عمله، كوجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم ، وما الى ذلك .

واختلفوا فيا عدا ذلك مما هو محل النظر والاجتهاد ، سواء أكان من شؤون

الاصول والعقائد ؛ ام من شؤون الفقه والتشريع ، ولكنه خلاف لا يمس اساس الاسلام في شيء ، ولا يخرج المتخاصمين من الدين ، فلم يختلفوا في وجود الله ووحدانيته بل في صفاته ، وانها عين الذات او غيرها ، ولا في رسالة محمد ؛ بل في عصمته قبل البعثة وبعدها ، او بعد البعثة فقط ، ولا في صدق القرآن ، بل في انه مخلوق او قديم ، ولا في اصل البعث ، بل في انه جسماني او روحاني ، ولا في وجوب الصلاة ، بل في ان الصورة جزء منها او ليست بجزء . ومن هنا كانوا جميعاً على اختلافهم هذا مسلمين ومن امة محمد (ص) .

أهم الفرق :

لقد اختلف المسلمون بعد نبيهم في بعض الاصول الدينية التي ترجع الى ايمان القلب ويقينه ، واختلفوا ايضاً في كثير من مسائل الفروع والتشريع التي تعود الى حكم العمل من الوجوب والتحريم او الجواز . وانقسام المسلمين الى فرق كالأشاعرة والمعتزلة – مثلاً – جاء على اساس اختلافهم في العقائد والاصول ، التي هي شأن الايمان والاعتقاد ، لا على اساس الاختلاف في الفروع والتشريع الذي هو من شأن العمل والفعل ، فالمذاهب الاربعة : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي مذاهب فقهية تختلف في الفروع، وتتفق على الاخذ في اصول الاشاعرة كما ان علماء الشيعة مع اتفاقهم على الاصول يختلفون في كثير من مسائل الفقه ،

والفرق الاسلامية كثيرة انهاها بعضهم الى ثلاث وسبعون فرقة ، كي يتفق العدد مع الحديث المروي عن الرسول: افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة » ومهما يكن فان اهم الفرق اربعة ، وغيرها يتفرع عنها ، او قريب منها .

« الشيعة » يفترقون عن غيرهم في القول : ان الامام يتعين بالنص من النبي،

ولا يجوز لنبي اغفال النص على خليفته ، وتفويض الامر الى اختيار الامة ، وان يكون الامام معصوماً عن الكبائر والصغائر ، وان النبي قد نص بالخلافة على علي بن ابي طالب دون سواه ، وانه افضل الاصحاب على الاطلاق [1] .

« الخوارج » والمبادىء التي تجمعهم وتميزوا بها عن غيرهم ان الخليفة لا يجب ان يكون من قريش ، بل ولا من العرب ، فليست الخلافة لعربي دون اعجمي ، والناس فيها سواء ، وان مرتكب الكبير كافر ، بل اعتبروا الخطأ في الرأي والاجتهاد ذنباً اذا أدى الى مخالفة رأيهم ، ولذا كفروا علياً لقبوله التحكيم ، وان لم يقدم عليه مختاراً ؛ وبعض فرقهم كالازارقة يعتقدون ان كل من خالفهم مشرك مخلد في النار يجب قتله وقتاله .

« المعتزلة » والاصول التي تجمعهم ، واستحقوا بها اسم الاعتزال خمسة : (١) التوحيد ، اي ان الله واحد بذاته وصفاته ، فصفاته عين ذاته . (٢) العدل ، اي ان الانسان مخيَّر غير مسيَّر (٣) المنزلة بين المنزلتين ، اي ان مرتكب الكبيرة في منزلة بين المؤمن والكافر ، فلا هو بالمؤمن لانه لم يستكمل صفات الخير ، ولا هو بالكافر ، لانه يقر بالشهادتين ، وهو مخلد في النار ، اذ ليس في الآخرة إلا الجنة والنار ، ولكن تخفف النار عليه ، ويطلق عليه اسم المسلم (٤) الوعد والوعيد ، ان الله اذا وعد بالثواب على الخير فوعده واقع ، واذا توعد بالعقاب على الشر فوعيده ايضاً واقع لا محالة ، ولا يحق له ان يعفو عمن توعده (٥) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان بالعقل لا بالسمع .

---

(١) اثبت الشيعة النص على خلافة علي باحاديث شتى من طرق السنة ، ووضعوا في ذلك مؤلفات كثيرة ، منها « الشافي » للمرتضى ، « ودلائل الصدق » للمظفر ، و « المراجعات لشرف الدين » و « الغدير » للاميني ، وغيرها ؛ والجزء الاول والثالث والرابع من اعيان الشيعة للامين .

والاشاعرة ، خالفوا المعتزلة في الامور الخمسة ، وقالوا : ان صفات الله غير ذاته وزائدة عليها ، وان الانسان مسيَّر غير مخيَّر ، وان الله لا يجب عليه الوفاء لا بالوعد ولا بالوعيد ، وله ان يعاقب المحسن ، ويثيب المسيء ، اذ لا يجب عليه شيء ولا يقبح منه شيء ، وان مرتكب الكبيرة ليس في منزلة بين المؤمن والكافر وأنه لا يخلد في النـــار ، وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجبـــان بالسمع لا بالعقل .

والشيعة يتفقون مع المعتزلة في مسألتي التوحيد والعدل ، ويخالفونهم في الثلاثة الباقية ، ويقولون في مسألة مرتكب الكبيرة ، ومسألة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما تقول الاشاعرة ، وينفردون عن المعتزلة والاشاعرة معاً في مسألة الوعد والوعيد ، حيث ذهبوا الى ان الله سبحانه يفي بالوعد ، ولا يجب عليه الوفـــاء بالوعيـــد ، فله ان يعفو عن المذنب ، ولا يحق له بحكم العقل ان يخلف وعـــده مع المحسن .

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

التشيـــع :

ما معنى التشيـــع ؟ وما هو السبب في وجوده ؟ ومتى وجـــد ؟ وكيف نما وترعرع ؟

ومعنى الشيعة في اللغة الاتباع والانصار ، فشيعة الرجـــل هم انصاره الذين اتبعوا رأيه ، ومنه قوله تعـــالى : « وان من شيعته لابراهيم » ويطلق المؤرخون والفقهاء والمتكلمون لفظ الشيعة على الفرقة المعروفة بموالاتها لعلي ولابنـــائه دون غيرهم ، وقدمنا في الفقرة السابقة ان الشيعة هم الذين يعتقـــدون بوجوب النص من النبي على خليفته . وان محمداً (ص) قد نص على الامام علي

سبب التشيع :

قال الذين يتبعون الظن ، ويقيسون الغائب على الشاهد : ان السبب الاول للتشيع سياسي محض لا يمت الى الدين بسبب ، وهذا خطأ ، فان سبب التشيع ديني صرف ، ولا صلة له بالسياسة من قريب او بعيد ، انه فعل النبي وقوله .

اما الفعل فقد اختار النبي علياً اخاً له ونجياً ، وقام بتربيته وتنشئته منذ عهده بالحياة ، واهتم بتعليمه وتهذيبه ، حتى اصبح كما يشاء الرسول ، لم يؤاخذه او يعاتبه على شيء في حياته كلها ، وقد اعتمد عليه النبي في المهمات وساعة العسرة ، فبلغ عنه سورة براءة ، وندبه الى قتال عمرو بن ود ومرحب ، وباهل نصارى نجران به وبزوجته فاطمة ، وولده الحسن والحسين ، وارتقى على متنه لكسر الاصنام ، وانضوى واياه تحت كساء واحد ، الى غير ذلك من المناقب التي لا يبلغها الاحصاء ، والتي لو كانت منقبة واحدة منها لصحابي غير الامام لدقوا له الطبول ، ورفعوا له الاعلام ، وبلغوا به سدرة المنتهى .

اما القول فقد نص النبي عليه بمناسبات شتى ، اولها حين نزلت الآية : «وانذر عشيرتك الاقربين » حيث جمع من اهله ثلاثين رجلا فأكلوا وشربوا وقال لهم الرسول : هذا وارثي ووزيري ووصيي وخليفتي عليكم بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واخيرها حديث من كنت مولاه فعلي مولاه ، وبين هذين الحديثين صدرت احاديث كثيرة ، كحديث انت مني بمنزلة هارون من موسى ، وحديث علي مع الحق والحق مع علي ، وحديث الثقلين ، الى غير ذلك مما اثبته السنة في كتبهم . وقد جمع علماء الامامية هذه الاحاديث في كتب ومجلدات تعد بالعشرات ، وطبعت اكثر من مرة وهي في منال كل راغب ، وأيسرها تناولا ، واوضحها تعبيراً نقض الوشيعة والجزء الاول والثالث والرابع من اعيان الشيعة للامين وكتاب « المراجعات » لشرف الدين ، وكتاب « دلائل الصدق » للمظفر ، وفي هذين الكتابين وغيرهما الاحاديث التي أشرنا اليها برواتها الموثقين عند

اصحاب الحديث من السنة : واسماء الكتب التي دونت فيها من صحاح اهل السنة .

هذا ، وما رأيت احداً من علماء السنة يشكك في سند أحاديث الولاية والوصية لعلي من النبي ، ولكنهم تمحلوا وتأولوا الولاء بالحب والاخلاص لا بالحكم والسلطان ، والوصية بالعهد الى الامام بتجهيز النبي ودفنه ، وما الى ذلك من التكلف والتعسف الذي لا يشعر به اللفظ من قريب او بعيد ، وليس من شك إنه لو جاء حديث واحد منها في حق صحابي غير الامام لكتبوه بماء الذهب ، واكثروا حوله الحواشي والشروح .

لقد والى الشيعة علياً ، وقالوا بالنص عليه من الرسول ، وأوجبوا له العصمة والسبب في كل ذلك هو النبي دون سواه ، هو حديث « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » الذي رواه الطبري في تاريخه ص ١٧ ج ٣ ، وابن الاثير في كامله ص ٧٤ ج ٣ ، وحديث « علي مع الحق والحق » الذي ذكره ابن ابي الحديد والترمذي والحاكم[١].

على هذه الاحاديث وامثالها اعتمد الشيعة في ولائهم لعلي ، ولم يعتمدوا على الظن والتخمين ، ولا على العاطفة والتعصب ، ولا على التقليد والوراثة . اذن فسبب التشيع ديني لا سياسي ، وعلم لا اهواء .

بدء التشيع :

قال الشيخ محمد ابو زهرة في كتاب « المذاهب الاسلامية » ص ٥١ : « الشيعة أقدم المذاهب السياسية الاسلامية . وقد ظهروا بمذهبهم في آخر

(١) انظر دلائل الصدق للمظفر ج ٣ ص ٣٠٣ طبعة ١٩٥٣ .

عصر عثمان ، ونما وترعرع في خلافة علي ، اذ كلما اختلط بالناس ازداد اعجاباً بمواهبه ، وقوة دينه وعلمه » . وقال آخر : ان مذهب التشيع ظهر يوم وقعة الجمل ، وقال ثالث : بل يوم ظهور الخوارج . وقال طه حسين في كتاب « علي وبنوه » : ان فرقة الشيعة اصبحت حزباً سياسياً منظماً لعلي وبنيه في عهد الحسن بن علي .

والحقيقة ان تاريخ التشيع يقترن بتاريخ نص النبي على الامام بالخلافة ، وقد كان جماعه من الصحابة يرون ان علياً افضل اصحاب الرسول على الاطلاق ، ذكر ذلك ابن ابي الحديد ، وعد منهم عمار بن ياسر ، والمقداد بن الاسود ، وابا ذر ، وسلمان الفارسي ، وجابر بن عبدالله ، وابي بن كعب ، وحذيفة اليمان ، وبريدة ، وابا ايوب الانصاري ، وسهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ، وابا الهيثم بن التيهان ، وابا الطفيل ، وجميع بني هاشم .

وجاء في كتاب « تاريخ الشيعة » للشيخ محمد حسين المظفر ص ٩ . « قال محمد كرد علي في كتابه خطط الشام (٥ : ٢٥١ ـ ٢٥٦) عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول الله (ص) مثل سلمان الفارسي القائل : بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن طالب والموالاة له . ومثل ابي سعيد الخدري الذي يقول : امر الناس بخمس، فعملوا بأربع ، وتركوا واحدة، ولما سئل عن الاربع قال : الصلاة والزكاة والصوم والحج . قيل فما الواحدة التي تركوها ؟ قال : ولاية علي بن ابي طالب . قيل له : وانها لمفروضة معهن ؟! قال : نعم هي مفروضة معهن. ومثل ابي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة اليمان ، وذي الشهادتين ، وابي ايوب الانصاري ، وخالد بن سعيد ، وقيس بن سعد بن عبادة .. اما ما ذهب اليه بعض الكتاب من ان التشيع من بدعة عبدالله ابن سبأ فهو وهم ، وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم ، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة ، وبراءتهم منه ومن اقواله واعماله، وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف

يبهم علم مبلغ هذا القول من الصواب .. ان محمـد كرد علي ليس من الشيعة ، ولا من انصارهم غير انه رأى ان من الامانة ابداء هذه الحقيقة ، ناصعة دون ان يشوبها بغرض » .

واذا كان معنى التشيع هو الايمان بوجود النص من النبي على علي كما اسلفنا فمن الطبيعي ان يبتدىء تاريخ التشيع من حين النطق بهذا النص .

قعود الامام عن حقه :

وهنا سؤال يفرض نفسه : اذا كان الامام هو الخليفة بالنص الثابت ، فلماذا لم يطالب الامام بالخلافة حين تولاها ابو بكر بعد الرسول ؟!

وقد تردد هذا السؤال ، وتكرر منذ عهد الامام حتى اليوم ، بل سئل عن ذلك الامام بالذات، وفيما يلي ننقل ما اجاب به الامام، وما قاله بعض الباحثين، وما استنتجناه نحن من منطق الحوادث . واليك ملخص الاجوبة :

١ — قال الامام مجيباً عن هذا السؤال : والله ما منعني الجبن ، ولا كراهية الموت ، ولكن منعني عهد اخي رسول الله ، اذ قال : يا ابا الحسن ان الامة ستغدر بك ، وتنقض عهدي ، وانت مني بمنزلة هارون من موسى . فقلت : ماذا تعد إليّ يا رسول الله اذا كان ذلك ؟ فقال : ان وجدت اعواناً فبادر اليهم ، وجاهدهم ، وان لم تجد اعواناً فكف يدك ، واحقن دمك ، حتى تلحق بي مظلوماً . ثم قال : ان لي أسوة بسبعة انبياء : اولهم نوح ، اذ قال : « اني مغلوب فانتصر » والثاني ابراهيم الخليل ، حيث قال : « واعتزلكم وما تدعون من دون الله » والثالث ابن خالته لوط الذي قال لقومه : « لو كان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد » والرابع يوسف ، اذ قال : « رب السجن أحب إليّ مما يدعونني اليه » والخامس موسى حيث قال : « ففررت منكم لما خفتكم »

والسادس هارون الذي قال : « ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني » والسابع محمد لما هرب من المشركين الى الغار . وقال في الخطبة الشقيقة : فطفقت ارتإي بين ان أصول بيد جذاء ، او اصبر على ضحية عمياء ، فرأيت ان الصبر على هاتا احجى .

وقيل للامام الرضا (ع) : لِمَ لمْ يجاهد علي اعداءه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله ، ثم جاهد في ايام ولايته ؟ فقال : « لأنه اقتدى برسول الله في تركه جهاد المشركين بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة تسعة عشر شهراً ، وذلك لقلة اعوانه عليهم ، وكذلك ترك علي مجاهدة اعدائه لقلة اعوانه عليهم » .

ونحن اذا تتبعنا آي الذكر الحكيم وجدناها على نوعين: نوع يأمر النبي بالصبر على الاذى ، وتحمل ما يعانيه من المشركين ، كقوله تعالى : « فاصبر وما صبرك إلا بالله .. فاصبر على ما يقولون .. فاصبر كما صبر اولي العزم . فاصبر لحكم ربك » وغيرها كثير . ونوع يأمره بالقتال ، كقوله سبحانه : « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون .. قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف قلوب قوم مؤمنين .. فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق » الى غير ذلك .

خاطب الله نبيه بآيات الصبر حين لم يكن له أعوان ، ولا عدة لديه ولا عدد. وليس من شك ان الحكمة في مثل هذه الحال تستدعي الصبر والتريث ، لأن المقاومة مع الضعف تنتج عكس الغرض ، وتبعث العدو على التمرد والضراوة . وأمر الله نبيه باستعمال العنف يوم اصبح للنبي قوة تمكنه من القضاء على العنف وقطع دابر المفسدين .

وبهذا يتبين ان الصبر يحسن في بعض الحالات لا في جميعها ، كما نبين مكان

الخطأ في قول المستشرق المجري الأصل اليهودي الدين « اجناس جولد تسهير » في كتاب العقيـدة والشريعة ص ٢٦ طبعة ١٩٤٦ : « تحول محمـد من المتقشف المستسلم الصابر ــ وهو في مكة ــ الى رئيس الدولة المحارب ــ وهو في المدينة ــ وقوله في ص ٢٧ : « فمنذ تركه مكة تغير الزمن ولم يصر واجباً الاعراض عن المشركين » وقوله في ص ٣٠ و ٣١ ، فبعد ان تعلق محمد بالدار الآخرة انتقل الى الاماني الدنيوية . . وهذا ما طبع تاريخ الاسلام بطابع الدين الحربي المتناقض تناقضاً مطلقاً مع مرحلته الاولى » .

كلا ، ان رسالة محمد هي هي في جميع المراحل لا تناقض فيهـا ولا منافاة ، تأمر بالصبر حيث لا سبيل الى سواه ، ولا مجال للقضاء على الفساد ، وتنهي عنه حيث يمكن القضاء عليه ، تماماً كما لو اشتهيت نوعاً من الطعام ، وكنت عاجزاً عن ثمنه ، فيجمل بك الصبر عنـه والتحمل ، اما لو ملكت الثمن فالصبر شح وظلم ، وهكذا لم يحارب محمد في مكة لعدم الاعوان ، وحارب في المدينة لوجودهم .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

٢ ــ ان الناس كانوا قريبي العهـد بالاسلام ، وأكثرهم او الكثير منهم لم يتمكن الدين من نفوسهم ، ولم يسن للمسلمين بعدُ من القوة والمناعة ما يصمدون بها امام الهزات العنيفة بخاصة ان ثورات أهل الردة قد نشبت في انحاء الجزيرة ، وان النبي كان قد أعد حمـلة في مرض موته على الروم الذين كانوا يتحفزون هم والفرس للقضاء على الدولة الاسلاميـة الناشئة ، فلو ثار الامـام فيمن ثار على الخلافة ، والحال هذه ، لتشتت كلمة الاسلام والمسلمين ، وذهب ريحهم وسلطانهم ولما كان للاسلام تلـك العظمة والانتشار ، ولمـا رفرف علمه في مصر والعراق والشام وفارس في أمد قصير ، وما كان الامام ، وهو الناصح لدين الله ورسوله والذي جاهد وضحى بما ضحى من اجـله ان يكون السبب في هدمه وتقويض أركانه ، لذلك سكت الامام ، ولم يشهر السلاح ويعلن الكفاح ، تماماً كما لو كان

لك دين في ذمة زيد ، وامتنع عن ادائه ، وانت تعلم انك لو استعملت معه القوة والشدة لجرت الدماء أنهراً ، فتسكت رغبة في الوئام وحباً بالسلام .

٣ ــ ما أشار اليه الاستاذ العقاد في كتاب « فاطمة الزهراء » ص ٥٦ طبعة دار الهلال بقوله : « آمن علي بحقه في الخلافة ، ولكن أراده حقاً يطلبه النـاس ولا يسبقهم الى طلبه » .

وقول العقاد هذا غير بعيد عن زهد الامام القائل : « ان دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز » . وقد وصف بعض العارفين إعراض الامام عن الدنيـا بقوله : « الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح ، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمأ » .

٤ ــ قد كان بين المسلمين اعـداء كثيرون للامام من الذين قتـل آباءهم واخوانهم وأقرباءهم على الشرك ، فلو قام الامام بالسيف لتذرعوا كذباً ونفاقاً بأنه شق عصا المسلمين ، ولقاوموه متسترين باسم الدين ، وما كان الامام ليوجد لهم السبيل الى نفسه ، وهو القـائل : « ان امرءاً أمكن عدوه من نفسه يجز لحمـه ويفري جلده ، ويهشم عظمه ، ويسفك دمه ، وهو يقدر على منعه لعظيم وزره ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره » .

٥ ــ كان للامام حساد كما كان له أعداء . قيل للخليل بن احمد : ما بـال أصحاب رسول الله كأنهم بنوام واحدة ، وعلي بينهم كأنه ابن علة ؟ ــ ابنـاء العلات هم الاخوة من أب واحد . وامهات شتى ــ .

فقال : تقدمهم اسلاماً ، وبذهم شرفاً ، وفاقهم علماً ، ورجحهم حلـماً ، وكثرهم هدى فحسدوه ، والناس على أشكالهم وأمثالهم أميل.. وقيل لمسلمة بن نميل : كيف ترك الناس علياً ، وله في كل خير ضرس قاطع ؟ فقال : لأن ضوءه عيونهم يقصر عن نوره .

وقال الصحابي الجليل ابو الهيثم بن التيهان للامـــام « ان حسد قريش إياك على وجهين : اما خيـــارهم فتمنوا ان يكونوا مثلك منافسة في الملأ وارتفـاع الدرجة ، وأما شرارهم فحسدوا حسداً أثقل القلوب ، وأحبط الاعمال ، ذلك انهم رأوا عليك نعمة قدمها اليك الحظ ، وأخرهم عنها الحرمان ، فلم يرضوا ان يلحقوا حتى طلبوا ان يسبقوك ، فبعدت والله عليهم الغاية ، وقطعت المضمار ، فلما تقدمتهم بالسبق ، وعجزوا عن اللحاق بلغوا منك ما رأيت ، وكنت والله أحق قريش بشكر قريش ، نصرت نبيهم حيـاً ، وقضيت عنه الحقوق ميتاً ، والله ما بغيهم إلا على أنفسهم ، وما نكثوا الى بيعة الله ، يد الله فوق أيديهم ، ونحن معاشر الانصار أيدينا وألسنتنا معك ، فأيدينا على من شهد ، وألسنتنا على من غاب » .

واذا كان المسلمون ـ كما رأيت ـ بين عدو موتور ، وحاسد مقهور ، فبمن يحارب ؟! وعلى من يعتمد ؟! بخـاصة ان ابا بكر ومن معه أظهروا الشدة ، واستعملوا القوة في أخذ البيعة لأبي بكر . قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ص ٧٣ ج ١ : كان ابو بكر وعمر وابو عبيدة وجماعة من الاصحاب لا يمرون بأحد إلا خبطوه ، وقدموه فدوا يده فسحوها على يد ابي بكر يبايعه شاء ذلك او أبى ، وقال علي عبد الرزاق في كتاب « الاسلام واصول الحكم » :

« ان بيعة ابي بكر سياسية ملكية ، عليها طوابع الدولة المحدثة ، وانمـا انما قامت كما تقوم الحكومات على اساس القوة والسيف » . ولمـا تأكدوا من ان الامام لا يقاتل بحال خيروه بين القتال وبين المبايعة ، فبايع مكرهاً دفعاً لأخطر الضررين .

كيف نما التشيع ؟

ان جذور التشيع تمتد الى عهد الرسول ، اي ان جماعة من الاصحاب كانوا يرون علياً أحق بالخلافة من سواه – كما أسلفنا – وحين بويع ابو بكر امتنع علي ومن معه عن البيعة في بدء الامر ، ولكنهم التزموا السكينة والهدوء ، للمحافظة على الاسلام والصالح العام ، هذا الى انه ليس في سيرة الشيخين ابي بكر وعمر ما يبعث على النقمة والاستياء،ويدعو الى الثورة ، فلقد سلكا طريق الزهد ، وعملا على انتشار الاسلام ، ولم يؤثرا الاقارب والارحام ، كما فعل عثمان ، ومن جاء بعده من الامويين والعباسيين ، اذن بماذا يحتج لدى الجمهور من يعارض ويقاوم ؟ .

ان الذين يعارضون الحاكم في كل زمان ومكان لا يدخلون مع الحاكم في نزاع مكشوف من اجل الولاية والسلطان ، وانما يضفون على نزاعهم ثوب الاصلاح ، ورعاية حقوق الناس التي أضاعها الحاكم ، والشيخان لم يدعا منفذاً لأحد من هذه الجهة ، لذلك لم تظهر نزعة التشيع في عصرهما ، ولم ينتشر المبدأ كما ظهر وانتشر فيما بعد ، فلقد ظهر واضحاً جلياً في عصر عثمان الذي كثرت عليه المآخذ والمطاعن حتى أودت بحياته ، ثم اشتدت نزعة التشيع وانتشرت اكثر فأكثر لما اشتدت مظالم الحاكمين من الامويين والعباسيين وغيرهم ، وكلما أمعن حاكم في الجور كلما انتشر مذهب التشيع لأهل البيت ، والايمان بحقهم في الخلافة ، وجاهروا بهذا الحق ، وسنفصل ذلك في البحوث الآتية انشاء الله .

شروط الامام :

قدمنا أن التشيع هو الايمان بوجود النص من النبي على علي، وكان من نتيجة ذلك ان اتخذ الشيعة من صفات علي شروطاً أساسية للامامة يجب أن يتصف بها كل من يتولى الخلافة بعد الرسول ، وعلي لم يسجد لصنم قط ، ولم يشرك بالله

طرفة عين ، ولم تصدر عنه خطيئة في حياته كلها لا عمداً ولا سهواً ، فخليفة الرسول يجب ان يكون كذلك ، تماماً كالأنبياء في وجوب العصمة عن جميع الفواحش والقبائح من الصغر الى الموت . ومن أدلتهم ان الأئمة هم حفظة الشرع والقوامون به كالأنبياء ؛ فلو جازت عليهم المعصية انتفت الفوائد من وجودهم ، وان الله سبحانه قال : اني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » فقد دلت الآية ان عهد الله ، وهو الامامة ، لا يكون لمن ظلم وعصى الله في حياته ولو مرة واحدة .

وايضاً علي افضل الصحابة فيجب ان يكون الامام افضل من رعيته في جميع صفات الكمال والجلال ، لأن الأعلم الأتقى لا يجوز ان ينقاد لمن هو دونه علماً وتقى ، وبهذا جاء القرآن الكريم : « افمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع ام من لا يهدي إلا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون » .

وهذه الصفات التي يشترطها الشيعة في الامام لم تتوافر في واحد ممن تولى الخلافة غير الامام علي وولده الحسن بخاصة من جاء بعدهما ، فمن الطبيعي إذن ان لا يعترفوا بإمامة اي حاكم غير علي وابنائه [1] وان ينظروا اليه نظرهم الى من غصب اهل البيت حقهم الإلهي ، ودفعهم عن مقامهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها ؛ وكان الحاكم بدوره يرى في الشيعة العدو اللدود ، والحزب المعارض لحكمه ، حتى ولو التزموا السكوت والهدوء ما داموا يعتقدون بأن غيره أحق وأولى . فمبدأ التشيع لا ينفصل بحال عن معارضة الحاكم اذا لم تتوافر فيه الشروط ، وهي النص والحكمة والافضلية ، ومن هنا لاقى الشيعة من الحاكمين في كل دور صنوف الاضطهاد والتنكيل والحرمان. ومن هنا كانوا يمثلون الحزب المعارض ديناً وايماناً .

---

(١) يعتقد الامامية ان ائمة الحق هم علي واولاده من فاطمة ، وان كل امام نص على خلفه ، وبهذا ينتهي النص الى النبي الذي نص على وصيه وخليفته الاول .

طاعة الحاكم الجائر :

ذكر علماء السنة في كتب الفقه والعقائد هذه المسألة : « هل تجب طاعة الحاكم الفاسق الجائر او لا ؟ » .

قال ابن حنبل والشافعي ومالك : يجب الصبر عند جور الحاكم [1] . وجاء في آخر الجزء الثامن من كتاب المواقف وشرحه : « ان المرجئة قالوا : لا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعـــة ؛ وذهبت بعض فرقهم الى ان الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له ، والمحبة بالقلب ، فمن اجتمعت فيه هـــذه الصفات فهو مؤمن لا يضره ترك الطاعات وارتكاب المعاصي ولايعاقب عليها »

وزعموا ان الخروج على الحاكم المستخف بدين الله الجائر على عباد الله حرام مستدلين بأن في الخروج تفريقاً لكلمة المسلمين ، واستبدال الخوف بالأمن ، وبما رواه ابو بكر عن الرسول : « ستكون فتن القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ألا فاذا نزلت او وقعت ، فمن كان له ابـــل فليلحق بابله ، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كان له ارض فليلحق بارضه . فقال رجل: يا رسول الله من لم يكن له ابل ولا غنم ولا ارض ؟ قال : يعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر » .

وقد جاء هذا الحديث وما اليه ، وتلك الاقوال وامثالها كما يشاء الحاكمون الذين وجدوا قديماً وحديثاً فقهاء يفتونهم بما يريـــدون ، ويضعون الاحاديث ، ويفسرون القرآن بما يصون مصالح الظالم الغاشم . ونقل ابو زهرة في ص ١٥٨ من كتابه المذاهب الاسلامية عن الصحيحين البخاري ان رسول الله قال : « من ولى عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية ولا ينزعن

---

(١) الشيخ ابو زهرة كتاب المذاهب الإسلامية ص ١٥٥ المطبعة النموذجية .

بدأ من طاعة » . هذا الى ان الاشاعرة يقولون بأن الانسان مسيّر غير مخيّر وان جميع افعاله بقضاء الله وقدره .

اما علماء الامامية فقد جاءت اقوالهم واحاديثهم على العكس حيث اعتبروا الانسان مخيّراً غير مسيّر ، وحملوه مسؤولية اعماله وافعاله ، وعلى الرغم من ان الشيعة اعتبروا الخلافة حقاً إلهياً لعلي ولأولاده ، فقد تساهلوا الى اقصى الحدود مع الحاكم العادل ، وفضلوا غير المسلم اذا كان عادلا على المسلم اذا كان ظالماً . فقد اشتهر عن ابن طاوس انه قال : الكافر العادل خير من المسلم الجائر . وقال العلامة المجلسي في البحار : الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم . وقال الشريف الرضي :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من امية لبكيتك

وجاء عن الامام الصادق : « من ارضى سلطاناً جائراً بسخط الله خرج من دين الله » وقال الامام الباقر : « لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله » وقال الامام علي : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

وأفتى فقهاء الشيعة بأن اي عمل ، فيه معونة لظالم بجهة من الجهات فهو حرام ، وكبيرة من الكبائر ، وكان في عهد الرشيد رجل من الشيعة يدعى صفوان ، وكانت له جمال يكريها لهارون الرشيد حين يذهب الى مكة للحج ، فدخل يوماً على الامام موسى بن جعفر ، فقال له : « يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً . قال : جعلت فداك أي شيء ؟ قال : كراء جمالك من هارون . قال : والله ما أكريته اشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو ، ولكن أكريته لطريق مكة ، ولا اتولاه بنفسي ، ولكن ابعث معه غلماني . فقال : يا صفوان أيقع كراؤك عليهم ؟ قال : نعم جعلت فداك . قال : أتحب بقاؤهم حتى يخرج كراؤك ؟ قال : نعم . قال : فمن أحب بقاءهم فهو منهم ، ومن كان

منهم فهو في النار . فذهب صفوان ، وباع جماله عن آخرها ، فبلغ ذلك الرشيد، فدعاه ، وقال له : يا صفوان بلغني انك بعت جمالك . قال : نعم . قال : ولِمَ؟ قال : انا شيخ ، والغلمان لا يفون بالاعمال . قال : هيهات هيهات .. اني لأعلم من اشار عليك بذلك ، اشار عليك موسى بن جعفر . قال : ما لي ، ولموسى بن جعفر ؟ قال : دع عنك هذا ، والله لولا حسن صحبتك لقتلتك » .

وكتب المنصور الى الامام الصادق : لِمَ لا تغشانا كما يغشانا الناس ؟ فأجابه الامام : ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك به ، ولا انت في نعمة فنهنيك ، ولا في نقمة فنعزيك . فكتب اليه المنصور ثانية : تصحبنا لتنصحنا . فأجابه الامام : من اراد الدنيا لا ينصحك ، ومن اراد الآخرة لا يصحبك . فقال المنصور : والله لقد ميز عندي منازل الناس من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة لا الدنيا .

وأحاديث الامامية في هذا الباب لا يبلغها الاحصاء، وفيها نجد السر لابتعاد كبار العلماء ومراجع الدين في النجف عن السياسة ورجال الحكم ، فلقد توارثوا ذلك خلفاً عن سلف عن الائمة الاطهار .

قاطع المخلصون من علماء الامامية الحاكمين ، وأفتوا بتحريم العمل عندهم ، ولم يستثنوا الا ما فيه نفع للمؤمنين ، ودفع الحيف والظلم عن المظلومين ، ولم يكتفوا بذلك ، بل أفتوا بأشياء تتصل مباشرة بأعمال الحاكم ، فلقد اشترطوا العدالة في امام الجمعة والجماعة ، وكان الحاكم – في الغالب – يؤم الناس في الصلاة ، ولازم هذا الشرط ان صلاة المؤتمين به باطلة لا يتقبلها الله ، مع علمهم بفسق الامام وجوره ، هذا الى ان شرط العدالة يشعر بأن القيادة في كل شيء لا تصلح مع الأمانة والاخلاص . وأفتوا ايضاً بتحريم الغناء واستعمال آلات الطرب ، والصيد للهو ، وما الى ذلك مما كان يتعاطاه الحاكمون . وبهذا يتبين

ان مبدأ التشيع يلازم الثورة على الفساد والظلم ، فلا بدع اذا كان اضطهاد الشيعة من الشغل الشاغل لكل حاكم جائر .

الولاة وشيوخ السوء :

كان الولاة ينهبون الاموال ، ويستعبدون الاحرار ، ويملؤن السجون بالأبرياء ، ويعملون السيف في الرقاب ، وكانوا في الوقت نفسه يجدون من شيوخ السوء من يبرر اعمالهم ، ويخرجها على قواعد الدين واصول الشريعة ؛ فلقد وجد معاوية ابا هريرة ، وسمرة بن جندب يضعان الاحاديث الكاذبة على لسان الرسول في مدح معاوية ، والطعن على علي ؛ كما وجد ولده يزيد شيخاً يقول : ان الحسين قتل بسيف جده !.. وقال الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) : « تجب طاعة ملوك بني امية ، وان جاروا ، وان ظلموا .. والله لما يصلح بهم اكثر مما يفسدون » . وكان ملوك بني العباس أغنى الجميع بهذا النوع من الشيوخ .

ثار الشيعة أئمتهم وفقهاؤهم وأدباؤهم على حكام الجور ، ورفضوا التعاون معهم على الاثم ، لأن عقيدة التشيع ثورة بطبعها على الباطل ، وتضحية بالحياة من اجل الحق ، وليس بالمعقول ان يتجاهل الحاكمون هذه العقيدة فاضطهدوا الشيعة ، ونكلوا بهم ، وطاردوهم في كل مكان ، وساوموا شيوخ السوء ، وتم الاتفاق بين الفريقين على ان يقتل اولئك المؤمنين المخلصين لله ولرسوله واهل البيت ، ويبارك هؤلاء التقتيل ، ويخرجوه على اساس من الدين المزعوم .

وليس غريباً ان يبيع شيوخ السوء دينهم للشيطان ، وان يسطروا في كتبهم تكفير الشيعة ، ومروقهم من الشريعة ، فان اكثر اصحاب الصحف في العصر ، او الكثير منهم ، يقبضون وينشرون كما يشاء الاقطاع والاستعمار ، تماماً كما كتب شيوخ السوء للحاكمين من قبل ؛ ليس ذلك بغريب ، وانما غريبة الغرائب ان يثق كاتب بأقوال اولئك الشيوخ المأجورين ، ويعتمد عليها ، كأنها آي الذكر

الحكم .. ان الكثير من المصادر القديمة التي بين ايدينا بحاجة الى الدرس والتمحيص ، بخاصة التي تتعرض للفرق والمذاهب ، فلقد كان للقدماء غايات وأهواء ، كما لأصحاب هذه الصحف غايات وأهواء ، فما كان القدم في وقت من الاوقات سبباً للثقة بسند من الاسانيد ، او مرجحاً لبينة على اخرى ؛ فعلى الكاتب ان لا يتجاهل هذه الحقيقة اذا حاول ان يكتب عن طائفة من الطوائف عليه ان يعتمد على اقوالها بالذات ، والمصادر المعتبرة عندها .

الشيعة واحمد امين :

ظهر مما نقلناه من مذهب مالك والشافعي واحمد ، والحسن البصري والمرجئة ان جمهور السنة يوجبون طاعة الحاكم الجائر ، والصبر على جوره وظلمه ، ولا يجيزون الخروج عليه ، وان الشيعة يوجبون المعارضة والثورة على الفساد والظلم ، فمذهب الشيعة يخالف مذهب التسنن [1] في ذلك ، ويقف كل منهما موقف التضاد من الآخر ؛ فأكثر السنة يرون الخروج على الحاكم الجائر خروجاً على الدين والاسلام ؛ والشيعة يرون الخروج عليه من صميم الدين والاسلام ، والصبر على الجور خروجاً عنه ، وبهذا نجد السر الاول والتفسير الصحيح لقول احمد امين وغيره من السنة بأن (التشيع كان ملجأ لكل من أراد هدم الاسلام) لأن الاسلام في منطق احمد امين وأسلافه يتمثل في شخص الحاكم جائراً كان او عادلاً ، فكل من عارضه او ثار عليه فقد خرج على الاسلام . والجائر في منطق الشيعة هو الخارج على الاسلام وشريعته ؛ فمن ثار على هذا الحاكم فقد اخذ بالدين ، وعمل بالقرآن وسنة الرسول . وعلى هذا السبيل فلا نعجب اذا قال احمد امين ان الشيعة هدامون . أجل ، انهم هدامون ، ولكن للضلال والفساد .

---

(١) انظر المذاهب الاسلامية لابي زهرة ص ١٥٥ و ٢٩٩ .

وكتب الاستاذ جورج جرداق صفحات طوالاً في كتابه (علي والقومية العربية) بعنوان (مع الثائرين) نقتطف منها ما يلي :

(كان شيعة علي يمثلون المعارضة للحكومات الاموية والعباسية ، وهي حكومات ظالمة جائرة توجب على معارضيها ان يمشوا في طريق تعادي الظلم والجور، وبذلك اكتسب التشيع لعلي صفة الدفاع عن المضطهدين والمستضعفين. ولشيعة علي في تاريخنا مواقف ضد الظلم بأنواعه جميعاً ، هي الشرف كله ، وهي ارادة علي كلها .. اما موقفهم من الفساد فتنبيء عنه اجيال كثيرة من معارضة الحكومات الفاسدة ، والنظم الجائرة ، وسلسلة طويلة من حلقات النظام الدامي.

وكان الشيعة يفسرون الدين تفسيراً يخالف مصالح الطغاة ، ويلائم الشعب ، فاذا المضطهدون من العرب والموالي والمسلمين واهل الذمة يسيرون وراء زعماء الشيعة من ابناء علي .. وعلى هذا ايضاً كان الشيعة في تلك العصور اصحاب مذهب ثوري يفسح المجال امام المجتهدين للانتقال به من حال الى حال ، ويأبى الانكماش والجمود . وانسجمت ثورة هذا المذهب مع اماني المستضعفين والمضطهدين ، ومع تعاليم علي بن طالب ، فاذا بعلي عنوان هؤلاء المستضعفين .

وإن انت أحصيت الثائرين على المظالم في العهد الاموي والعباسي في الحجاز والعراق والشام وفارس وافريقيا وغيرها ألفيت علياً امامهم .. وإن انت أحصيت غايات هذه الثورات التي زلزلت الشرق قروناً طوالاً وقضت مضاجع الطغاة ألفيتها الغايات الاجتماعية التي من اجلها كافح علي، واليها دعا، وفي سبيلها استشهد . وهكذا التقى في حب علي بعصور الاضطهاد المسلم والمسيحي والعربي والموالي ، وكل من هاله ان يكون رزقه منهوباً وحقه مغصوباً .

كان علي هو العلم الذي التفت حوله الثائرون ، وكان دستور علي ابداً مع الثائرين ، وكان اسم علي يتردد على لسان كل مظلوم ، وحصناً يفزع اليه كل

ضعيف ؛ فما من طالب انصاف في هذا التاريخ إلا اسم علي ملاذه ، وما من غاضب على ظالم إلا اسم علي درعه ؛ وما من ساخط على رشوة او فساد او جور إلا له من علي حافز على الثورة فاذا اسمه يصبح مرادفاً للاصلاح الذي يريـده الناس في موطن الفساد ، وللخير الذي يتوقون اليه في معقل البغي . فالتشيع موئل يلوذ به كل مضطهد ومحروم ، وينضوي تحت لوائه كل ثائر في سبيـل الحق المهدور . لا ملجأ لكل من أراد هدم العروبة والاسلام ، كما زعم احمد امين » .

وبالتالي ، فان الذين هدموا الدين والاسلام هم الذين صرفوا الحق عن أهله، وأخرجوه من معدنه بيت الرسول الاعظم ، حتى طمع به الادعياء والطلقاء ، الذين ركبوا أم المؤمنين على الجمل وطافوا بها الفيافي والقفار ، والذين حرضوا على قتل عثمان ، ثم طالبوا بدمه، وأعلنوا الحرب على الوصي في البصرة والصفين والذين سموا الحسن وقتلوا الحسين ؛ ان هؤلاء وأشياعهم هم الذين هـدموا الاسلام والعروبة لا الشيعة اتباع الصادق الأمين واهل بيته الطيبين .

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

علي وقريش

•

خص الله نبيه وأهل بيته الكرام بقسم وافر من الاموال ، منها كل مـال يؤخذ من غير المسلمين دون ان يوجف عليه بخيل او ركاب ، ومنها خمس الغنائم « واعلموا انمـا غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل » ومنها مـا يختاره النبي ﷺ من الغنيمة ، كالسيف والفرس والثوب ، وما الى ذلك ، ولكنه (ص) كان يعطي الناس كل مـا يقع تحت يده ، حتى ما افاء الله به عليه وعلى اهـل بيته ، ويترك حبيبته فاطمة ، وريحانتيه الحسن والحسين ، وأخاه علياً يطوون الليالي والايام جوعاً ، لا سقف لبيتهم ولا ابواب ولا ستور إلا الجرائد ، وما اشبه .

فلقد جرت فاطمة بالرحى حتى اثرت في يدها ، وحملت القربة حتى اثرت في نحرها ، فذهبت يوماً الى ابيها تطلب منه خادماً ، فقال لها : اتقي الله يا فاطمة ، وأدي فريضة ربك ، واعملي عمل اهلك ، فاذا اخذت مضجعك فسبّحي ثلاثاً وثلاثين ، واحمدي ثلاثاً وثلاثين ، وكبّري أربعاً وثلاثين ، فهي خـير لك من خادم . وشكت من مرض أصابها ، فعادها الرسول وقال لهـا : كيف انت يا بنية ؟ فقالت : اني لوجعة ، وانه ليزيدني اني مالي طعام آكله . فاستعبر النبي ،

وقال : يا بنية أما ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين . هذا ، وهو يملك كل ما عند المسلمين ، ويسيطر على كل ما في الجزيرة العربية !..

هكذا كان علي في عهد ابن عمه يحيا حياة الشظف والبؤس والفاقة ، وفي الوقت نفسه ينازل الابطال ، ويقارع الشجعان ، ويتعرض للموت مرّات ومرات ليدفع القتل عن الرسول الاعظم ؛ اما غيره من الاصحاب فكان يفر اذا حمي الوطيس ، او يجلس في العريش ، ومع ذلك يتنعم في الشبع والري واللباس والوطاء والدثار !..

اقام النبي بمكة ١٣ عاماً بعد البعثة، ولاقى خلالها من قريش كل عنت وبلاء، وشاركه الامام في كل ما قاساه ؛ حاصروه في الشعب مع اقاربه سنتين ، لا تأخذهم بهم رأفة ، فقطعوا عنهم الطعام، ولم يدعوا احداً يكلمهم او يصل اليهم، حتى اشتد البلاء ، وعظمت المصيبة ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وكان علي وابوه واخوته مع النبي ، وبعد ان خرج من الشعب نالوه بانواع الأذى ، فاستهزأوا به، ونسبوه الى الكذب والسحر والجنون ، فكانت ام جميل زوجة ابي لهب ، وعمة معاوية تطرح الشوك في طريق الرسول . وأتاه يوماً عقبة بن ابي معيط ، وهو ساجد لله ، فوطأ عنقه برجله ، وما رفعها حتى ظن الرسول ان عينيه قد سقطتا على الارض ، وجاء يوماً برحم شاة فألقاه على رأسه ، وهو ساجد في الصلاة ، ووجدوه يوماً يطوف ، فألقي عمامته في عنقه وجره من المسجد[1] . وكان اذا

---

(١) عقبة هذا من بني امية ، واسر يوم بدر مع من اسر ، فلما اتي به الى النبي امر بضرب عنقه . فقال : علام اقتل دون غيري ! فقال له النبي : لعداوتك لله ورسوله . فقال : يا محمد منك افضل ، من للصبية ؟ فقال له : النار . وامر عليا فضرب عنقه ، ولم يقتل النبي من اسرى بدر الا عقبة ، والنضر بن الحارث . وكان النضر يعذب المسلمين ، ويقول في القرآن والنبي اقوالا منكرة .

خرج من بيته أغروا به الاطفال ، فيتبعونه ، ويرمونه بالحجارة فكان يخرج علياً معه ليدفعهم عنه ، واخيراً تآمروا على قتله ، وهو نائم ، فعلم النبي بذلك ، وأمر علياً ان يلبس برده الاخضر ، وان ينام في فراشه ليلة الهجرة ، فقال الامام : أتسلم انت يا رسول الله اذا نمتُ في فراشك ؟ قال : نعم . فقال الامام : اذن لا ابالي بالموت . وامتثل امر الرسول ، والغبطة تملأ نفسه .

وقف علي وأبوه ابو طالب الى جانب الرسول يوم تألبت قوى الشرك عليه وصممت على قتله ، ويوم لم يكن للدين الجديد حول ولا قوة يمتنع بها الرسول ومن آمن معه . وحسبنا ان نعلم ماذا صنع المشركون ببلال وخباب وعمار وابيه ياسر وامه سمية ، وغيرهم من المعذبين في الاسلام ، فقد اعطى المشركون بلالاً لاطفالهم وسفهائهم يجرونه بالحبال ، ويطوفون به في شعب مكة ، ويقولون له : قل : اللات والعزى ، وندعك فيقول : احد احد ، وألقوا على صدر ياسر وزوجته سمية الصخور يعذبونهما بالضرب والطعن ، حتى ماتت سمية بطعنة من ابي جهل ، وكانت اول شهيد في الاسلام ، وألبسوا خباباً دروع الحديد وصهروه في الشمس حتى بلغ به الجهد كل مبلغ .

هكذا كان الاسلام يوم ناصره ابو طالب ، وجاهد بكل قواه ، ليسلم ابن اخيه ويؤدي رسالة ربه كاملة ، ولولا ابو طالب لم ترَ النور ، ولقضي عليها وهي في المهد . وفارق الدنيا ابو طالب قبل ان يقوى الرسول ، ويمتد سلطانه في بقاع الارض . وظن المشركون انهم تمكنوا من النبي بموت عمه ، وعقدوا العزم على الفتك به ، ولكن ولده علياً ما زال حياً وكفى بصاحب ذي الفقار قوة وحارساً للاسلام ونبي الاسلام ، فنام على فراش النبي ليلة الهجرة ؛ وبعدها كان لواؤه مع علي في كل حرب ، عليه تدور رحاها ، وعلى يده يتم النصر ، وتكون الغلبة للاسلام والمسلمين .

هذه حياة الامام في عهد النبي حروب دامية ، وجهاد بشتى صوره واشكاله ،

وتضحيات ومغامرات ، وفقر وعوز ، اما بعد الرسول فما ان لفظ (ص) نفسه الاخير حتى عقدت البيعة لأبي بكر دون مشورة الامام ومناظرته ، ولا مشاركة احد من بني عبد المطلب وآل الرسول ، او من مناصري علي ومحبيه من الصحابة[1] دبر الامر ، وعلي مشغول بتجهيز رسول الله ، لانه أحق ما يبدأ به ، فكان ذلك قرحاً على قلب الامام مع الذي هو فيه من عظيم الرزية ، وفاجع المصيبة بفقد الرسول الاعظم ، فصبر على المصيبتين على تقاربها وسرعة اتصالها ، ولم ينازع ابا بكر رغبة في قوة الاسلام واعلاء كلمته . وكان جماعة من خواص الاصحاب عرفوا بالنصح لله ورسوله وكتابه يأتونه عوداً وبدءاً ، وسراً وعلانية ويدعونه الى اخذ حقه باذلين انفسهم في نصرته ، فيأمرهم بالصبر حقناً للدماء ، وحباً بالوئام .

ولما علم القائمون بالامر ان علياً لا يقاتل من اجل حقه ، خيّروه بين الحرب والمبايعة ، فاختار ان يكظم غيظه ، ويهضم حقه ، وان فعلوا ما فعلوا، تركهم الامام وشأنهم ، ولم يعارضهم في الحكم والسلطان ، ومع ذلك لم يتركوه وشأنه، فمنعوا عن الزهراء وسيدة النساء ميراثها من ابيها ، وأخذوا منها فدكاً ، ولم يصدقوها فيما تقول ، وهي التي طهّرها الله وزكاها ، واستعان بها النبي في الدعاء على الكفار بأمر الله سبحانه « قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم

---

(١) جاء في كتاب المواقف للايجي (ت ٧٥٦ هـ) وشرحه للشريف الجرجاني، (ت ٨١٦) ج ٨ ص ٣٥٢ « ان البيعة لا تفتقر الى الاجماع ، بل تصح من الواحد والاثنين ، لان ابا بكر عقد لعمر ، وعبد الرحمن لعثمان ، ولا يشترط اجماع من في المدينة فضلاً عن اجماع الامة ؛ والاكتفاء بالواحد انطوت عليه الاعصار الى وقتنا هذا » ومعنى هذا القول ان صوتاً واحداً يقدم على جميع اصوات الامة ويفرض عليها فرضاً ، وان بيعة معاوية ليزيد صحيحة ، وهكذا كل حاكم جعل الحكم ميراثاً لأبنائه . واذا اطلع على هذا القول اجنبي فلا بد ان يتساءل اين الحرية والديمقراطية في الاسلام !؟

وأنفسنا وانفسكم ، وهجموا على بيت الامام ، وحـــاولوا احراقه ، وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من بني هاشم[1] فأغضى الطرف عن هـذا المنكر خوفاً من منكر اعظم .

علي الذي قال عنه النبي : « علي مني وأنا من علي .. النظر الى وجه علي عبادة .. من آذاه فقد آذاني » ، علي يساء اليه ، ثم يطلب منه الرضا بالاساءة ، ولا ذنب له إلا فضله وعظمته في دينه وعلمه وسابقته ولكن مـاذا يصنع ، ولا وسيلة إلا الصبر ؟!

وقام عمر بعد ابي بكر ، وكان يشاور علياً ، ويقضي عن رأيه في امور لا يعلمهـا احد إلا علي ، ويعترف له بالفضل ، ويكرر القول : « لولا علي لهلك عمر .. لو وليها علي حملكم على المحجـة البيضاء ، وسلك بكم الطريق المستقيم ، حتى لم يشك احد انه سيعهد اليه بالامر ، ويرجع الحق الى اهله ؛ ولكن مـا ان دنا أجله ، وأتته منيته ؛ حتى نسي عليـاً ومواقفه وسوابقه ، وقرنه بنفر ليس لأحدهم قديم مذكور ، ولا يوم مشهور ، وسمى معه خمسة ، وقال : ان اجتمع علي وعثمان فالقول ما قـالاه ، وان صاروا ثلاثة وثلاثة فالقـول للذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، لعلمه ان علياً وعثمان لا يجتمعان ، وان عبـد الرحمن لا يعدل بالامر عن عثمان ، لانه صهره وزوج اخته ؛ ثم أمر عليهم ابنه عبـدالله ، وامره ان يضرب اعناق الستة ان لم ينفذا امره .

وقد وصفهم عمر حين جعلها شورى بينهم ، وخاطب كل واحد بصفته ، فقال لطلحة : ألست القائل : ان قبض النبي لننكحن أزواجه من بعده ، فما جعل

---

(١) انظر الطبري وكنز العمال ، وابن قتيبة في كتاب السياسة والامامة وابن ابي الحديـد (دلائل الصدق ج ٣ ص ٥١)

الله محمداً أحق ببنات اعمامنـــا ، فانزل الله فيك ، وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ، ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده ابداً . واما انت يا زبـــير فوالله ما لان قلبك يوماً ولا ليلة ، وما زلت جلفاً جافياً ، مؤمن الرضا ، كافر الغضب يوماً شيطانا ، ويوماً رحمن . واما انت يا عثمان لروثة خير منك ، ولان وليتها لتحملن بني أبي معيط على رقاب الناس ، ولان فعلتها لتقتلن . واما انت يا عبـد الرحمن فانك رجل عاجز ، تحب قومك جميعاً . واما انت يا سعد فصاحب عصبية وفتنة وقتال لا تقوم بقربة لو حملت امرها . واما انت يا علي فوالله لو وزن ايمانـــك بايمان اهل الارض لرجحتهم .

ارأيت الى هـــذه الشورى كيف جمعت بين المتنـــاقضات والمنكرات ؟! يشهد عمر ان النبي مـــات ، وهو راض عن هؤلاء الستة ، ثم عاب عمر نفسه اكثرهم بما يتنافى مع رضا النبي وأهليتهم للخلافة ، ومع ذلك اختارهم لهـــا ، وبعد اختيارهم لتولية امر المسلمين أباح قتلهم !.. وهنـــا يقف الانسان حائراً متسائلاً : اذا كان هؤلاء أهلاً للخلافة ، ومات النبي راضياً عنهم ، فكيف أباح عمر دمهم ، وأجاز قتلهم ؟!.. واذا اجاز قتلهم فكيف اختارهم للخـــلافة ، وجعل امر المسلمين في ايديهم ؟!.. وما هو السبب لترجيح الثـــلاثة الذين فيهم عبد الرحمن على الذين فيهم علي ؟!.. ولماذا لم يجعل الامر في يد عبد الرحمن منذ البداية ؟ وكيف عدل عن طريقـــة الرسول الاعظم من ترك الامر شورى بين جميـــع المسلمين ـ كما زعم ـ ؟!.. ولأي شيء ، لم يختـــر هو الاصلح الذي يعرفه ويعتقده ، كما فعـــل ابو بكر ؟!.. وما زالت هـــذه الاسئلة عطشى الى الجواب المقنع .

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٣ ص٣١ « ان معاوية قال لابن حصين : ما الذي شتت امر المسلمين ، وفرّق اهواءهم ، وخالف بينهم ؟ قال : قتل الناس عثمان . قال : ما صنعت شيئاً . قـــال :

قتال علي إياك . قال : ما صنعت شيئاً ، قال : مسير طلحة والزبير وعائشة ؛ وقتال علي إياهم . قال : ما صنعت شيئاً . قال : ما عندي غير هذا . قال : لم يشتت امر المسلمين ولا فرق اهواءهم ولا خالف بينهم إلا الشورى التي جعلها عمر الى ستة نفر .. فلم يكن رجل منهم إلا رجاها لنفسه ، ورجاهــا له قومه ، وتطلعت الى ذلك نفسه ، ولو ان عمر استخلف عليهم كما استخلف ابو بكر ما كان في ذلك خلاف » .

وهكذا يشهد شاهد من اهله ، ويعترف المبطل ببطله ؛ وكيفما كان فقـد تمت البيعة لعثمان، ولم يكن عند الامام إلا الصبر على هذه كما صبر من قبل على غيرها، وكل واحدة أمضى وأبلغ من اختها . ولم يطل الأمد حتى اتاه الذين بايعوا عثمان وغيرهم يسألونه خلع ابن عفان ، ويبـايعونه على الموت ، فأمسك ، وترك عثمان للمسلمين يخلعونه او يقتلونه على ما غيّر وبدّل من سيرة من مضى باختيار الولاة الفسقة الفجرة ، وبايوائه طريد رسول الله ، وايثار اهله باموال المسلمين ، وبمـا حماه لنفسه من الماء والكلأ ، وبضربه ابن مسعود ، ونفيه ابا ذر ، وتعطيله الحـد الواجب على عبيد الله بن عمر الذي قتل الهرمزان ، وهو مسلم ؛ وغير ذلك مما لا يبلغه الاحصاء (انظر دلائل الصدق للمظفر فان فيه المآخذ مع ذكر المصادر والارقام من كتب السنة) .

ولما قتل عثمان انثال المسلمون على الامام من كل جانب ، حتى وطيء الحسنان وظن ان بعضهم قاتل بعض ، وهتفوا لا يصلح للخلافة إلا علي ، فقــال لهم : دعوني والتمسوا غيري . فقالوا : لا نجد غيرك ، ولا نرضى إلا بــك ، وتمت له البيعة ، وتراكمت عليه المصاعب والمتاعب ، وكلها من نوع جديد لا عهد له بمثلها .

ذهب عثمان بعد ان ترك خلفه الشدائد والأزمــات ، ترك ولاة يفسقون

ويستبيحون المحرمات ، ومحاسيب يمتصون دم الشعب ، وفوضى في كل مكان ، وطغاة يأملون بالحكم ، اغراهم به من تقدم ، وشجعهم على طلبه سيرة عثمان مع اهله وصحبه ، هذا ، الى حساد حاقدين ، واعداء يترقبون الفرص للوثوب والانتقام !.. فماذا يصنع الامام ، وهو الذي لا يداهن ولا يساوم ، ولا يعطي الحق الى غير اهله . ولما همّ بالاصلاح اتاه المستثمرون يسألونه البقاء على اسواءهم ، او المهادنة الى حين ، ولما لم يجدوا عنده إلا الحق تعللوا الاعاليل ، وأركبوا ام المؤمنين على الجمل يقطعون به الفيافي والقفار ، وتجمع حول جملها طلحة والزبير وبنو امية ، ومن ولاهم على معاندة الحق والعدل . دافع علي ، وولداه الحسنان عن عثمان ، وحرضت على قتله عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وابن العاص ولما قتل عثمان طالبوا علياً بدمه !

وقف الامام مع اصحاب الجمل بين اثنتين : ان سكت ولم ينكر المنكر انتشر البغي ، وتحكم الطغاة في الرعية ، وان قاتل جرت الدماء فقدم الحجة بالاعذار والانذار ، ودعا المرأة بالرجوع الى بيتها ، وقومها بالوفاء ببيعتهم فلم يزدادوا إلا تمادياً وغياً ، ولما أبوا إلا الحرب ركبها للتأديب ، واستعمل العنف للقضاء على العنف ، ودارت الدائرة على الناكثين . ولكن هل وقف الامر عند هذا الحد ؟ كلا . بقي ابن آكلة الاكباد ، بقي الطليق ابن الطليق ، بقي المعاند لله ورسوله وللمؤمنين ، بقي الذي خذل عثمان ، ثم انتحل دمه بعد ان ايقن بعزله عن ولايه الشام ، وجمع حوله الهمج والرعاع ، والعاصي ابن العاصي الذي اشار باظهار المصاحف ورفعها على الاعلام ، وانطلت الحيلة على عسكر الامام ، وقالوا له : أجب القوم . فقال لهم : انها مكر وخديعة ، لجأوا اليها حين ايقنوا بالهلاك ، وليس القوم بأهل قرآن ولا سنة ، فامهلوني ساعة ويأتيكم النصر ، فلم يستجيبوا له ،

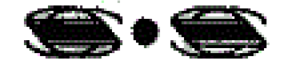
فجهد جهده ، ولم يترك علة إلا بلغها ، ولكن على غير جدوى ، وقال بعضهم لبعض : ان لم يفعل ألحقوه بعثمان ، او ادفعوه الى ابن هند يفعل بـه ما يشاء ، وخاف الامام اذا مضى على عزمه ان يقتل الحسنان ، وتنقطع ذرية الرسول .

وبعد ان استجاب لهم الامام مكرهاً اراد ان يحكم الاشتر او ابن عباس ، ليسد الطريق على حيل ابن العـاص ، فأبوا إلا ابا موسى الاشعري ، وكان من امر الحكمين ما أشهر من ان يذكر ، ولما وقعوا فيما حذرهم منه الامام قالوا له : ما كان ينبغي ان تتابعنا على الخطأ ، وخرجوا راكبين رؤوسهم يأبون إلا السيف .

ارأيت الى هذا البلاء !.. دعاهم الامام الى طريقـه ، فلم يستجيبوا له ، ولما استجـاب لهم طلبوا منـه ان يعترف على نفسه بالمروق من الدين ، وإلا حاربوه لا لشيء إلا لأنه استجاب لهم ، هذا مع العلم بأنه لو لم يستجب لحاربوه ايضاً ! . . علي بعد تضحياته وجهاده الطويل من اجل الدين يعترف بالخروج من الدين وعلى الدين ؛ علي الذي هو الايمان كله ، والحق كله يدور معـه حيثما دار يعترف على نفسه بأنه خـالف الحق والايمان !...

لقد اغتصبوا حقـه فصبر ، وخيّروه بين القتـال والطاعة فصبر ، وقرنوه في الشورى مع من لا يجمعه وإياهم جامع فصبر ، وقالوا علي ومعاوية فصبر ، واخيراً حاربوه لانـه صبر ، ولا أحسب ان حياة نبي او ولي تعرضت لهذا النوع من البلاء . وقسماً بالعظيم ان ما يوم الحسين في كربلاء بأشد من يوم ابيه في النهروان . قاتل الحسين جيش الاعداء ، وقاتل ابوه جيش الاعداء وجيشه بالذات ، قاتل اصحاب الجباه السود

وبالتالي ، فان السبب الاول والاخير لآلام الامام هم قريش الذين قطعوا رحمه ، وأجمعوا على منــازعته في حقه وقالوا له بالفعل لا بالقول اصبر مغموماً ، او مت متأسفاً ، فكظم غيظه على أمَرّ من العلقم ، وآلم لقلبه من حز الشفار ، كما قال عليه افضل الصلاة والسلام .



الشيعة ومعاوية

في عهد الامام

•



معاوية :

ان لمعاوية « مآثر » لا يحصى عديدها ، منها انه ملعون على لسان الله ونبيه ، فلقد فسر المفسرون الشجرة الملعونة في القرآن ببني أمية ، ورآه النبي يوماً يقود أخاه يزيد ، فقال : لعن الله القائد والمقود ، ومنها انه يموت على غير الاسلام برواية عبد الله بن عمر الذي قال : سمعت رسول الله يقول : يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي ، فطلع معاوية ، ومنها انه رأس الفئة الباغية التي قتلت عماراً ، ومنها انه ابن من قاد الحروب ضد الرسول وانه ابن آكلة الأكباد ، ومنها انه شرب الخمر ، وهو يحكم باسم الاسلام « دلائل الصدق ج ٣ ص ٢١٣ نقلاً عن مسند احمد » ، ومنها إلحاق ابن السفاح بغير ابيه ، ومنها دسه السم بالعسل لقتل الأولياء والصلحاء وقوله : ان لله جنوداً من عسل ، ومنها جمعه اللصوص وقطاع الطرق ، ومدهم بالقوة والسلاح ، للسلب والنهب ، وقتل النساء والاطفال ، وإحراق البيوت على أهلها ؛ ومنها تفننه في المكر والكذب

والخداع ؛ ومنها كرهه الشديد لأهل الحق والعدل ؛ ومنها اعلانه السب واللعن لأولياء الله ؛ ومنها تحويله الخلافة الى وراثة .

لهذه الاسباب ولغيرها لم يجد معاوية ما يتذرع به لطلب الخلافة من سابقة او منقبة او حديث إلا قول الرسول الاعظم: لا أشبع الله له بطناً [١]. فانتحل دم عثمان ، ونشر قميصه مع اصابع زوجته نائلة على المنبر ، وأسعفته عائشة وجملها ، وقطام وابن ملجها والخوارج ومروقهم ، واهل الشام وغباوتهم ، واهل العراق وتخاذلهم ، والطامعون واساليبهم ، وصلابة الامام في دينه ، ومعاوية في كفره ، كل هذه ، وما اليها كانت عوامل هامة وفعالة في وصول معاوية الى الخلافة ، وتسميته بداهية العرب . لقد انتفع معاوية بالظروف والمناسبات ، وكان اهمها قميص عثمان الذي اصبح مضرب الامثال .

قال المستشرق الالماني يوليوس فلهوزن في كتاب تاريخ الدولة العربية ص ١٢٩ طبعة ١٩٥٨ : « كان الثأر لمقتل عثمان هو الاساس الذي بنى عليه معاوية حقه في وراثة الخلافة ؛ اما بأي معنى قام الثأر لعثمان فهو يتجلى في انه من اجل ذلك اتحد مع عمرو بن العاص الذي ألب على عثمان اخبث تأليب ؛ ولم تكن التقوى ولا البر بعثمان باعثاً لمعاوية » .

دافع علي عن عثمان ، وحرض على قتله طلحة والزبير وعائشة ومعاوية وابن العاص، ولما قتل ثاروا على الامام ، وطالبوه بدمه، فقتل طلحة والزبير ، وعقر الجمل، وآبت صاحبته بالخذلان، وسلم معاوية وابن العاص بعد ان رفعا المصاحف

---

(١) ذهب النسائي الى دمشق ، وهو احد اصحاب الصحاح الستة عند السنة ، فقيل له : حدثنا عن فضائل معاوية ، فقال : أما يرضى معاوية رأساً برأس ، حتى يفضل ؟! وقال : لا اعرف له فضيلة الا لا اشبع الله بطنه ، فداسوه بالارجل ، ومات بسبب ذلك .

ولولاها لوردا مورد الجمل واصحابه ، ورجع معاوية من صفين ليدبر الاغتيالات والغارات ضد علي وشيعته .

غارات التقتيل والتخريب :

كانت الامصار الاسلامية بكامل اطرافها في طاعة امير المؤمنين (ع) ما عدا الشام ، حيث يوجد معاوية ؛ فالعراق والحجاز واليمن ومصر وفارس وغيرها كان عليها ولاة يحكمونها ويديرون شؤونها من قبل الامام. فجمع معاوية حوله الأشقياء الجلادين ، والبغاة من قطاع الطرق والمخربين ، امثال النعمان بن بشير ، ويزيد بن شجرة ، وعبد الرحمن بن قباث ، وزهير بن مكحول ، ومسلم ابن عقبة ، وسفيان بن عوف ، وبسر بن ارطأة ، والضحاك بن قيس ، وغيرهم وغيرهم ، وأمدهم بالخيل والرجال ، والسلاح والمال ، وامرهم بالغارة على البلاد الآمنة التابعة للامام ، واوصاهم ان ينشروا الفوضى والفساد ، ويحدثوا التخريب والذعر .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

سفيان بن عوف الغامدي :

دعا معاوية سفيان بن عوف ، وقال له : « اني موجهك في جيش كثيف ذي اداة وجلادة ، فالزم لي جانب الفرات ، حتى تمر بهيت فتقطعها فان وجدت بها جنداً فاغر عليها ، وامض ، حتى تغير على الانبار ، فان لم تجد بها جنداً فامض حتى توغل المدائن ، ثم اقبل إلي ، واتق ان تقرب الكوفة ، واعلم انك ان أغرت على الانبار واهل المدائن، فكأنك غرت على الكوفة ، ان هذه الغارة يا سفيان على العراق ترعب قلوبهم ، وتفرح كل من له فينا هوى منهم ، وتدعو الينا كل من خاف الدوائر ، فاقتل من لقيته ممن ليس على مثل رأيك ، واخرب كل ما مررت به من القرى ، واحرب الاموال فان حرب الاموال – اي اسلبها –

شبيهة بالقتل ، وهو اوجع للقلب » .. (شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٤٤ الطبعة القديمة) .

وامتثل سفيان أمر سيده ؛ فحمل بخيله على الآمنين، وملأ البيوت والأزقة بجثث القتلى ، وحمل ما وجد من الاموال ، ورجع الى معاوية ، وقال لـه فيما قال : والله ما غزوة أقر للعيون ، ولا أسر للنفوس منها ، ولقد ارعبت قلوب الناس . فقال له معاوية : كنت عند ظني بك .

وندب الامام اهل الكوفة لدفع العدوان عنهم ، فتثاقلوا ، فخرج وحـده يمشي راجلاً ، فلحق به قوم ، وقالوا : ارجع يا امير المؤمنين ، ونحن نكفيك ، فقال : ما تكفوني ، ولا تكفوا انفسكم ، فلم يزالوا به حتى صرفوه الى منزله ، وهو واجم كئيب . ثم خاطبهم بخطبة جاء فيها :

« الا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً واعلاناً ، وقلت لكم : اغزوهم قبل ان يغزوكم ، فوالله مـا غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم ، حتى شنت عليكم الغـارات ، وملكت عليكم الاوطان ، وهذا اخو غامد – أي سفيان – قد وردت خيله الانبار ، وقد قتل حسان بن حسان البكري ، وزال خيلكم عن مسالحها ، ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والاخرى المعاهدة ، فينتزع حجلها ، وقلبها – أي سوارها – وقلائدها ورعاثها – القرط – ما تمتنع منـه إلا بالاسترجاع والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرين .. فيـــا عجباً ! والله يميت القلب ، ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ... يا أشبـــاه الرجال ولا رجـال ، حلوم الاطفال ، وعقول ربات الحجـال ، لوددت اني لم أركم ، ولم اعرفكم .. قاتلكم الله لقـد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صـدري غيظـــاً .. وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخـذلان ... ولا رأي لمن لا يطاع » .

وهكذا ابتلي الامام بعدو كمعاوية يغدر ويفجر ، ويستبيح الدماء ونهب الاموال وهتك الاعراض ، وبأصحــاب كأهل الكوفة متواكلين متخاذلين ، يغزون في عقر دارهم فيذلون ويستكينون ، ويفرون ولا يكرون !..

الضحاك بن قيس الفهري

دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري ، وقال له : « سر حتى تمر بنــاحية الكوفة ، وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الاعراب في طاعة علي ، فاغر عليه ، وان وجدت له مسلحة أو خيلاً ، فاغر عليها ، واذا اصبحت في بلد فأمسي في اخرى ، ولا تقيمن لخيل بلغك انهــا قد سرحت اليك لتلقاها فتقاتلهــا » ثم جهزه بثلاثة آلاف الى اربعة (ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٥٤ الطبعة القديمة) .

وأنفذ الضحاك أمر سيده ، وأسرف في القتل والفتك ، والسلب والنهب ، فكان يقتل كل من رآه في طريقه ، وأغار على قافلة الحجاج ، فأخذ امتعتهم ، ثم قتل جماعة ، منهم العبـــد الصالح عمرو بن عميس بن مسعود ، وهو ابن اخ عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله .

ولما علم الامام صعد المنبر ، وقال : يا اهل الكوفة اخرجوا فقاتلوا عدوكم ، وامنعوا حريمكم ان كنتم فاعلين . فردوا عليه رداً خفيفاً ، ورأى منهم فشلاً ، ثم دعا حجر بن عدي الكندي ، فعقد له على اربعــة آلاف ، فخرج يتعقب الضحاك ، حتى لقيه بناحية تدمر ، فاقتتلوا ساعة ، فقتل من اصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ، ومن اصحاب حجر رجلان ، فحجز الليل بينهم ، فهرب الضحاك الى الشام لا يلوي على شيء .

وكانت عصابات معاوية تغير على اطراف الامـــام ، وتمعن في التخريب

والتدمير ، وتنقض على الآمنين تقتــل وتنهب وتحرق ، وتنشر الرعب ، حيث يخلو لها الجو ، فاذا داهمها عسكر الامام اسرعت في الفرار .

النعمان بن بشير :

النعمان وابوه بشير بن سعد الانصاري اول من بايع ابا بكر من الانصار يوم السقيفة . ثم توالت بعده الانصار على المبايعة ؛ وكان النعمان عثمانياً مقرباً عنــد معاوية وولده يزيد ، وبقي حياً الى خلافة مروان بن الحكم ، ولمـا بويع لمروان بالخلافة كان النعمان والياً على حمص ، فدعا اهل حمص الى مبـايعة ابن الزبير ، فثاروا عليه وقتلوه ، وذلك سنة ٦٥ . ومن اخلاقه انه لما قتل عثمان أخذ قميصه وأصابع زوجته نائلة ، وباعها الى معاوية ، وكان معــاوية يعلق القميص وفيه الأصابع يستثير بها اهل الشام ؛ فكانوا اذا رأوا القميص والأصابع يزدادون غيظاً . ثم ترك النعمان معاوية ، وذهب الى علي، ولكن لم يطب له المقام في بيئة التقوى والصلاح ، فهرب الى الشام حيث الضــلالة والفساد . وهكذا تموت الخنافس من رائحة الزهور والعطور وتحيا في المزابل والمراحض .

وندب معاوية النعمان ، وجهزه بألفي رجل ، وأمره بالغـارة على عين التمر في العراق ، وأوصاه ان يقوم بالمناوشات والغارات المفاجئة ، ويعجل الهرب ، كما تفعل اللصوص والعصابات . واقبل النعمان على عين التمر ، وبهـا مالك بن كعب من قبل الامام ، وليس معه سوى مئـة رجل ، فصمدوا للألفين ، وقال مالك لأصحابه : قاتلوهم داخــل القرية ، واجعلوا الجدر الى ظهوركم ، واعلموا ان الله ينصر العشرة على المئة ، والمئة على الالف، والقليل على الكثير ، وأنجدهم قوم بالقرب منهم من شيعة امير المؤمنين ، فانهزم النعمان ومن معه وولوا هاربين الى ارض الشام .

وبعد مقتل الامام عيَّن معاوية النعمان بن بشير اميراً على الكوفة ، وكان اميراً

عليها من قبل يزيد ، فعزله ، وعيّن مكانه عبيد الله بن زياد حين قدم اليها مسلم ابن عقيل ، وربما أتينا على ذكر النعمان في الصفحات الآتية .

بسر بن ارطأة :

في يوم من ايام صفين صعد الامام الى التل ، ونادى بأعلى صوته : يا معاوية . فأجابه . فقال الامام : علام يقتتل الناس ؟! ابرز اليّ ، ودع الناس ، فيكون الامر لمن غلب . فقال ابن العاص لمعاوية : أنصفك الرجل . فضحك معاوية وقال : طمعت فيها يا عمرو ، اي في الخلافة . فقال عمرو : ما يحمل بك إلا ان تبارزه. فقال معاوية : نلقاه بجمعنا . فقال ابن العاص : والله لأبارزن علياً، ولو مت ألف موتة ، ثم برز للامام ، وكان من امر عورته ما يغني عن ذكرها .

وكان في جيش معاوية فارس يدعى ابو داود ، فقال : اذا كره معاوية مبارزة ابي الحسن علي فأنا ابرز له . ثم خرج من بين الصفين ، وقال : انا ابو داود ، ابرز إليّ يا ابا الحسن . فتقدم علي ، فناداه الناس ارجع يا امير المؤمنين عن هذا الكلب ، فليس لك بخطر . فقال : دعوني ثم حمل عليه، وضربه ضربة قطعته قطعتين سقطت احداهما يمنة ، والاخرى يسرى ، فارتج العسكران لهول الضربة . وكان لأبي داود ابن عم في عسكر معاوية ، فصاح : واسوأه : قبح الله البقاء بعدك يا ابا داود ، وبرز للامام ، فألحقه بابن عمة .

كل هذا ومعاوية على التل يبصر ويشاهد، فقال: تباً لهؤلاء الرجال أما فيهم من يقتل علياً مبارزة ، او غيلة ، او في اختلاط الفيلق ، وثوران النقع . فقال له الوليد : ابرز اليه انت ، فانك أولى الناس بمبارزته. فقال معاوية : والله لقد دعاني للبراز حتى استحييت من قريش ، ثم التفت معاوية الى بسر بن أرطأة ، وقال له : أتقوم انت لمبارزته ؟ فقال له بسر : ما احد أحق بها منك ، ومع ذلك فأنا له. وكان عند بسر ابن عم له قدم من الحجاز يخطب ابنته، فقال له :

اياك ان تبارز علياً ، وما الذي يدعوك الى ذلك ؟! قال : صدر مني وعد ، واستحي ان ارجع عنه ، فضحك ابن عمه منه ، وقال ابياتاً ، منها :

كانك يا بسر بن ارطاة جاهل بآثاره في الحرب او متجاهل
متى تلقه فالموت في راس رمحه وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

فقال بسر : هل هو إلا الموت ؟! وبرز بسر مقنعاً بالحديد ، ونادى ابرز إليّ ابا الحسن . فمشى الامام اليه غير مكترث به ، حتى اذا قاربه طعنه ، فسقط على الارض ، فكشف عورته ، كما فعل ابن العاص من قبله ، فانصرف عنه مدبراً ، فقال الاشتر : هذا بسر ، أتتركه ، وهو عدو الله وعدوك ؟. فقال : دعه عليه لعنة الله ، أبعد ان فعلها ! ! وقال الشاعر في عمرو وابن ارطاة ابياتاً ذكرها ابن ابي الحديد في ج ٢ ص ٣٠١ منها :

أفي كل يوم فارس تندبونه له عورة تحت العجاجة بادية
يكف بها عنها علي سنانه ويضحك منها في الخلاء معاوية

مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامى

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ١١٧ وما بعدها :

كان بسر بن ارطاة قاسي القلب فظاً سفاكاً للدماء ، لا رأفة عنده ولا رحمة .. وقد جهزه معاوية في ثلاثة آلاف ، وقال له : سر حتى تمر بالمدينة ، فاطرد الناس ، واخف من مررت به ، وانهب اموال كل من احصيت له مالاً ، ممن لم يكن دخل في طاعتنا ، فاذا دخلت المدينة فأرهم انك تريد انفسهم ، واخبرهم انه لا براءة لهم عندك ولا عذر .

بهذه النصائح كان معاوية يزود عصابات الارهاب ، قال لسفيان بن عوف ـ كما اسلفنا ـ : اقتل من لقيته ، واخرب كل ما مررت به ، وانهب الاموال . وقال لبسر : اطرد الناس ، واخف وانهب ، وبتل ذلك امر الضحاك وغير

الضحاك ؛ ومضى هؤلاء اللصوص ينفذون امر سيدهم ويضيفون اليه من لؤمهم وتعديهم على الانسانية الكثير من الفتك والسفك .

ووصل بسر الى المدينة المنورة ، فشتم اهلها وتهددهم وتوعدهم ، وأحرق دوراً كثيراً ، منها دار زرارة بن حرون ، ودار عمرو بن عوف ، ودار رفاعة ابن رافع الرزقي ، ودار ابي ايوب الانصاري صاحب منزل رسول الله (ص) (ابن الحديد ج ١) .

وقال المسعودي ج ٣ ص ٣١ طبعة ١٩٤٨ : « وقتل بسر بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً من خزاعة وغيرها ، وكذلك بالجرف قتل خلقاً كثيراً من رجال همدان ، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً » وقال المسعودي : ولما بلغ الخبر علياً انفذ جارية بن قدامة في ألفين ، ووهب بن مسعود في ألفين ، وحين علم بسر بخبر حارثة فر هارباً .

اتخذ معاوية خطة الغارات المفاجئة والهجوم الخاطف ، ثم الفرار والموازاة عن الانظار ، واتخذ الامام خطة الدفاع ، ولكنه دفاع بطيء ببطء المواصلات يومذاك .

وقبل ان يغادر بسر مدينة الرسول استخلف على اهلها ابا هريرة ، واوصاهم بطاعته ، وابو هريرة هذا الذي نص عليه بسر « بالخلافة » من بعده رأى وشاهد البدع والاحداث التي احدثها بسر في مدينة الرسول الاعظم ؛ وهو بالذات الذي وثقه اصحاب الصحاح ، ورووا عنه الكثير وقد يكون السبب لتوثيقه وتصحيح حديثه روايته عن نبي الرحمة : « ان لكلي نبي حرماً ، وان حرمي بالمدينة ، فمن احدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، واشهد ان علياً احدث فيها » ! وتاريخ رواية هذا الافتراء متأخر عن غزوة بسر للمدينة واستخلافه ابا هريرة بعده ! علي الذي قال عنه الرسول : « لا يحبه إلا مؤمن ،

ولا يبغضه إلا منافق » . علي في منطق ابي هريرة قد احدث في المدينـــة : اما معاوية الذي مات على غير سنة محمد ــ بشهادة عبدالله بن عمر معاوية هذا صان مدينة الرسول ، ومنع عنها البدع والاحداث بشهادة بسر وخليفته ابي هريرة .

ترك بسر المدينة ، وتوجه الى مكة ، وقتل في طريقـــه بين حرم الله وحرم الرسول رجالا ، ونهب امواله ، ولما بلغ خبره اهل مكة هرب اكثرهم خوفـاً من جوره وطغيانه ، ومر بنجران فقتل جماعة، وقام خطيباً في اهلها ، وقال: يا اهل نجران ، يا معشر النصارى ، واخوان القرود ، امـا والله ان بلغني عنكم مـــا اكره لأعودن عليكم بالتي تقطع النسل ، وتهلك الحرث ، وتخرب الديار ، وقتل ، وهو ذاهب الى صنعاء ابا كرب ، وكان من رؤوس الشيعة ، وسيد من كان في البادية من همدان ، وحين دخل صنعاء أعمـل في اهلها القتل والسلب ، وأتاه وفد من مأرب يستعطفه ويسترضيه ، فقتل رجاله ، وذبح طفلين صغيرين لعبيد الله بن العباس ، وكانت امهما تدور مذهولة ناشرة شعرها ، وتقول :

هـا من احس بابني اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف
هـا من احس بابني اللذين هما	سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف
هـا من احس بابني اللذين هما	مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا	من قتلهم ومن الافك الذي اقترفوا
انحى على ودجى ابني مرهفـة	مشحوذة وكذا الآثام تقترف
من ذل والهـة حـرى مسلبة	على صبيين ضلا اذ مضى السلف

وكتب المغيرة بن شعبة الى بسر كتاباً يشكره على ما فعل ، ويقول فيه : « جعلنا الله واياك من الآمرين بالمعروف ، والقاصدين الى الحق ، والذاكرين الله كثيراً » آمنت بالله ! حتى الذين يعصون اوامره يتكلمون باسم الله . وما اقوى وجوه الشبه في الطباع والخداع بين بسر والمغيرة وبين الكثير ممن نعرف اليوم من

الذين يتكلمون باسم الله جل وعلا علواً كبيراً . وصدق الذي قال : ما اختلف الناس ، ولكن اطرد القياس .

اشرنا الى ان الامام أنفذ جارية بن قدامة الى بسر ، وأخذ جارية يسأل عنه، ويتعقبه ، وبسر يفر بين يديه من جهة الى جهة ، حتى اخرجه من اعمال علي كلها ، ولكن بعد ان قطع النسل ، وهلك الحرث وخرب الديار ؛ وحين رجع بسر الى الشام ، قال لمعاوية : اني سرت في هذا الجيش اقتل عدوك ذاهباً جائياً . فقال له معاوية : الله فعل ذلك لا انت . قال ولده يزيد للامام زين العابدين : الحمد لله الذي قتل اباك . فقال له زين العابدين : لعن الله من قتل ابي . ونقول نحن : لعن الله من فعل ذلك وامر به .

قال ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٢١ : « وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً ، وحرق قوماً بالنار .. وكان مسلم بن عقبة ليزيد وما عمل بالمدينة في وقعة الحرة ، كما كان بسر لمعاويه وما عمل في الحجاز واليمن ، ومن يشابه ابه فما ظلم » .

وسأل الامام ربه تعالى ان ينتقم من بسر في الدنيا بالجنون ، فقال : اللهم لا تمته حتى تسلبه عقله ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى ذهب عقله ، فكان الصبيان يتبعونه ، ويعبثون به .

بهذه البدع والاحداث ، بانتهاك حرم الله وحرم الرسول ، بقتل الرجال وذبح الاطفال ، بسلب النساء اقراطها وخلاخلها ؛ بهذه وما اليها قال المتقولون: معاوية أعرف من علي بالسياسة . أجل ، لا علي ولا غير علي أعرف من معاوية بالشر وضراوته فيه والاقدام عليه . ومن هنا كان سياسياً عظيماً عند اشكاله وامثاله !

عمرو بن العاص :

عن كتاب ربيع الابرار للزمخشري ان النابغة ام عمرو بن العاص كانت بغياً ، فوقع عليهـــا ابو لهب ، وامية بن خلف ، وهشام بن المغيرة ، وابو سفيان بن حرب ، والعاص بن وائل ، فأتت بعمرو ، وادعاه الاربعة ، فقالت امه هو من العـــاص ، ولما قيل لها : لمـــاذا اخترت العاص ، قالت : كان ينفق عليّ وعلى اولادي اكثر منهم ، وكان عمرو أشبه بأبي سفيان . وقد اتفق المفسرون على ان العاص قال : اني لأشنأ محمد الابتر ، فأنزل الله فيه ان شانئك هو الابتر .

كان عمرو بن العاص من الذين عـــادوا النبي وآذوه ، وكادوا له وكذبوه ، وقاتله مع جيوش الشرك ، وهجاه بسبعين بيتـــاً من الشعر ، فقال رسول الله : اللهم اني لا اقول الشعر ، ولا ينبغي لي ، اللهم إلعنه بكل حرف ألف لعنـــة ، فكان عليه من الله ما لا يحصى من اللعنات ، وذهب الى النجاشي ليأتي بالمسلمين الى مكة، ويعذبهم المشركون على اسلامهم واتباعهم دين الله ورسوله ، وحرض على قتل عثمان ، ثم انتحل دمه مع من انتحل .

وقال يوماً لعائشة : وددت انك قتلت يوم الجمـــل . فقالت : ولم ذاك لا ابا لك . قال : لاجعلك اكبر تشنيع على علي . وكان والياً على مصر ايام عمر ابن الخطاب ، فظلم ونهب ، فأخذ منه عمر شطر امواله ، وباع دينه لمعـاوية بولاية مصر لا يسأل عن خراج ولا سكان ، وحارب علياً لا لشيء إلا لأن مع علي آخرة بلا دنيا ، ومع معاوية دنيا بلا آخرة ، كما قال له مولاه وردان .

وكانت مصر التي جعلها معاوية طعمة هي واهلها لابن العاص ، كانت من شيعة علي كما جاء في خطط المقريزي والكامل لابن الاثير ، وقال ابو زهرة

في كتاب « المذاهب الاسلامية » : الشيعة نشأت في مصر في عهد عثمان[1] .

وكان قيس بن سعد الانصاري والياً عليها لأمير المؤمنين علي ، ثم استعمل علها محمد بن ابي بكر ، فجهز معاوية عمرو بن العاص في اربعة آلاف ، وبعثه الى مصر ، وارسل معه معاوية بن حديج ، وابا الاعور السلمي ، وعبد الرحمن ابن ابي بكر ، واقتتلوا هم ومحمد ، فتفرق اصحاب محمد عنه ، فخرج متمهلاً حتى انتهى الى خربة، فاختفى فيها ، ولما اهتدى اليه عسكر ابن العاص اخرجوه وكاد يموت عطشاً ، فقال : اسقوني قطرة ماء . فقال له ابن حديج : لا سقاني الله ان سقيتك ، ثم اخذوه ، ووضعوه في جلد حمار ، واضرموه بالنار ، وقيل : كان به شيء من الحياة . (المسعودي ج ٢) .

وبلغ الامام قتل محمد ، فقال : ما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحروب جزعي عليه ، وقيل له : ان جزعك لشديد على محمد يا امير المؤمنين . فقال : وما يمنعني ! انه كان لي ربيباً ، وكان لبنيّ اخاً ، وكنت له والداً .

وارسل الامام الى مصر مالك الاشتر ، وانفذ معه جيشاً ، لانقاذها وطرد ابن العاص منها ، فلما بلغ ذلك معاوية ارسل رجل يملك ارضاً في العريش ، وقال اترك خراجك عشرين سنة ، واحتل للاشتر بالسم في طعامه ، فلما نزل

---

(١) قال الشيخ ابو زهرة في كتاب «الامام الصادق» ص ٥٤٧ (لما انقضى الحكم الفاطمي لم يجد صلاح الدين كبير مشقة في القضاء على مذهب التشيع في مصر ، وقد انحسر عنها المذهب والبقية الباقية ابان ذلك من معتنقي المذهب ، ولم يكونوا قوة فيها ، ولذلك فروا الى صعيد مصر ولعلهم انتقلوا من مديرية الى مديرية حتى استقر بهم المقام في مديرية اسوان وانتهى بهم الامر الى مدينة اسوان ، وقد طوتهم لجة التاريخ فيها ، وليس احد منهم اليوم !)

الاشتر بالعريش اتاه الرجل بعسل فيه سم، فتناول منه الاشتر، ومات في ساعته، وقتل اصحاب الاشتر الرجل؛ وحين بلغ ذلك الامام قال: للدين والفم. وهذه كلمة تقال لمن يسقط على يديه ولسانه. وبلغ ذلك معاوية، فقال: إن لله جنوداً من عسل؛ وكان حين دس السم الى الاشتر قال لأهل الشام: ادعوا على الاشتر. فدعوا عليه، ولما جاء خبر موته قال: أما ترون كيف استجاب الله لكم ؟!

غريب! حتى الكذب والاحتيال، وحتى السم بالعسل لقتل اولياء الله من صنع الله عند المجرمين لا من صنعهم!.. وصدق المعري حيث يقول على لسان آدم يخاطب ابناءه مؤنباً: «كذبتم على خالقكم وربكم، ثم على آدم ابيكم، ثم على حواء امكم، وكذب بعضكم على بعض بل وعلى انفسهم!».

عصابات بالجملة:

لم يكتف معاوية من تشكيل العصابات بالذين اشرنا الى اسمائهم، بل شكل عصابات اخرى للتخريب والاغتيال، منها عصابة برئاسة يزيد بن شجرة، وثانية بقيادة عبد الرحمن بن قباث، وثالثة لزهير بن مكحول؛ ورابعة لمسلم بن عقبة، وخامسة لعبدالله بن مسعدة، بل قاد هو بنفسه عصابة للتخريب، وسار بها حتى شارف دجلة (ابن الاثير حوادث سنة تسع وثلاثين).

كان هذا السيل من العصابات يتدفق ولا ينقطع في ليل ولا نهار على بلاد الامام، وكانت هذه العصابات تحسن الحرق والتقتيل، والاغتيال والغارة على القوافل، والبيوت الآمنة. قال الاستاذ العقاد بصف اعوان الامويين: «كانوا جلادين، وكلاب طراد في صيد كبير». وقال الاستاذ جرداق: «اعوان الامويين فريقان: فريق اجتذبته الرشوة، وما ارخصها ثمناً للضمائر التي تباع! وفريق تمرس بالخسة وكره الخيّرين من الناس». هكذا كان الجهاز العسكري

عند معاوية : تعطش لسفك الدماء ، وقتل الشيوخ والاطفـال والنساء ، ونشر الخوف والذعر ، وبراعة في الفرار والاختفاء . ويقابله الجهـاز العسكري عند الامام : تواكل وتخاذل ، وجدال وخصام ، وتمرد وعصيان ؛ حتى انه صلوات الله وسلامه عليه ، دعا على نفسه قائلاً : اللهم ابدلني بهم خيراً لي منهم . وقال يوماً لأصحابه : « ويحكم اخرجوا معي ثم فروا عني ما بدا لكم فوالله لا اكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي ، وفي ذلك روح عظيم لي ، وفرج من مناجـاتكم ومقاساتكم » وقال مرة : ما يؤخر اشقاها ؟ ! يتعجل ابن ملجم يريحه من اهل العراق ! ... الله اكـبر ! ... علي يتمنى الموت ؛ لا لشيء إلا انه لا يستبيح الحرام والكيد والمكر ! .... ويتعجل القتـل ، ولا يجد اليه السبيـل المشروع ، فيطلب من اهل العراق ان يخرجوا معه للجهاد ثم يتركوه وحيـداً ، ليستشهد ويعذر عند الله !..

وبعد هذا كله يقال : كيف صالح الحسن معاوية ، وعنـده جيش العراق . وهل استقام هذا الجيش لأبيـه ، حتى يستقيم له ؟! ان الحسن (ع) لم يصالح معاوية حقناً للدماء ، ولا جمعاً للكلمة ، ولا وضعاً لأوزار الحرب ، كما قيل ، بل لأنه وحيد فريد لا ناصر له ولا معين ؛ اما تلك السيوف التي حوله فهي معه في الظاهر ، وعليه في الواقع إلا قليل لا يغني شيئاً . ويأتي الكلام على ذلك مفصلاً انشاء الله .

هذه نماذج وأمثلة من سيرة معاويـة مع الشيعة في حياة الامام ، سم يداف بالعسل ، واغتيال وفرار خوفاً من ابي الحسن علي ؛ اما سيرته مع الشيعة بعـد الامام فنقدم أمثلة منها في الفصل التالي .

الامام الحسن

•

امام الحسن (ع) وكنيته ابو محمد ، ولد بالمدينة ليلة النصف من رمضان سنة ٣ هـ ، توفي سنة ٤٩ ، ويكبر الحسين بأحد عشر شهراً ، وحين ولادته أذن الرسول في اذنه اليمنى ، واقام في اليسرى ، وسماه حسناً ، ولا يعرف احد من قبل سمي باسم الحسن والحسين ، وفي اليوم السابع ضحى عنه الرسول بكبشين ، وحلق رأسه ، وطلاه بالطيب ، وتصدق بوزن شعره.

ريحانة الرسول :

وبقي في رعاية جده سبع سنوات ، وكان النبي لا يصبر على فراقه وفراق اخيه الحسين ، فكانا يلازمانه ملازمة نور الشمس للشمس لا يتركهما ولا يتركانه في ليل ونهار ، حتى حين يقوم للصلاة والعبادة بين يدي الله عز وجل ، وحين يأتية جبرائيل بالوحي كان الحسن يسمع الوحي ساعة نزوله ، فيحفظه ، ويأتي امه فاطمة يلقيها اليها ، فاذا جاءها الامام وجد عندها علما بالتنزيل ، فيسأل : أنى لك هذا ؟ فتقول من ولدك الحسن .

واعتلى مرة رقبة جده ، وهو ساجد في الصلاة ، فأطـــال النبي سجوده ، ثم أنزله برفق ؛ ومرة اخرى اتاه وهو راكع ؛ فأفرج من بين رجليه حتى خرج من الجانب الآخر ، فقيل له : يا رسول الله انك تصنع بالحسن ما لم تصنعه بأحد . قال : انه ريحانتي . ووضعه مرة على منكبه الأيمن والحسين على منكبه الأيسر ، فاستقبله ابو بكر ، فقال لهما : نعم المركب ركبتكما يا غلامان . فقــال النبي : ونعم الراكبان هما ، ان هذين ريحانتاي من الدنيـــا ؛ وقال النبي اكثر من مرة للحسن : اشبهت خَلقي وخُلقي . وقد تواتر عن طريق السنة والشيعة : الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة .. اني احبهما فاحبوهما ايها النــاس . من احبهما فقد احبني ، ومن ابغضهما فقد ابغضني .. اول من يدخل الجنــة انا وفاطمــة والحسن والحسين . ولداي هذان ــ الحسن والحسين ــ امامان قاما او قعدا وعن مسند احمد عن معاوية ان رسول الله كان يمص لسان الحسن او شفته ، وان الله لن يعــذب لساناً او شفتين مصهما رسول الله الى غير ذلـــك مما لا يبلغــه الاحصاء[1] . وكفى بمكانه رفعة عند الله انه احد الذين باهــل الرسول بهم نصارى نجران .

وصفه :

قال شيخ الشافعية احمد بن عبدالله الطبري في كتاب « ذخائر العقبى » :

---

(١) تجد هذه الاحاديث وما اليها في مسند احمد ، وذخائر العقبى ، والابانة لابن بطـــة ، والحلية لابن نعيم ، والاصابة ، والبخاري ، ومسلم ، والمناقب ، والعقد الفريد ، وفي الخطيب البغدادي ، ومروج الذهب ، والبحار وغيرها .

كان الحسن مشرباً بحمرة ، ادعج العينين [١] سهل الخدين ، دقيق المسربة [٢] كث اللحية ، ذا وفرد [٣] كأن عنقه ابريق فضة ، عظيم الكراديس [٤] بعيد ما بين المنكبين ، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير ، من احسن الناس وجهاً ، جعد الشعر ، حسن البدن ، ولم يكن احد أشبه بالنبي منه . وفي صحيح البخـــاري ان ابا بكر مر ، فرأى الحسن يلعب مع الصبيـــان ، فاحتمله على رقبته ، وقـــال : « بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي » وهو يضحك .

اخلاقه :

كان أعبد الناس في زمانه ، فاذا توضأ اصفر لونه ، وارتعـــدت فرائصه ، واذا بلغ المسجد قـــال : يا محسن قد أتاك المسيء ، تجاوز عن قبيـــح ما تعلم مني بجميل ما عندك يا كريم . وكان اذا ذكر الموت والقبر والبعث والصراط بكى ، وقد حج خمساً وعشرين حجة ماشياً ، والنجائب تقاد بين يديه .

وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، وخرج منه بكامله مرتين ، وسأله رجـــل ، فأعطاه خمسين ألف درهم ، وخمسمئة دينار ؛ وجاءه اعرابي ، فقال : اعطوه كا ما في الخزانة ، وسأله سائل ، فأعطاه مئة وخمسين ألف درهم .

وكان من هيبته ان معاوية قال : ما رأيت الحسن إلا خفت مقامه ، وعيبه لي . وكان من حلمه ان مروان بن الحكم قال : ان حلم الحسن يوازن به الجبال . وكان من تواضعه انه مر بفقراء يأكلون كسيرات على الارض ، فقالوا له : هلم

---

(١) شديد سوادهما . (٢) ما دق من شعر الصدر سائلا على البطن . (٣) شعر الرأس اذا وصل شحمة الاذن . (٤) رؤوس العظام .

يا ابن رسول الله فنزل وقال : ان الله لا يحب المتكبرين ، وأكل معهم ، ثم دعاهم الى منزله ، فأطعمهم وكساهم .

وكان لفصاحته وجرأته ما كان لأبيه امير المؤمنين ، ولا بدع ، فقد سمع كلام الله ، وحفظه ووعاه ، وهو ابن سبع ؛ وسمع كلام جده أفصح من نطق بالضاد ؛ وسمع كلام ابيه الذي سن الفصاحة لقريش .. وعن الصواعق المحرقة لابن حجر ان الحسن رأى ابا بكر على منبر جده الرسول فصاح به انزل عن مجلس ابي. وقال ابو الفرج الاصفهاني في « مقاتل الطالبيين » لما بويع معاوية خطب ؛ فنال من علي ، ومن الحسن ؛ فقام الحسين ليرد عليه ، فأجلسه الحسن ، ثم قام فقال :

ايها الذاكر علياً ، انا الحسن ، وابي علي ، وانت معاوية ، وابوك صخر ، وامي فاطمة ، وامك هند ، وجدتي خديجة ؛ وجدتك قتيلة ، وجدي رسول الله ، وجدك حرب ؛ فلعن الله أخملنا ذكراً ، وألأمنا حسباً ، وشرنا قدماً ، وأقدمنا كفراً ونفاقاً .

فقال الحاضرون : آمين . وكل من حدث بذلك او كتبه . او سمعه منذ نطق به الحسن قال : آمين . ونحن نقول : آمين رب العالمين . ولا جواب أبلغ وأحكم من هذا الجواب ، فلقد نال معاوية من علي ، فأفهمه الحسن صلوات الله وسلامه عليه ان اللعنة لا تتعدى الجديرين بها وهم معاوية وابوه أعدى اعداء الله والرسول ، وامه آكلة الاكباد ؛ وجداته ذوات الرايات ؛ وعرف الناس والاجيال صدق هذا الجواب وبلاغته ، وشرف الحسن وعظمته ، ولؤم معاوية وخسته ، فرددوا معه هذا اللعن الذي يتردد صداه ، ويدوم ما دام في الحياة ناطق .

اسباب الصلح :

تتلخص اسباب صلح الحسن مع معاوية بما يلي :

١ ـ تخاذل اهل العراق ، وقعودهم عن ابيه امير المؤمنين يوم كان معاوية يغزوهم في عقر دارهم بعصابات القتل والنهب ، تذبح رجالهم ، وتسلب نساءهم والامام يستنهضهم ، ويستحثهم ببلاغته وحكمته ، فلا يزدادون إلا تقلباً وتلوناً حتى تمنى فراقهم بالموت ، وتعجل القتل ـ كما اسلفنا ـ واذا كانت هذه حالهم مع امير المؤمنين ، فبالأولى ان يخذلوا ولده ، وينكصوا عنه اذا جدّ الجد ، واحتدم القتال ، هذا ، الى ان اهل الشام كانوا أطوع لمعاوية من بنانه ، لا يسألونه عما يفعل ، وهم مسؤولون .

٢ ـ ان اكثر الوجهاء والشيوخ الذين بايعوا الامام الحسن ، والتفوا حوله كانوا طلاب غنائم ومناصب ، شأنهم في ذلك شأن معظم الوجهاء والرؤساء في كل زمان ومكان ، فان اعطوا منها رضوا ، وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ، وليس لهؤلاء ولا لغيرهم عند الحسن إلا ما كان لهم عند ابيه من قبل ، ليس عنده إلا العدل والمساواة وإلا المنفعة تعم الناس اجمعين ؛ وكيف يرضى « الوجيه الكبير » ان يكون مع « المسكين الفقير » ؟! .. لقد ترك النجاشي ، ومصقلة بن هبيرة ، والقعقاع بن شور وغيرهم وغيرهم ، تركوا الامام بعد ان بايعوه ، وكانوا معه على عدوه ، والتحقوا بمعاوية ، لا لشيء إلا ايثاراً للعاجلة على الآجلة ، والفانية على الباقية ، تركوا من لا يغلبه على دينه اهل السموات والارض ، وتسللوا الى من يستبيح كل محرم في سبيل مآربه ومطالبه .

٣ ـ ان عدداً غير قليل ممن بايع الامام الحسن كان من المنافقين ، يشايعونه ظاهراً ، ويكيدون له سراً ، ومنهم من راسل معاوية ، وراسله معاوية ، وبعث له الاموال ؛ ومنهم من اخذ وعداً من معاوية بالولاية على بعض الاقطار ؛ ومن هؤلاء المنافقين عمرو بن حريث ، وعمارة بن الوليد ، وحجر بن عمرو ، وعمر بن

سعد ، وابو بردة بن ابي موسى الأشعري ، واسماعيل واسحاق ابنـا طلحة بن عبيد الله، وغيرهم . قال الشيخ راضي آل يس في كتاب «صلح الحسن» ص ٥٧ طبعة ١٩٥٣ [1] : « كتبوا الى معاوية بالسمع والطاعة في السر ، واستحثوه على المسير نحوهم ، وضمنوا له تسليم الحسن ، او الفتك به . وارسل معاوية الى كل من عمرو بن حريث ، والاشعث بن قيس ، وحجـار بن ابجر ، وشبث بن ربعي : انك اذا قتلت الحسن فلك مئة ألف درهم ، وجند من اجناد الشام ، وبنت من بناتي . فبلغ الحسن ذلك ، فكان يحترز ويلبس الدرع تحت الثياب ، ولا يتقدم للصلاة إلا كذلك ، فرماه احدهم بسهم ، وهو في الصلاة ، فلم يثبت فيه للدرع الذي لابسه » .

معاوية يساوم على بناته شبث بن ربعي وعمرو بن حريث وحجار بن ابجر ، واضرابهم ، يساومهم ليغدروا بالحسن ريحانة الرسول ، ولقـد صمموا وعزموا على قتله ، ولولا الصلح لأنفذوا امر معاوية بالحسن ، كما أنفذوا أمر ولده يزيد بالحسين ، واطفال الرسول وبناته ، فان عدداً كبيراً ممن اشتركوا في قتل الحسين كانوا منخرطين في جيش اخيه الحسن قبل الصلح ، ومنهم شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين (ع) .

٤ ــ ان الحسن صمم على القتال ، وحث الناس على الجهاد ، وأرسل جيشاً الى الحدود والثغور ، وخرج الحسن بنفسه بعد ان استخلف على الكوفة ابن عمه المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وتخلف عنه خلق كثير ولم يخرجوا معه بعد أن كانوا قد وعدوه بالقتال ضد عدوه ، فغرّوه كما غرّوا أباه من قبل . . وبقي معسكراً بالنخيلة عشرة ايام ، وليس معه إلا أربعـة آلاف ، فرجـع الى الكوفة يستنفر الناس، وخطب فيهم يقول: قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي.

---

(١) تبسط الشيخ راضي آل يس في كتاب « صلح الحسن » في حقيقة هـذا الصلح واسبابه ونتائجه حتى اوفى على الغاية ، وقد بلغت صفحاته . . ٤ بالقطع الكبير .

وكان الحسن قد سيَّر عبيد الله بن العباس في ١٢ ألف مقاتل ، ليدفع معاوية عن حـــدود العراق ، ولكن معاوية اشترى هـــذا العُبيد بمليون درهم ، فقبض الثمن ، وانضم الى العدو ، وكانت خيانته نصراً كبيراً لمعاوية ، فلقد أحدثت في عسكر الحسن التمرد والتصدع ، بالاضافة الى ما هم عليه من التخاذل ، واخــذ اهل العراق يتسللون الواحد بعد الآخر الى الشام .

٥ ـ ان معاوية جمع كل ما اتاه من كتب اصحاب الحسن التي وعدوا فيهـا معاوية ان يسلموه الحسن او يفتكوا به ، وأرسلها الى الحسن مع المغـيرة بن شعبة وعبدالله بن عامر ، وعبد الرحمن بن الحكم ، فتفحص الحسن تلـــك الخطوط ، وتأكد من نسبتها لأصحاب التواقيع . وقـــد أراد معاوية بذلك ان يتضعضع جيش الحسن ويتمزق ايدي سبا .

هذه هي أهم الاسباب التي دعت الحسن الى الصلح ، ومنها يتبين معنـا ان سبب صلح الحسن لم يكن حقناً للدماء ، ولا جمعاً للشمل ، ولا كرهاً للحرب التي تقضي على الفتنة والفساد ، بل لأن الامام الحسن لم يجد من يقوى به على عدوه وعدو الدين ، فان اكثر الذين أظهروا متابعته كانوا عيناً عليه ، وعملاء لعدوه ، يتربصون به الدوائر ، وينتهزون الفرص ، فهم أخطر عليه من الذين صارحوه العداء وجهاً لوجه .

اما ما نسب الى النبي من انه قال مشيراً الى الحسن : « ان ابني هـــذا سيد ، سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين ، فهو من وضع الوضاع الذين استأجرهم معاوية للكذب والافتراء على الرسول امثال ابي هريرة وسمرة بن جندب . والغاية من وضعه التضليل والتمويه ، وطمس الحديث المتواتر : « يا عمار تقتلك الفئة الباغية ، وجعل معاويه ومن معه بمنزلة علي ومن معه كلاهما من المسلمين .

ولما ظهرت امارات الصلح ثار اهــل الكوفة ومن اليهم بالحسن ، وانتهبوا

متاعه ، وطعنوه بفخذه ؛ تآمروا عليه حين صمم على الحرب ، ولمـــا اضطروه مكرهاً الى الصلح بسبب خيانتهم ومؤامراتهم ثاروا به ، تماماً كما فعلوا مع ابيه من قبل أرغموه على التحكيم فوافق مكرهاً ، فلما وافقهم قاتـــلوه ، لأنه وافقهم ، صبر عليهم ، فأعلنوا عليه الحرب ، لأنه صبر عليهم !.. وهذا شأنهم مع الحسن ألجأوه الى الصلح ، ثم آخذوه لأنه صالح !..

وماذا يصنع الحسن اذا لم يصالح ؟! وقد تراكمت هذه الاسباب : عدو لا يردعه وازع من دين او ضمير ؛ يمكر ويكيد ويغتال ، ويساوم على بناته .. وقوم متخاذلون لا شأن لهم إلا العصيان والمعارضة .. وجيش خـــائن يتسلل من قلب المعركة بعدته وعدده الى العدو .. ماذا يصنع الحسن اذا لم يصالح ؟! وقـــد عاكسته الظروف ، وتحالفت عليه الفتن والدسائس ، وانحرفت عنـــه القوى .. ماذا يصنع ؟! وهو لا يعمـــل إلا لله والآخرة ، مع قوم لا يعملون إلا للدنيـــا والشيطان ، إلا لأموال معاوية وبنات معاوية ...

وبعد ، فان الذين يؤاخذون الحسن على الصلح ، يؤاخذونه ، وهم معافون من العواصف والأعاصير التي أحاطت بالحسن من كل جانب ويحكمون عليه دون اي اعتبار للظروف والحوادث شأن اكثر الناس تأتي احكامهم بمعزل عن اسبابهـــا ومصادرها . ان الظروف والحوادث عناصر فعـــالة فيما يحدث من عواقب ، فمحال على الانسان ، اي انسان ، ان يحقق رغباته واغراضه منفصلة عن الظروف ، فعلى الذين يريدون معرفة صلح الحسن على حقيقته ان يدرسوا اولاً ملابسات هذا الصلح واسبابه القريبة والبعيدة ، عليهم ان لا يحكموا بالوهم والخيال ، وما رأيت شبيهاً للذين يلومون الحسن إلا من يؤاخذ الفرد على خلق اكتسبه من المجتمع .

صلح الحسن واستشهاد الحسين :

كثيراً ما يتساءل : لماذا آثر الحسن الصلح على الاستشهاد ، وآثر الحسين الاستشهاد على الصلح ؟ وما هو وجه الجمع بين الموقفين والتفسير الصحيح لكل منهما ؟

وقد اجيب عن هذا التساؤل بأجوبة شتى ، وقد ادى بنا البحث المجرد ، ومنطق الحوادث الى الجواب التالي :

وهو ان العداء الاموي لله ورسوله ، والحقد المتغلغل ، المتأصل في قلوب الامويين على محمد رسول الله ، وعلى ولي الله لا يشفيه شيء ، ولا يرضيه الصلح والاستسلام ، لا يشفي تلك الحسة والغلة الا الدم والقتل مع التنكيل والتمثيل بالاموات ، فقد قتل حمزة عم النبي ، فلم يشف القتل غليل ام معاوية وجدة يزيد ، حتى اكلت من كبده ، وحتى قطعت انفه وأذنيه ، واتخذت منها قلادة ؛ وقتل الحسين ، فلم يشتف يزيد ، حتى وطأ الخيل ظهره وصدره ، وحتى نقر فه بالقضيب بعد حز الرأس ؛ وقتل زيد بن علي ، فلم يبرد غليل الامويين ، حتى نبشوا قبره ، واستخرجوا جثته وقطعوا رأسه وصلبوه بعد الموت والدفن ، وألقوا برأسه في عرصة الدار ، تطأه الاقدام ، وتنقر الدجاج دماغه .

ومعاوية هو ابو يزيد ، وابن هند ، فكيف يرضى من سبط النبي ، وابن علي بالصلح والاستسلام ؟.. كيف يرضى ابن ابي سفيان من ابن محمد بما دون القتل ؟! واذا كان ابو يزيد يريد الصلح حقاً ، والاستسلام فقط ، فلماذا دس السم للحسن السبط بعد ان صالحه ، وسلم اليه الامر ؟! وان كان ابن هند يريد السلطان بدون معارض فلماذا دأب على سب سيد الكونين بعد موته وبعد ان اصبح اخو زياد الامبراطور الاوحد ؟! كلا ، وألف كلا ، ان معاوية وولده يزيد لا يريدان الصلح ولا المبايعة من الحسن والحسين ، ان اهداف معاوية وولده يزيد وراء

ذلـك ، انها الانتقام من دين الله ورسول الله بدمـاء الحسن والحسين ريحانتي رسول الله .

وكلنا يعلم ان معاوية أمكر وأخبث وأعرف بالعواقب من ولده يزيد ، فلقد اراد قتل الحسن ، وسعى له سعيه ، وبذل جهده ، ولكنـه اراد في نفس الوقت ان لا يتهم بقتله ، وان لا يكون مسؤولا امام الناس والتاريخ عن دمه ، أراد ان لا يحتج عليه بدمـاء ابن بنت الرسول ، فدس الى جماعة كانوا مع الحسن ، ليحملوه على الحرب ، ويغروه بها ، حتى اذا فعل فتكوا به ، ولما أحس الامام بهذه المكيدة فوتها على معاوية وعملائه بطريق الصلح ، ولو بقي الحسن مصمماً على الحرب لقتل هو واهله ، والمخلصون من اصحابه على يد جيشه الذي أعده لمحاربة عدوه ، وتم لمعاوية ما أراد .

لو استمر الحسن في طريق الحرب لقتـله الخونة من عسكره دون ان يسأل معاوية عن شيء ، وما كان لأحد ان يحتج عليه بدم الحسن الزكي ، كما احتج على ولده يزيد بدم الحسين ، بل لو تحقق قتل الحسن على يد جيشه لانتحل معـاوية دماء الحسن، واقتص من قاتله، واتخذ بذلك يداً عند المسلمين ، لأنه ثأر للرسول وابناء الرسول ، تماماً كما فعل مع قريبه عثمان ، حرض على قتله ، ثم انتحل دمه وطلب الثأر من قاتليه !..

اجل ، لقد صالح الحسن ، ولكن معاوية لا يريد الصلح ولا المبايعـة من الحسن ، وانما يريد كبد الحسن ، كما أرادت امه من قبل كبد الحمزة ، يريد دماء ابناء الرسول ليشفي غلته من الاسلام ونبي الاسلام ، وإلا لماذا اغتال الحسن بعد الصلح ؟! مات الحسن بسم معاوية ، فسجل عليه التاريخ الخزي والعار والكفر والجحود ، والمظالم والمآثم ، وسجل للحسن الكرامة والعظمة ، والاخـلاص لدين الله ، وامة جده رسول الله . لقد كان الصلح رحمة ونعمة للحسن وشيعة ابي الحسن ، ولعنة على معاويـة الى يوم يبعثون ، والفضل في ذلـك لحكمة الحسن ومعرفته وبعد نظره .

وأراد يزيد قتل الحسين ، صالح او لم يصالح ، بايع او لم يبايع ، تماماً كما أراد معاوية من الحسن ، ولا شيء أدل على ذلك من التمثيل بالحسين واصحابه بعد القتل ، ومن السلب والنهب وحرق الخيام ، ومن ذبح الاطفال وسبي النساء ، ومن وضع السلاسل والأغلال في أعناق المرضى وأرجلهم ، ومن رفع الرؤوس على الرماح ، ومن ترك الجثث في العراء للشمس والرياح ، ومن مرور الثاكلات حواسر على قتلاهن ، ومن العبث بالرأس الشريف ، وهو مفصول عن الجسد الطاهر . ومن ومن الى ما لا نهاية .

ان الذي ظهر من يزيد يدل بوضوح على ان المسألة ليست مسألة حكم ، وتهالك على السلطان فحسب ، ولا مسألة مصالحة ومبايعة ، انها أبعد وأعمق من كل ذلك ، انها اشفاء غليل وقلب ملتهب من دين الله ومحمد بن عبدالله ، وقد جاء قتل الحسين بلعنة الدهر على يزيد ، كما جاء سم الحسن بلعنة الابد على معاوية ، وهذا هو هدف اهل البيت ، لقد أرادوا عليهم افضل الصلاة والسلام ان يفتضح المنافقون الذين كادوا للاسلام ، ثم تستروا باسمه ، فان تكن الوسيلة الى هذه الغاية الصلح صالحوا ، وان تكن الاستشهاد استشهدوا غير مبالين بالقتل ما دام لاظهار الحق ، وافتضاح الباطل .

وبالتالي ، فان منطق الحوادث لا يفصل بين موقف الحسن وموقف الحسين فكل منهما جاهد ، واستشهد في سبيل الله ، وألقى الحجة البالغة على أعداء الله ، والفرق في الاسلوب فقط ، هذا قتل بالسيف ، وذاك قتل بالسم ، ولعل موقف الحسن أبلغ في الحجة على معاوية ، لأنه صالح وسالم ، ومع ذلك لم يسلم . اذن لا معنى ابداً للتساؤل : « لماذا صالح الحسن وقتل الحسين ؟ » لأن كلا منهما قتل واستشهد في سبيل الله ، وأثار النقمة واللعنة على أعداء الله وأعداء رسوله ، وعجل بدولة البغاة الفجار الى الهلاك والدمار .

ومن الخير ان نختم هذا الفصل بما جاء في كتاب العقد الفريد ج ٥ ص ٣١٣ طبعة ١٩٥٣ ، قال :

«وسأل معاوية جلساءه : من أكرم الناس أباً وأماً ، وجداً وجدة ، وعماً وعمة ، وخالاً وخالة ؟ قالوا : انت أعلم ، فأخذ بيد الحسن بن علي وقال : هذا ابوه علي بن طالب ، وامه فاطمة بنت رسول الله ، وجده رسول الله ، وجدته خديجة زوجة رسول الله ، وعمه جعفر ، وعمته هالة بنت ابي طالب ، وخاله القاسم ابن رسول الله ، وخالته زينب بنت رسول الله (ص) .»

وهـذا هو ذنب الحسنين الذي استوجبا من اجله القتل عند معاوية وولده يزيد ! ..



الشيعة ومعاوية

بعد الامام

لحق امير المؤمنين بأخيه المصطفى ، واعتزل الامام الحسن في بيتـــه ، وحكم معاوية جميع الاقطار والامصار الاسلاميـــة بأمره لا بأمر الله ولا بأمر الشعب ، وماذا كان ينبغي له ان يفعل بعـــد ان أصبح الامبراطور الاوحـــد دون مزاحم ورقيب ؟ هل ينبغي له ان ينكل بالضعفاء المغلوبين ، وينشر الخوف والذعر في قلوب المواطنين ، او يعفو ويصفح عن اعدائه السياسيين ، ويعيـــد الى نفوسهم الهدوء والطمأنينة ، كما يفعل اليوم الساسة والحاكمون ؟ بعـــد ان ينتصروا على خصومهم ، وتتسق لهم الامور .

اهل العفو

ولكن العفو عند المقدرة من شيم الكرام ، وسنن المرسلين والمثقفـــين ، واين منهم معاوية ؟ ! لقد عفا امير المؤمنين عن عائشة ومروان بن الحكم يوم الجمل ، وعن ابن العاص ، وبسر بن ارطاة ، يوم صفين ، وسقى معاوية وجيشه الماء ،

لأنه كريم وابن كريم ، وسب معاوية علياً على المنابر بعد موته ونكل بشيعته شر تنكيل ، واقترف أسوأ المآثم ، لأنه خسيس لئيم يغدر ويفجر ، واذا أنعم الله عليه بدل نعمته كفراً وجحوداً ، ولأنه فاشل في خلقه وسيرته ، فلا منقبة ولا سابقة يذكر فيها هو ولا أبوه ، فراح ينتقم لنصائحه من اصحاب المناقب والفضائل ، ويستجيب لرغبته الملحة في الجرائم والمحارم .

كان معاوية في عهد الامام يجهز وحوشه الضواري ، كبسر بن ارطاة ، ومسلم ابن عقبة ، والضحاك بن قيس وغيرهم ، ويأمرهم بقتل الاطفال والنساء والشيوخ ، فيقتلون ويتسللون كاللصوص والقراصنة ، وكان يُظن انه يريد من وراء ذلك ان يتعب خصمه ، ويثبت حكمه بكل وسيلة ؛ أما وقد مات الامام ، وصالح الحسن ، واستتب له الأمر ، فأي عذر له في المغالاة والتنكيل ، والعنف في قمع الابرياء ؟! وهل من عذر إلا اللؤم والحقد على الحق واهله ، والعدل وانصاره ؟!

المسلمون عند شروطهم :

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

جاء في الحديث : « شكر كل نعمة الورع عن محارم الله .. نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر » وحين دخل معاوية الكوفة صعد على المنبر ، وخطب يشكر الله على النصر ، فقال : « يا اهل الكوفة ، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج ، وقد علمت انكم تصلون وتزكون وتحجون .. وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم .. وكل شرط شرطته للحسن فتحت قدمي هاتين » .

يقول رسول الله (ص) : المسلمون عند شروطهم ، ويقول معاوية كل شرط فهو تحت قدمي .

اما الشروط التي اشترطها الامام الحسن ، وامضاها معاوية ، ثم داسها بقدميه فهي ان يعمل معاوية بكتاب الله وسنة نبيه ، وان لا يعهد لاحد من بعده ،

بل يترك الامر شورى بين المسلمين ، وان يكون الناس آمنين حيث كانوا ، « كل الحق في صيانة دمائهم وأعراضهم وأموالهم ، وان يدع سب امير المؤمنين . وبالفعل قد داسها معاوية بقدمية ، واليك بعض الارقام :

السب :

روي ان النبي رأى أبا سفيان على جمل أحمر ، يسوقه معاوية ، ويقوده عتبه ، فقال : اللهم إلعن الراكب والقائد والسائق . فحفظ معاوية هذه اللعنة ، وعملت عملها في نفسه ، وانتظر الفرصة السانحة للانتقام من نبي الرحمة ، حتى صار الحاكم بأمره ، فلم يجرأ على التصريح بالاسم العظيم ، فسب علياً ، وهو لا يريد إلا محمداً ، لانه يعلم حق العلم ان النبي قال : « من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله[1] .

سب معاوية علياً ، وكتب الى البلدان يأمر عماله وموظفية بالسب ، فقامت الخطباء في كل كورة ، وعلى كل منبر يلعنون علياً ، ويبرأون منه ، ويقعون فيه وفي اهل بيته (ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٥) وبقي السب سنة بعد معاوية في سنين طويلة . سب اهل بيت الرسول ، وامر بسبهم وجعل ذلك سنة متبعة ، وديانة مقدسة ، وقانوناً لا يصلح الخروج عليه ، لا لشيء إلا لان الله سبحانه قال في كتابه : « يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً » . كان الشعور بالرهبة والفزع يسيطر على معاوية في عهد الامام ، فيغدر ويفجر ، ويحتال ويغتال ، وله شيء من العذر عند من يرى معاوية من الدهاة والساسة الكبار ، ولكن أي عذر له عند هؤلاء وغير هؤلاء في جوابه لمن قال له : لقد

(١) دلائل الصدق ج ٣ ص ٢٣١ نقلا عن المستدرك للحاكم ،

بلغت ما أملت ، فلو كففت عن سب علي ، فأجاب : لا حتى يربو عليه الصغير ويهرم الكبير .. بهذه الكلمة الصغيرة : « حتى يربو الصغير ، ويهرم الكبير » عبر معاوية عن نفسه ، وأبرزها على حقيقتها ، فليس من قصده وغايته الملك والسيطرة فقط ، بل عقدة في نفسه يحاول حلها ، وحقد في قلبه يغلي ويفور ، ولا يجد مخرجاً من لذعه وألمه إلا السباب والتقتيل ، وهذه غاية الغايات عند معاوية وما عداها وسيلة لاشباع الحقد ، وإلا فليدلنا الذين وصفوا معاوية بالحلم وسعة الصدر عن مكان هذا الحلم في قوله : « حتى يربو الصغير ، ويهرم الكبير » ...

ولم يشف غليل معاوية السب على المنابر ، والكتابه به الى عماله ، واتخاذه سنة وديانة ، حتى تعمده في محضر اولاد الامام واقاربه ، بل كان يدعو احدهم الى بيته ، ويجمع حوله شياطينه وزبانيته ، ثم يشرعون بالسباب والشتائم !.. لقد سمعنا ان عدواً اغتال عدوه ، وهو سائر في طريقه ، ونائم على فراشه ، اما ان يدعوه الى بيته ، ثم يغدر به ، فلم نعهده إلا من معاوية وامثاله . نادى منادي الرسول يوم الفتح من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، وأراد معاوية ان يرد له هذا الاحسان فدعى الحسن سبط الرسول الى بيته ، ولبّى الحسن الدعوة ، ولما دخل على معاوية وجد عنده عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وعقبة بن ابي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، وما ان رأوا الحسن حتى أرغوا وأزبدوا ، وشتموا وعابوا ، ونالوا من سيد الكونين بما هم أولى به ، واهل لاكثر منه .

فالتفت الامام الحسن الى معاوية وقال فيما قال :

اما بعد يا معاوية ، فما هؤلاء شتموني ، ولكنك شتمتني فحشاً ألفته ، وسوء رأي عرفت به ، وخلقاً سيئاً ثبت عليك ، وبغياً علينا عداوة منك لمحمد واهله.. وانشدكم الله ايها الرهط ، أتعلمون ان الذي شتمتموه صلى القبلتين ، وانت يا معاوية بهما كافر ، ترى الصلاة ضلالة ، وتعبد اللات والعزى غواية ؟ هل

تعلمون ان الذي شتمتموه بايع البيعتين : بيعة الفتح وبيعة الرضوان ؟ وانت يا معاوية باحدهما كافر ، وبالاخرى ناكث ؟ هل تعلمون انه اول الناس ايماناً ، وانت يا معاوية وابوك من المؤلفة قلوبهم تسرون الكفر ، وتظهرون الاسلام ؟

ألستم تعلمون انه صاحب راية رسول الله يوم بدر ، وان راية المشركين مع معاوية وابيه ؟ ويوم احد ويوم الاحزاب ويوم خيبر الخ ...

ألستم تعلمون ان رسول الله لعن ابا سفيان في سبعة مواطن (١) يوم خرج رسول الله من مكة الى الطائف يدعو اهلها الى الاسلام ، فلقيه ابو سفيان فشتمه وكذبه وتوعده ، فلعنه الله ورسوله (٢) يوم بدر (٣) يوم احد حيث نادى ابو سفيان اعل « هبل » فلعنه الرسول ولعن « هبل » (٤) يوم الاحزاب (٥) يوم الحديبية (٦) يوم العقبة (٧) يوم رآه الرسول يركب الجمل الاحمر .

وقول الحسن لمعاوية : « عداوة منك لمحمد واهله » يثبت ما اسلفناه ان الملك والسلطان عند معاوية وسيلة للانتقام من الحق واهله .

ودخل عبدالله بن جعفر يوماً على معاوية ، فوجد عنده ابن العاص ، وما استقر الجلوس بعبدالله ، حتى نال ابن العاص من امير المؤمنين على مسمع من عبدالله ومعاوية ، فالتمع لون عبدالله ، واعتراه افكل ، حتى ارعدت خصائله ، ثم حسر عن ذراعه ، وقال :

حتام يا معاوية نتجرع غيظك ؟! والى كم الصبر على مكروه قولك ، وسيء ادبك ، وذميم اخلاقك ، هبلتك الهبول أفلا يدعونك تصويب ما فرط من خطئك في سفك دماء المسلمين ، ومحاربة امير المؤمنين الى التمادي فيما قد وضح لك الصواب في خلافه ؟ فاقصد لمنهج الحق ، فقد طال عمهك عن سبيل الرشد ، وخطبك في ديجور ظلمة الغي ، فان ابيت إلا ان تتابعنا في قبيح اختيارك لنفسك ،

فاعفنا عن سوء القالة فينا اذا ضمنا واياك الندي ، وشأنك ما تريد اذا خلوت ، والله حسيبك .

اراد معاوية ان يطفيء نور الله بالافواه بالسب والثلب ، ويأبى الله إلا ان يتم نوره ، ولو كره المشركون ، لقد ذهب الامام الى رحمة ربه ، وبقي معاوية يسب ويلعن ، ثم اقدم على ما قدم ، وجاء دور التاريخ فرفع الامام الى مصاف الانبياء عند الناس اجمعين ، والى مقام الآلهة عند البعض ، وسُجل اسم معاوية مع جلادي الشعوب ، وسفاكي الدماء .

قال الحسن البصري : اربع خصال كنَّ في معاوية ، لو لم تكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة : (١) انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء ، حتى انتزعها امرها بغير مشورة منهم ، وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة (٢) استخلافه ابنه يزيد السكير الخمير يلبس الحرير ، ويضرب الطنابير . (٣) ادعاؤه زياداً ، وقد قال الرسول : الولد للفراش ، وللعاهر الحجر . (٤) قتله حجراً ، ويل له من حجر واصحاب حجر .

وقال الشافعي عن الامام : « أسر اولياؤه مناقبه تقية ، وكتمها اعداؤه حنقاً ، ومع ذلك قد شاع من فضائله ما ملأ الخافقين . وكان معاوية يشعر بنقائصه ، وانه خلو من كل فضيلة، فكان اذا افتخر عليه هاشمي ، يقول : ولكن عثمان قتل مظلوماً !..

مر يوماً بحلقة من قريش ، فقاموا له إلا عبدالله بن عباس ، فقال له معاوية : يا ابن عباس ان عثمان قتل مظلوماً ، فقال ابن عباس : وعمر بن الخطاب قتل مظلوماً . قال معاوية : ان عمر قتله كافر . قال ابن عباس : ومن قتل عثمان ؟. قال معاوية : قتله المسلمون . قال ابن عباس : ذلك ادحض لحجتك .

التنكيل والتقتيل :

جاء في تحديد الايمان انه : «عقد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالاركان» وهكذا كان عداء معــاوية للاسلام ونبيه واهله ، حقد في قلبه يغلي ويفور ، وسباب « يربو عليه الصغير ، ويهرم الكبير » وامعــان في التنكيل والتقتيل .

قال ابن ابي الحديد : « استعمل معاوية زياد بن سمية على العراق ، فـكان يتتبع الشيعة ، وهو بهم عارف ، لأنه كان منهم ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم ، وقطع الايدي والارجل ، وسمل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق ، فلم يبق بها معروف منهم ، وكتب معـاوية الى عماله في جميع الآفاق ان لا يجيزوا لأحد من شيعة علي واهل بيته شهادة ، وكتب اليهم ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه واهل ولايته ، والذين يرددون فضائله ، فادنوا مجالسهم واكرموهم ، واكتبوا لي بكل مـا يروي رجلاً منهم واسمه واسم ابيه ، ففعلوا حتى اكثروا في فضائل عثمان ، لما كان يبعثه اليهم معاوية من المال والحباء والقطائع ويفيضه العرب والموالي ، فكثر ذلك في كل مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، ولبثوا بذلك ، ثم كتب معاوية الى عماله ان الحديث في عثمان قد كثر في كل مصر وفي كل وجه وناحية ، فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء ، ولا تتركوا خبراً يرويه احد في ابي تراب ، إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة ، فان هــذا أحب إليّ ، واقر لعيني » . قتل وسجن ونهب وهدم ، وكذب على الله ورسوله ، كل ذلك احب الى قلب معاوية واقر لعينــه من العدل ، والصدق على الله ورسوله ، ولا سبب لذلك الا واحد من امرين : إمـا حب الشر للشر ، والكذب للكذب ، وإما البغض لنبوته ، والكره لاهل البيت ، لانهم اهل البيت .

يقفون جميعاً ضد التمييز العنصري في امريكا وجنوب افريقيا ، لانه يتنــافى مع

أبسط المبادىء الانسانية ، وهذا التميز الذي استنكره العالم لم يتعد التميز بالمراتب والدرجات ، يحذر على الملونين التزويج من البيض ، والاختلاط معهم في المعاهد والاندية ، اما سن قوانين القتل والسجن ، ونهب الاموال ، وهدم الدور ، وهتك الاعراض فلم يؤثر إلا عن معاوية مع شيعة علي ، ولا ذنب لهم إلا انهم يوالون النبي واهل بيته ، وكفى به ذنباً عند عدو الله والرسول .

ومن الخير ان ننقل ما ذكره الشيخ يوسف البحراني في كتاب « الدرر النجفية » . فبعد ان نقل كلام ابن ابي الحديد بكامله ، وما جاء فيه من تنكيل معاوية بالشيعة ، وامره بوضع الاحاديث في فضائل الصحابة قال : مما نقله ابن ابي الحديد متفق عليه بين الفريقين ، ولا مجال للطعن فيه ، ونستخلص منه اموراً :

« منها » ان فيه رداً صريحاً على من قال : ان مذهب الشيعة لا اصل له قديماً ، وانما احدثه ابن الراوندي وهشام بن الحكم وغيرهما من المتأخرين عن العصر الاول .. « فان تنكيل معاوية بالشيعة دليل على وجودهم في عصره ، وقبل عصره ايضاً » .

و « منها » الدلالة على ما كان عليه معاوية والامويون من بغض علي واهل بيت الرسول رغم ما ورد في حقهم من الروايات المتفق عليها عند السنة ، وان حب علي ايمان، وبغضه كفر ونفاق .

و « منها » ما كشف عن احوال السنة يومئذ من العلماء والقضاة والخطباء ، واصحاب النسك والورع والولاة فضلاً عن العامة من انهم باعوا دينهم لمعاوية بأبخس الاثمان ، فسارعوا الى التزوير والكذب على الله والرسول .. كل ذلك طمعاً في الدنيا .. فهذه احوال السلف من السنة الذين قد اتفق من تأخر منهم

على الاخذ عنهم ، ومنعوا الطعن فيهم ، وجعلوا اقوالهم وافعالهم حججاً شرعية يتعبدون بها ، ويقابلون بها الله عز وجل .

و « منها » انه اذا كانت هذه الاخبار الموضوعة في حق الخلفاء الثلاثة والصحابة قد بلغت هذا المبلغ في الكثرة ، وشاعت هذا الشياع ، حتى انتقلت الى الذين لا يستحلون الكذب ، فتدينوا بها ، وصنفوها في كتبهم ، وضبطوها وافتوا بها ، واستمرت هذه الحال في جميع الاعصار خلفاً بعد سلف ..

ولو قال لهم قائل : ان فضائل اولئك الخلفاء والاصحاب من هذا النوع لعجزوا عن الجواب المقنع .. ولو ادعوا ان تزوير الامويين لبعض الفضائل لا يستدعي ان لا يكون للخلفاء والصحابة فضائل سواها لقيل لهم ميزوا الصادق منها من الكاذب ، ليتم لكم الاستدلال بها على ما أردتم .

هذا ما اردنا نقله من كتاب « الدرر النجفية » . ونعود الى معاوية ، فقد كان يعرض على شيعة الامام البراءة من دين علي ولعنه ، وتولي عثمان ، فمن استجاب نجا بحشاشته ، وإلا قتل ، هذا مع العلم بأن دين علي هو دين ابن عمه محمد ، اذن كان معاوية يقتل وينكل بالمسلمين لا لشيء إلا لانهم مسلمون ، فمن هؤلاء حجر بن عدي واصحابه ، وعمر بن الحق ، ورشيد الهجري وغيرهم . ونترك الكلام للارقام تثبت هذه الحقيقة .

حجر بن عدي :

كان حجر بن عدي من اصحاب رسول الله ، واصحاب علي والحسن وكان زاهداً عابداً ، وقد وصفه صاحب المستدرك بانه راهب اصحاب محمد (صلح الحسن . آل يس ٣٢٤) . وكان بطلا شجاعاً ، حارب في الجيش الذي فتح الشام ، والجيش الذي فتح القادسية ، وشهد مع الامام يوم الجمل وصفين

والنهروان ، وقد بايع معاوية ، ولم يخرج من طاعته ، ولكنه أبى ان يشتم علياً ، وانكر شتمه على المنابر ، وهذا هو الجرم الذي استحق به القتل هو واصحابه . كان صيفي بن فسيل من اصحاب حجر ، فجيء به الى زياد فقال له : يا عـــدو الله ما تقول في ابي تراب ؟

قال صيفي : ما اعرف ابا تراب .

قال زياد : ما اعرفك به .

قال : ما اعرفه .

قال زياد : أما تعرف علي بن طالب ؟

قال : بلى .

قال زياد : فذاك ابو تراب .

قال : كلا ، ذاك ابو الحسن والحسين .

قال زياد لجلاوزته : عليّ بالعصا ، فأتي بها . فالتفت الى صيفي ، وقـال : ما قولك ؟ قال : أحسن قول انا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين. فقال زياد: اضربوه حتى يلصق بالأرض ، فضربوه حتى لزم الأرض . وعندها قال له زياد : ما تقول في علي ؟ قال : والله لو شرحتني بالموسى والمدى ما قلت إلا مـا سمعت مني . قال زياد : لتلعننه .. أو لأضربن عنقك . قال : اذن والله لتضربهـا قبل ذلك [1] .

قال الدكتور طه حسين في كتاب « علي وبنوه » فصل ٥١ :

---

(١) ذخيرة الدارين ص ٣ .

وكان حجر رجلاً من صالحي الاسلام ، وفد على النبي (ص) مع اخيه هاني فيمن وفد عليهم من قومهما . ثم شارك في حرب الشام ، وأحسن فيها البلاء ، وكأنه كان في مقدمة الجيش الذي دخل مرج عذراء قريباً من دمشق — وهو المكان الذي قتل ودفن فيه — ثم تحول الى العراق ، فشارك في غزو بلاد الفرس وأبلى احسن البلاء في نهاوند ، ورابط في الكوفة مع المرابطين بعد الفتح ، وكان رجلاً حراً صادق الدين ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويرضى عن السلطان ان احسن ، ويسخط عليه ان اساء ... ولم يخلع يداً من طاعة ، ولكنه ينكر اشد الانكار سنة بني امية في شتم علي على المنابر ، ولم يكن يخفي انكاره .

وألقى زياد بن سمية القبض على حجر وسجنه مع ثلاثة عشر من اصحابه ، ثم ارسلهم الى معاوية .. فأمر معاوية ان يحبسوا بمرج عذراء ، وهي قرية بضواحي الشام — ولما عرف حجر انه بهذه القرية قال : والله اني لأول مسلم نبحته كلابها ، واول مسلم كبر بواديها — يشير الى انه كان اول مسلم جاهد وحارب على ارض هذه القرية — وأمر معاوية ان يعرض على حجر واصحابه البراءة من علي ولعنه ، وتولي عثمان ، فمن فعل ذلك منهم أمن ، ومن أبى قتل . وشفع جماعة من اهل الشام عند معاوية في بعض هؤلاء الرهط ، وقبل شفاعتهم ، ولم يبق منهم إلا ثمانية ، فعرضت عليهم البراءة فأبوا إلا اثنان طلبا ان يحملا الى معاوية ، وأظهرا انهما على رأي معاوية ، فاجيبا الى طلبهما وقتل الآخرون ، وهم ستة ، وكانوا اول من قتل صبراً من المسلمين . وحمل الرجلان الى معاوية ، فأما احدهما فأظهر البراءة على لسانه ، واما الآخر فأبى ان يتبرأ من علي ، وأسمع معاوية في نفسه وفي عثمان ما يكره ، فرده معاوية الى زياد ، وامره ان يقتله شر قتلة ، فدفنه زياد حياً .

وكذلك انتهت هذه المأساة المنكرة التي استباح فيها امير من امراء المسلمين ان يعاقب الناس على معارضة لا اثم فيها ، واستحل هذه البدع ، واستباح

« إمام » من أئمة المسلمين لنفسه ان يقضي بالموت على نفر من الذين عصم الله دماءهم ، دون ان يراهم ، او يسمع لهم ، او يأذن لهم في الدفاع عن انفسهم ، وما اكثر ما ارسلوا اليه انهم على بيعتهم لا يقيلونها ولا يستقيلونها » .

وترك مقتل حجر اسوأ الأثر في النفوس ، فمات الربيع بن زياد غماً حين سمع بذلك ، وقيل لأبي اسحق السبيعي : متى ذل الناس ؟ قال : حين مات الحسن ، وادعي زياد ، وقتل حجر بن عدي . وقال معاوية بن خديج : ألا ترون إنا نقاتل لقريش، ونقتل انفسنا لتثبت ملكها، وانهم يثبون على بني عمنا فيقتلونهم؟! وقالت عائشة : سمعت رسول الله يقول : سيقتل بعذراء اناس يغضب الله لهم وأهل السماء ... وهممت ان اثور من اجل حجر ، ولكن خفت ان تتجدد وقعة الجمل . وقال الدكتور طه حسين :

« كان قتل حجر حدثاً من الاحداث الكبار ، ولم يشك احد من الاخيار الذين عاصروا معاوية في انه كان صدعاً في الاسلام ، بل لم يشك معاوية نفسه في انه كان كذلك » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عمرو بن الحمق :

كان عمرو بن الحمق من اصحاب رسول الله ، وقد أسلم قبل الفتح ، وكان مقرباً لدى النبي ، وقد دعا له ان يمتعه الله بشبابه . فبلغ الثمانين من العمر ، ولم تبيض له شعرة واحدة. ودعا له امير المؤمنين بقوله : « اللهم نوّر قلبه بالتقوى، واهده الى صراطك المستقيم » .

وحين تولى زياد امارة الكوفة من قبل معاوية طلب عمراً ، فهرب منه ، فاعتقل زوجته آمنة بنت الشريد وسجنها ، ثم تعقب عمراً حتى ظفر به جلاوزة زياد . وقطعوا رأسه ، فبعث به زياد الى معاوية ، وهو اول رأس طيف به في

الاسلام ، وكان من حلم معـــاوية ورقته وكرمه ان بعث بالرأس الى زوجتـــه السجينة ، وألقي في حجرها ، فوضعت كفها على جبهته ، ولثمت فمه ، وقالت غيبتموه عني طويـــلا ، ثم أهديتموه لي قتيلا ، فأهلا به من هديه غير قاليـــة ولا مقلية .

وبعد ، فهل من ريب في شبه يزيد بأبيه معاوية ؟!.. قطع يزيد رأس الحسين وطاف به امام نسائه واطفاله ، ليكون أوجـــع لقلوبهن ، وقطع معاوية رأس عمرو ، وطاف به ، وأهداه الى زوجته السجينة ، ووضعه في حجرها كي لا يفوت عليها الحسرة واللوعة !.. وهكذا الشجرة المرة لا تحمل إلا مراً !..

رشيد الهجري :

كان من تلاميذ الامام وخواصه ، عرض عليه زياد البراءة واللعن ، فأبى ، فقطع يديه ورجليه ولسانه ، وصلبه خنقاً في عنقه .

جويرية بن مسهر العبدي :

اخذه زياد ، فقطع يديه ورجليه ، وصلبه على جذع نخلة ، وغير هؤلاء كثر لا يحصى عديدهم .

في السجن :

والى جانب قطع الرؤوس والأيدي والأرجل والصلب ودفن الاحياء ، فقد كان سجن معـــاوية يغص بالشيعة رجالا ونساء ، وكان معـــاوية يزور هؤلاء السجناء يبرد من غلته ، ويخفف عنه ألم الحقد واللؤم ، ولكن سجنـــاء الشيعة

كانوا يسمعونه ما يزيده حرقة وألماً ، قال المسعودي في الجزء الثالث من مروج الذهب طبعة ١٩٤٨ ص ٤٩ وما بعدها :

« حبس معاوية صعصعة بن صوحان ، وعبدالله بن الكواء ، ورجالاً من اصحاب علي مع رجال من قريش ، فدخل عليهم معاوية ، وقال : اي الخلفاء رأيتموني ؟ فقال له ابن الكواء : انك واسع الدنيا ضيق الآخرة ... تجعل الظلمات نوراً ، والنور ظلمات . وقال له صعصعة : انى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً ، ودانهم كبراً ، واستولى بالباطل كذباً ومكراً ! اما والله ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى ... وكنت انت وابوك في العير والنفير ممن اجلب على رسول الله (ص) ، وما انت الا طليق وابن طليق ، فأنى تصلح الخلافة للطليق ؟! » .

معاوية يقتل الابرياء صبراً ، ويدفنهم احياء ، ويقطع رؤوس الرجال ويهديها الى نسائهم المسجونات ، ويشرد بالطيبين ، ويسجنهم تحت الارض ، ويقطع الايدي والارجل ، فعل هذا واكثر من هذا بشيعة علي بعد ان بايعوه وانقادوا له لا يخرجون من طاعة ولا يفارقون الجماعة ، ومع ذلك قال قائل : كان معاوية رقيقاً حليماً كريماً . وقد اجاب الاستاذ جورج جرداق هذا القائل بصفحات من كتاب « الامام علي » ج ٤ فصل « معاوية وخلفاؤه » نذكر من هذه الصفحات ما يلي :

« كان حلم معاوية يتسع ، حتى ليهب عمرو بن العاص مصر واهلها ، وكان يضيق حتى يحرم الناس حقهم في الحياة .. واذا كان هذا هو الحلم فكل سفاح حليم ! . والذي يمعن النظر في سياسة معاوية يهوله هذا المقدار من قوى الشر والاحتيال التي تألف منها اسلوبه في اخذ الناس . فالنهب والترويع والتقتيل من سياسة معاوية المدروسة :

منها الوعد والوعيد ، ومنها الفتك بالاحرار ، ومنها اصطناع الخونة ، ومنها تمثيل السماء ارضاً ، والارض سماء ، ومنها الاحتيال على كل قيمة انسانية ، ومنها مساومة اصحاب الضمائر السود ، ومنها الاستئناس بمعونة السفاحين .. ولا يكون معاوية إلا كذلك بحكم تولده من ابي سفيان وهند آكلة الاكباد » .

معاوية يخدم التشيع :

استدل الشيعة بآيات من القرآن الكريم ، وبأحاديث من السنة والنبوة ، وبأدلة من العقل على وجوب الموالاة لأهل البيت ، والاقتداء بهم ، والتمسك بحبلهم ، والبراءة من اعدائهم ، ووضعوا العديد من الكتب في فضائلهم ومناقبهم ، ولكن هذه الكتب ، وتلك الأدلة لم يكن لها من التأثير في تثبيت مذهب التشيع وانتشاره ما كان لسياسة معاوية وخلفائه الامويين . ان مظالم امية كانت خيراً من ألف كتاب وكتاب ، وابلغ من ألف دليل ودليل على مكانة امير المؤمنين وحقه الالهي في الخلافة .

ان العبارات الكلامية ، والاقيسة المنطقية ، وان استوفت الشروط ، ووصفت بالصدق إلا انها لا تعطي النتيجة التي تعطيها الوقائع والحوادث ان الواقعة تماماً كالآلة في المختبر لا تقبل نتيجتها التشكيك والتأويل ، وايام معاوية في الحكم كلها وقائع مادية تثبت ان علياً هو الامام الحق ، وقديماً قيل : والضد يظهر حسنه الضد . ان شهادة معاوية على نفسه بأنه لم يقاتل اهل الكوفة من اجل الصلاة والزكاة والحج ، بل من اجل التأمر عليهم والتحكم بأنفسهم واموالهم ، ان هذه الشهادة لا تظهر بجميع مساوئها إلا اذا قورنت بقول الامام

مشير الى حذائه بأنه خير من الامارة والدنيا كلها إلا ان يقيم حقاً او يدفع باطلا .

حاول معاوية ان يمحي ذكر الامام واولاده من الوجود ، وان يحمل الناس على حب عثمان والامويين ، ولكن بالاضطهاد والاستبداد ، والاساءة الى الناس ـ وهذا من دهائه ومهارته في السياسة !.. ـ فجاءت النتيجة على عكس ما اراد، وكان كالباحث عن حتفه بظلفه ، حيث اصبح اسم امية رمزاً للفجور والظلم والفساد ، والاسم العلوي علماً للهداية والحق والفداء . قال عبدالله بن عروة بن الزبير لولده : يا ولدي عليك بالدين ، فان الدنيا ما بنت شيئاً إلا هدمه الدين ، واذا بنى الدين شيئاً لم تستطع الدنيا هدمه ، انظر علي بن طالب ما يقول فيه خطباء امية من ذمه وعيبه ، والله لكأنما يأخذون بناصيته الى السماء ، الا كيف يندبون موتاهم ، ويرثيهم شعراؤهم ، فوالله كأنهم يندبون الجيف . وقال الدكتور طه حسين في كتاب « علي وبنوه » :

« وليس شيء من سياسة الناس يروج للآراء ، ويغري الناس باتباعها كالاستبداد الذي يعطف القلوب على الذين تلم بهم المحن ، وتصب عليهم الكوارث ، وتبسط عليهم يد السلطان ، والذي يصرف القلوب عن هذا السلطان الذي يدفع الى الظلم ، ويمعن فيه ، ويرهق الناس في امرهم عسرا . لذلك عظم امر الشيعة في الاعوام العشرة الاخيرة من حكم معاوية ، وانتشرت دعوتهم اي انتشار في شرق البلاد الاسلامية ، وفي جنوب بلاد العرب ، ومات معاوية حين مات ، وكثير من الناس ، وعامة اهل العراق بنوع خاص يرون بغض بني امية ، وحب اهل البيت لأنفسهم ديناً » .

هذا هو مذهب التشيع بعينه : حب اهل البيت وبغض بني امية ، وهـــذا ما عمل له معاوية بنفسه ، ونشره في كل قطر من حيث أراد القضاء عليـــه ! . . مات معاوية ، وبقي التشيع لعلي وابناء علي ، وسيبقى الى ابد الابدين . ولو جـاز الشكر على الاساءة لحمدنا معاوية على ما اسداه لمذهب التشيع من خدمات .

من المسؤول عن انشقاق المسلمين :

وبعد ان قدمنا أمثلة ونماذج من سياسة معـــاوية مع شيعة علي نتساءل : من المسؤول عن انشقاق المسلمين ؟ ومن السبب في تقسيمهم الى شيعة وسنة ؟ هـــل الشيعة او شيوخ السنة ، او الذي تحكم في مصير النـــاس ، وسلبهم حريتهم ، واستحل دماءهم ، وأسس لمن جاء بعده من الحاكمين اساس الظلم والجور على اهـــل البيت وشيعتهم ؟ ومن الذي سبق الى سب الصحـــابة وشتمهم على المنابر ، وجعل لعنهم والنيل من كرامتهم سنة يربو عليهـــا الصغير ، ويهرم الكبير ، ودفـع الاموال والجوائز للشتامـــين واللاعنين ، وقتل وشرد وزلزل الارض بمن امتنع عن السب واللعن ، من فعل ذلك كله ؟ هل الشيعة ؟! . .

وقال قائل : ما لنا ولهذه الابحاث ؟ ولمـــاذا نتساءل عن السبب بعـــد ان اصبحت عظام الاولين رميمة ؟! فلندع هذه السفاسف وندفن الماضي ونتعاون على الحاضر .

قلنا في جوابه : اجل ، يجب دفن الماضي ، وان نتحد ونتعاون ، ولكن آثار تلك العظام الرميمة ما زالت باقية في قلوب الكثيرين تعمل عملها ؛ وتتخذ منها دليلا وحجة .

وغريبة الغرائب ان بعض اتباع تلك السلام الرميمــة لا يدعون الى الاتحاد إلا في ظروف خاصة ، حيث يعوزهم الدليل والبرهان ! . امــا اذا وجدوا سبيلا للثلب فانهم يتناسون الوحدة والتعاون ، واذا كانت هناك غنيمة استأثروا واحتكروا . ان معنى التمــاون ان يعمل الاخوان لخير الاثنين ، اما اذا اغتصب احدهما حق الآخر ، واتخذ منه أداة لغـاياته فهو لؤم وعداء ، لا تعاون واخاء .

لا جديد عند يزيد !.

•

حدثني ايام دراستي في النجف طالب تركي من اذربيجان ، قال : ان ابي عالم ديني في مدينة اردبيل ، وإمام لأعظم مساجدها ، وله اتباع كثر يثقون به ، ويرجعون اليه في امور دينهم . وفي ذات يوم ، والناس جلوس بين يديه في ادب وخشوع ، وانا معهم اذ استفتاه احدهم في مسألة دينية ، فأجابه ابي بجواب اعتقده صواباً ، وكنت ادرس عند ابي في كتاب « القوانين » .

واغتنمت الفرصة لاظهار مقدرتي ، وقلت لأبي امام الناس : ان الحق بعكس ما قلت ، والجواب الصحيح هو كذا . فاغتاظ ابي من هذه المفاجأة ، ورآها سوء ادب ، حيث اعلنت خطأه امام اتباعه الذين يرونه فوق الجميع . فانتهرني بشدة ، وقال اسكت يا حمار . فتركته واسرعت الى المكتبة ، واستخرجت الجواب من الكتاب ، وأتيته به ، وهو ما زال في مكانه مع جماعته واتباعه، وقلت بمشهدهم قول الظافر المنتصر : الكتاب هو الجواب ، لا قولك: حمار ، وكانت هذه اشد من الاولى .

ولكن ابي تمالك ، واخذ الكتاب مني بهدوء ، ونظر فيه ، وما لبث ان

التفت الى الحاضرين ، وقال مبتسماً : لو انتصر عليّ غير ولدي لفضلت الانتحار على الحياة . اما واني مغلوب لولدي فأنا اشعر بالغبطة والسرور . ان الانسان لا يحب ان ينتصر عليه احد اياً كان إلا ولده .

ولو كان معاوية حياً في السنوات الثلاث التي حكم فيها ولده يزيد ، ورأى ما فعله في السنة الاولى من قتل الحسين ، وذبح اطفـــاله وانصاره ، وسبي نسائه ، وفي السنة الثانية من اباحة مدينة الرسول ، وانتهاك حرمة ألف عذراء او يزيد ، وقتل احد ألفاً من اهلها بينهم سبعمئة من المهاجرين والانصار اصحـــاب النبي وفي السنة الثالثة من رمي الكعبة في المنجنيق . لو رأى معـــاوية هذه المخزيات من ولده يزيد لقبل ما بين عينيه ، وقال له : انت مني وانا منك ، وكلانا من هنـــد آكلة الاكباد !..

ولم يكتف بما احدثه في كربلاء المقدسة والمدينـــة المنورة ، ومكة المكرمة ، حتى ولى عبيـــد الله بن زياد على الكوفة ، ليمثل الدور الذي مثله ابوه زياد مع البقية الباقية من الشيعة ، فسجن وشرد وقتل وصلب وقطع الايدي والارجل ، قال لميثم التمار تلميذ الامام وصاحبه : لتبرأن من علي او لأقطعن يديك ورجليك واصلبنك . فما كان من ميثم إلا ان امتدح عليـــاً ، ولعن ابن زياد والامويين ، فقطع يديه ورجليه ولسانه ، وصلبه ميتاً !..

وأي شيء افظع من الخطة التي رسمهـــا لوقعة الطف ، كتب لعميله عمر بن سعد : « ازحف الى الحسين واصحابه حتى تقتلهم ، وتمثل بهم ، فانهم لذلـــك مستحقون !.. وان قتل الحسين فاوطيء الخيل صدره وظهره فانه عاق ظلوم !. ولست ارى ان هذا يضر بعد الموت ، ولكن على قول قلتـــه : لو قتلت الحسين لفعلت هذا به ، فان انت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع ، وإلا فسلم الامر الى شمر بن ذي الجوشن ، فقد امرناه بأمرنا . وكان مما امر بـــه شمر ان يذبح اولاد الحسين حتى الرضيع ، ولا يبقي من نسل علي باقية وقد فصلنا ذلك في كتاب « المجالس الحسينية » .

في كتاب « المجالس الحسينية » .

لقد كان الشبه تاماً من جميع الجهات بين يزيد وابيه معاوية ، وبين عبيد الله وابيه زياد ، لأن المبدأ واحد ، وهو الحرب والعداء لله ورسوله ينفذه كل منهم حسب مقدرته وموهبته ، والعوامل واحدة وهي الحقد واللؤم ، والاشخاص هم انفسهم لا تغيير ولا تبديل إلا في الاسماء والاساليب .

كانت ايام يزيد في الحكم ثلاث سنين وثمانية اشهر إلا ثماني ليالٍ ، وعلى كثرة ما مرّ بالتاريخ من المظالم والمخزيات فانهـا لم تترك من الذكريات الرهيبة مـا تركته ايام يزيد ، فانها وصمة عار في تاريخ المسلمين ، الى يوم يبعثون ، وهل ينسى الدهر دماء الحسين الذي ما ان يزال يسيل طرياً على مر الايام وكر العصور والذي هو طعنة نجلاء في صميم الاسلام ، كما قـال الشيخ العبيدي مفتي الموصل ، وصدق المغيرة بن شعبه حين اشار على معاوية باخـذ البيعة ليزيد ، صدق حيث قال : لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على امة محمد ، وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق ابداً .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

معاوية الثاني :

وقبل ان يموت يزيد اخذ البيعة على النـاس لولده معاوية ولكن معاوية استقال منها بعد وفاة ابيه ، قـال ابو المحاسن في كتاب النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٦٤ الطبعة الاولى سنة ١٩٢٩ : « خطب معاوية بن يزيد الناس ، وقـال : ايهـا الناس ان جدي معاوية نازع الامر اهله ، ومن هو أحق بـه لقرابته من رسول الله (ص) وهو علي بن ابي طـالب ، وركب لكم مـا تعلمون حتى اتته منيته ، فصار في قبره رهيناً بذنوبه ، واسيراً بخطاياه ، ثم تقلد ابي الامر ، فكان غير اهل لذلك ، وركب هواه ، واخلفه الامل ، وقصر به الاجل ، وصار في قبره رهيناً بذنوبه ، واسيراً بجرمه .

ثم بكى معاوية بن يزيد حتى جرت دموعه على خديه ، وقال : ان من اعظم الامور علينا علمنا بسوء مصرعه ، وبئس منقلبه ، وقـــد قتل عترة رسول الله ، واباح الحرم ، وخرب الكعبة ، ومـــا أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فشأنكم وأمركم ، .

وقالت له امه : ليتك كنت حيضه . قال : يا ليت . اجل ان الحيضة افضل من الانتساب الى يزيد ومعاوية بن ابي سفيان . ومات بعـد ايام قصيرة ، قيل ان الامويين دسّوا اليه السم ، لأنه على غير شاكلتهم .



بنو مروان

●

انتقل الحكم من بني سفيان بعد هلاك يزيد الى مروان بن الحكم ، وكانت ايامه تسعة اشهر ، قضاها بالمشاكل ، والحروب الداخلية مع السفيانيين من جهة وابن الزبير من جهة اخرى، ولم تسنح الفرصة لابراز مواهبه ، وتفننه بالتعذيب والتنكيل ، وعلى قصر ايامه فقد انتهج سنة معاوية ويزيد من سب سيد الكونين على المنابر، وايواء الجلادين امثال عبيدالله بن زياد، والحصين بن نمير، وشرحبيل بن ذي الكلاع، آواهم وجهزهم لقتال التوابين، وفيهم سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري ، وعبدالله الازدي وغيرهم من رؤوس الشيعة ، وكانوا خمسة آلاف ، وهم اول خلق الله نادى بثارات الحسين (ع) ، فقتلوهم ونكلوا بهم ، ولم ينج منهم إلا قليل .

وافضى الامر بعد مروان لولده عبد الملك ، وكان يحكم الشام ، وعبدالله بن الزبير يحكم الحجاز ، وكانا يتنازعان العراق . وقام بين الطرفين حروب دامية ، وعلى ما بينهما من العداء والقتال ، فقد اتفقا على التنكيل بشيعة علي ، فعبدالملك ووالده مروان اعانا عبيدالله بن زياد على قتل التوابين ، وابن الزبير قتل المختار وجماعته .

ابن الزبير :

قال المسعودي :

« قتل مصعب المختار وجماعته ، وهم سبعة آلاف رجل ، كل هؤلاء طالبوا بدم الحسين ، فقتلهم مصعب .. وأتى بنساء المختار فدعاهن الى البراءة منه ، ففعلن إلا اثنتين قالتا : كيف نتبرأ من رجل يقول : ربي الله ، كان صائماً نهاره، قائماً ليله ، بذل دمه لله ولرسوله في قتلة ابن رسول الله (ص) واهله وشيعته ، فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس.. فكتب مصعب الى اخيه عبدالله بخبرهما، وما قالتاه ، فكتب اليه : ان هما رجعتا عما هما عليه ، وتبرأتا منه ، وإلا فاقتلهما ، فعرضهما مصعب على السيف ، فرجعت احداهما ، وأبت الاخرى وقالت : كلا هذه شهادة ارزقها ، فكيف اتركها ؟! انها موتة ، ثم الجنة ، والقدوم على رسول الله واهل بيته ، والله لا آتي مع ابن هند ، واترك علي بن طالب ... اللهم اشهد اني متبعة لنبيك وابن بنته واهل بيته وشيعته . ثم قدمها مصعب ، فقتلت صبراً ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ان من اعجب الاعاجيب عندي قتل بيضاء حرة عطبول
قتلوها ظلماً على غير جرم ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

كان ابن الزبير العدو الاكبر للامويين ، ولكن عداءه لم يكن للدين بل للدنيا ، ومن اجلها اشتبكا في معارك دامية ، قتل فيها عشرات الالوف ، لقد اختلفا ، ولكن على السلب والنهب ، والتحكم بدماء الناس واموالهم ، اما الدين والمبدأ فواحد، شتم الامويون اخا الرسول على المنابر، وشتمه ابن الزبير كذلك، فلقد خطب يوماً ، ونال من امير المؤمنين ، تماماً كما فعل الامويون ، فبلغ ذلك محمد بن الحنفية، فجاء اليه، وهو يخطب، فقطع خطبته، وقال : يا معشر العرب

شاهت الوجوه ، أينتقص علي ، وانتم حضور ؟!.. ان علياً كان يد الله على اعدائه ، وصاعقة من الله على الكافرين به والجاحدين لحقه ، فقتلهم بكفرهم فبغضوه .

وبقي ابن الزبير اربعين يوماً لا يصلي على النبي في خطبته ، ولما عوتب قال: ان له اهل بيت سوء اذا ذكرته اشرأبت نفوسهم ، وفرحوا بذلك ، فلا احب ان اقر عيونهم. وقال الامام: ما زال منا الزبير حتى نشأ ولده المشؤوم عبدالله. وكان الامويون يقتلون الرجال والنساء على التشيع لأهل البيت ، وهكذا كان يفعل ابن الزبير .

وصدق الذي قال : ما كان حقيقة منذ آلاف السنين ما زال حقيقة حتى اليوم ، ان حال ابن الزبير والامويين بالقياس الى الشيعة تنطبق تماماً على حال الدول الاستعمارية في هذا العصر حيث يختلفون فيما بينهم على بترول الشرق ، واحتكار الاسواق ، واستغلال رؤوس الاموال في البلاد التي تنتج الطعام والذهب ، ويتفقون يداً واحدة على التنكيل بالاحرار ، ويقيمون الاحلاف العسكرية هنا وهناك ضد الشعوب المستضعفة التي تريد الحياة بحرية وسلام .

نحن الآن في الشهر الثاني من سنة ١٩٦١ ، وفيه بالذات تقف دول الاستعمار صفاً واحداً ، وجنباً الى جنب تدافع عن كازافوبو ، وموبوتو وتشومبي وعملاء الاستعمار البلجيكي ، وتناصر الذين قتلوا الزعيم الوطني لومومبا رئيس وزراء الكونغو الشرعي والذي هدد مصالح الاستعمار في القارة السوداء بكاملها .

وفي جميع المواقف والمناسبات تقف الدول الاستعمارية – على ما بينها من التناقضات ضد العناصر الوطنية . وهكذا كانت الحال بين عبد الله بن الزبير والامويين يتخاصمون ويتنافسون على الحكم الاستبدادي ، ويتفقون ضد المؤمنين الاحرار ، وبخاصة شيعة علي .

عبـد الملك :

انتهت المركة بـين عبد الملك وابن الزبير بقتل الثاني وانتصار الاول ، وحاول عبد الملك ان ينهج منهجاً جديداً مـع ابناء علي يخالف نهج اسلافه ، فكتب الى عامله الحجاج : « انظر دماء بني عبد المطلب ، فاحقنها واجتنبها ، فاني رأيت آل ابي سفيان لما ولغوا فيها لم يلبثوا إلا قليلاً » .

أوصى عبد الملك جزاره ان يجتنب دماء بني عبد المطلب فقط لا غـير ، لا حباً بالرسول ، ولا خوفاً من الله ، بـل خوفاً على عرشه وسلطانه بعد ان رأى بعينه العبرة في آل ابي سفيان ، امـا غير آل عبد المطلب ، اما من آمن بالله والرسول ، اما شيعة اهل البيت فدماؤهم حلال ما دامت لا تضر بالملك وتثبيت الحكم . ونسي عبد الملك انـه لا فضل لعربي على اعجمي في الاسلام ، وان الانظمة الاستبدادية تحطم اهلها عاجلا او آجلا ، وان دماء الاحرار – من قريش او غير قريش – تغذي شجرة الحرية وبها تنمو وتثمر .

نهى عبد الملك الحجاج عن دمـاء بني عبد المطلب ، وفي نفس الوقت أباح له ان يحاصر مكة ويهدم الكعبة ، وسلطه على الحجاز والعراق ، وأطلق يـده في التقتيل والتعذيب في أبشع الصور وأفظعها .

الحجاج :

كان الحجاج سفاكاً بطبعه ، يقتل الناس حتى الشيوخ والصبيان لا لشيء إلا حباً بالقتل وإراقة الدماء ، وكانت تهمة التشيع المبرر الوحيد لضرب الاعناق ، وفي عهده كان أحب الى الرجل ان يقال له : زنديق وكافر من ان يقال له : شيعي !.. قال ابن الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ١٥ :

« قال الامــــام محمد الباقر : قتلت شيعتنا بكل بلد ، وقطعت الايدي والارجل على الظنة ، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع الينا سجن أو نهب ماله ، أو هــدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشتد ، ويزداد الى زمن عبيــد الله بن زياد قاتل الحسين ، ثم جاء الحجاج ، فقتلهم كل قتله ، وأخذهم بكل ظنة وتهمــة ، حتى ان الرجل ليقــال له : زنديق او كافر احب اليه من ان يقــال شيعة علي » .

أتي للحجاج برجلين من شيعة علي ، فقال لأحدهما ؟ ابرأ من علي . فقــال له : وماذا فعل حتى ابرأ منه ؟. قال : قتلني الله ان لم اقتلك ، فاختر لنفسك قطع يديك او رجليك . فقال له الرجل : اختر انت لنفسك اي قتلة تريد ان اقتلك بهــا غداً ، فان الله سبحانه سيجعل لي القصاص منك ، فأفعل بك ما تفعله بي الآن . فقال له الحجاج ساخراً : اين ربك ؟! قال : هو بالمرصــاد لكل ظالم . فأمر بقطع يديه ورجليه وصلبه ، ثم التفت الى الآخر ، وقال له : مــا تقول انت ؟ فقال له : انا على دين صاحبي الذي قتلته . فأمر ان تضرب عنقه ويصلب .

قنبر مولى امير المؤمنين :

اصبح للحجاج ذات ، فقال لجلاوزته : احب ان اصيب رجلاً من اصحاب ابي تراب . فقالوا : ما نعلم احداً كان اطول صحبة له من مولاه قنبر . فبعث في طلبه ، وقال له : انت قنبر ؟. قال : نعم . قــــال له : ابرأ من دين علي . فقال : هل تدلني على دين افضل من دينه ؟! قال : اني قاتلك ، فاختر اية قتلة احب اليك . قــال : اخبرني امير المؤمنين ان ميتتي تكون ذبحــاً بغير حق . فأمر به فذبح كما تذبح الشاة .

كميل بن زياد :

كان كميل من خيار الشيعة وخاصة امير المؤمنين ، طلبه الحجاج ، فهرب منه ، فحرم قومه عطاءهم ، فلما رأى كميل ذلك قال : انا شيخ كبير ، وقد نفذ عمري ، ولا ينبغي ان اكون سبباً في حرمان قومي ، فاستسلم للحجاج ، ولما رآه قال له : كنت احب ان اجد عليك سبيلاً . فقال له كميل : لا تبرق ولا ترعد، فوالله ما بقي من عمري إلا مثل الغبار، فاقض، فان الموعد الله عز وجل، وبعد القتل الحساب ، ولقد اخبرني امير المؤمنين انك قاتلي . فقال الحجاج : الحجة عليك اذن . فقال : ذاك ان كان القضاء لك . قال : بلى اضربوا عنقه .

سعيد بن جبير :

كان سعيد بن جبير من التابعين ، وكان معروفاً بالعفة والزهد والعبادة وعلم التفسير ، وكان يسمى جهبذ العلماء ، وكان يصلي خلف الامام زين العابدين ، فأخذه خالد بن عبد الله القسري ، وارسله الى الحجاج ؛ فلما رآه قال له : انت شقي بن كسير . فقال : امي أعرف باسمي منك . قال له الحجاج : ما تقول في ابي بكر وعمر ، هما في الجنة او في النار ؟ قال : لو دخلت الجنة لعلمت من فيها ولو دخلت النار، ورأيت اهلها لعلمت من فيها . قال: ما تقول في الخلفاء؟ قال : لست عليهم بوكيل . قال : أيهم احب اليك ؟ قال : ارضاهم لله . قال : فأيهم ارضى لله ؟ قال : علم ذلك عند ربي يعلم سرهم ونجواهم . قال : أبيت ان تصدقني . قال : بل لم احب ان اكذب .

فأمر الحجاج بقتله ، فقال سعيد : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً مسلماً وما انا من المشركين. فقال الحجاج: شدوه الى غير القبلة .

فقال : اينما تولوا فثم وجه الله ، فقال : كبوه على وجهه . قال : منهـا خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ، ثم ضربت عنقه .

قال ابن الاثير : لما سقط رأس سعيد الى الارض هلل ثلاثاً ، افصح بمرة ، ولم يفصح بمرتين ، ولمـا قتل التبس عقل الحجاج ، وكان يقول : قيودنا قيودنا ، واذا نام يرى سعيداً في منامه آخـذاً بمجامع ثوبه ، ويقول : يا عدو الله فيما قتلتني ؟.

وقال المسعودي في ج ٣ ص ١٥٢ طبعة ١٩٤٨ :

كان عبدالله بن هاني من خواص الحجاج ، وكان دميمـاً شديد الادمة ، مجدوراً في رأسه نتوء ، وكان مائل الشدق أحول العينين قبيح الوجه ، فزوجه الحجاج بقوة السيف بنت اسماء بن خـارجة سيد بني فزارة ؛ وبنت سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية ، فقال الحجاج له يوماً فيما قال : زوجتك بنت سيد فزارة وبنت سيد اليمانية ، ولست هناك ، فقال له : لا تقل ذلك ، فان لنـا مناقب ليست لأحد من العرب .

قال الحجاج : وما هي ؟ قال : ما سب عثمان في نادينا قط . قال الحجاج : منقبة والله . قال : وشهد منا مع معاوية في صفين سبعون رجلاً ، وما شهد منا مع ابي تراب الا واحد ، وكان امرأ سوء . قال الحجاج : وهـذه منقبة والله . قال : وما تزوج احد منـا امرأة تحب ابا تراب . قال الحجاج : منقبـة والله . قال: وما منا امرأة إلا نذرت ان قتل الحسين ان تنحر عشر جزر. قال الحجاج: منقبة والله . قال : وما منا رجل عرض عليه شتم ابي تراب إلا شتمه وزاد عليه شتم الحسن والحسين وامهما فاطمة . قال الحجاج : منقبة والله .

وقال ابن الاثير في ج ٤ ص ٢٦ طبعة ١٣٥٧ هـ :

لما فرغ الحجاج من ابن الزبير قدم المدينـة ، وأساء الى اهلها ، وختم ايدي

جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم ، منهم جابر بن عبدالله الانصاري ، وسهل بن سعد ، وقال الطبري : بل ختم اعناقهم . وقال ابن الاثير في ص ٨٦ : ان الحجاج كان ينزل الجند في بيوت الناس ، وهو اول من فعل ذلك ، واصبح سنة من بعده ؛ ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها .

وقال المسعودي في مروج الذهب ج ٣ طبعة ١٩٤٨ ص ١٧٥ :

تأمر الحجاج على الناس عشرين سنة ، واحصى من قتله صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه ، فوجد مئة وعشرون الفاً ، ومات الحجاج ، وفي حبسه خمسون الف رجل ، وثلاثون الف امرأة ، منهن ستة عشر الفاً مجردة – عارية من الثياب – وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد ، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ، ولا من المطر والبرد في الشتاء ، وكان له غير ذلك من العذاب .

وعن تاريخ ابن الجوزي ان سجن الحجاج كان مجرد حائط يحوط السجناء ، ويمنعهم من الخروج ، ولا سقف له ، فاذا آوى المسجونون الى الجدران يستظلون بها من حر الشمس رمتهم الحرس بالحجارة ، وكان يطعمهم خبز الشعير مخلوطاً بالملح والرماد ، وكان لا يلبث الرجل في سجنه الا يسيراً ، حتى يسود ويصير كأنه زنجي ، وقد حبس فيه غلام ، فجاءت امه بعد ايام تتفقده ، فلما قدم اليها انكرته ، وقالت : هذا ليس ولدي ، هذا زنجي ، وحين تأكدت انه ولدها ، شهقت وماتت في مكانها .

هذه أمثلة يسيرة من مظالم الحجاج الكثيرة التي ذكرها اهل السير والتاريخ. وما رأيت نظيراً للحجاج فيا قرأت وسمعت إلا نيرون الذي أحرق روما ، ثم جلس يقهقه ، وهو ينظر الى ألسنة النيران ، تأكل النساء والشيوخ والاطفال ، لقد كان الحجاج عدو الله والانسانية بصفة عامة ، وعدواً لمحمد وآل بيته بصفة

خاصة ، فكانت ايامه اشد هولاً على الشيعة من ايام معاوية ويزيد - باستثناء يوم الطف - واذا علمنا ان في عهـــد الحجاج كان يفضل الرجل ان يقال له : انت زنديق وكافر على ان يقال له : انت شيعي، اذا علمنا ذلك عرفنا مقدار الفظائع التي ارتكبها الحجاج بحق الشيعة ، لا لشيء الا لانهم شيعة .

وقد اعترف هو بهذه الحقيقة اكثر من مرة ، قال يومـاً لاهل الكوفة : « يا اهل الكوفة اني اريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ولدي محمداً ، واوصيته ان لا يقبل من محسنكم ، ولا يتجاوز عن مسيئكم .. شرح النهج لابن ابي الحـديد ج ١ ص ١١٤ » ومن المعلوم ان اهل الكوفـــة كلهم او جلهم شيعة علي ، وهكذا تراكمت الاهوال على الشيعة من عهد معاوية وزياد بن ابيـه ، الى يزيد وعبيدالله ابن زياد ، الى عبد الملك والحجاج ، الى ما هو ادهى وامر ، كما سنرى .

اختار عبد الملك هذا السفاح ، ليوطد الملك في العراق والحجاز ، فأخـذ يقتل الناس بالجملة ، وكأنهم ذباب وحشرات ، حتى الذين خلدوا الى الهـــدوء والسكون ، بل حتى الضعفــاء من النساء والشيوخ والأطفال . ومن اجل هذه الفظائع والفجائع التي روعت الوحوش كان الحجاج مكرماً ومعظماً عنـد عبد الملك واشركه في الحكم فولاه فضلاً عن العراق بلاد فارس وكرمان وسجستان وخراسان ، ثم ضم اليها بلاد عمان واليمن وسائر البلاد العربية واكرمه وحافظ عليه في حياته ، واوصى به اولاده بعد مماته ، قال ابن الاثير : لما شعر عبد الملك بهلاكه قال لاولاده : واوصيكم بتقوى الله ، واكرام الحجاج فانه الذي وطد لكم المنابر ، ودوخ البلاد ، واذل الاعداء .

يا لسخرية المنطق !.. اتقوا الله واكرموا الحجاج،واي فرق بين قوله هذا ، وقول القائل : الظلمة نور ، والباطل حق ، والعدل جور !؟. وهكذا منطق كل حاكم جائر في كل زمان ومكان ، فالعدل والتقوى ان يقتل ويسلب ويسجن ويصلب ، ويجوع وينهب في سبيل عرشه وتثبيت حكمـه ، هـــذا هو منطق

الطاغية ان يحكم بأمره ، ويستبد برأيه ، ومن عارض قتل امتثالا لامر الله وعملا بتقواه !.. قال صاحب العقد الفريد :

خطب يوماً عبد الملك ، فقال : ايها الناس اني والله ما انا بالخليفة المستضعف – يريد عثمان – ولا بالخليفة المداهن – يريد معاوية – ولا بالخليفة المأفون – يريد يزيد – فمن قال برأسه كذا – اي لا – قلنا بسيفنا كذا – ضربت عنقه – ثم نزل .

اخذ عبد الملك هذا الخطاب « البليغ » من خطاب يزيد بن المقنع العذري ، حيث قال : ان هلك هذا – وأشار الى معاوية – فهذا – وأشار الى يزيد – ومن أبى فهذا – وأشار الى سيفه – . على هذا الاساس قام حكم الامويين ، على القوة والعنف ، ومن هنا كان زوالهم ومحوهم من الوجود .

وقد أوحى بغي الحجاج وقسوته بأساطير طريفة ذكرها بعض المؤرخين ، وحفظها كثير من الناس ، منها ان يوسف الثقفي والد الحجاج دخل على ام الحجاج ، وارادها الى فراشه ، فقالت له : ان عهدك بذاك الساعة ، اي قاربتني منذ قليل ، فذعر من ذلك ، لانه لم يكن هو الذي قاربها منذ ساعة واخبر بعض الصالحين، فقال له: ان الشيطان قد تصور لها بصورتك ، وقاربها ، وحملت منه ، فلا تقربها حتى تلد ، فامتنع عنها فأتت بالحجاج ، ومنها انه ولد بلا دبر فثقب عن دبره ، ومنها انه ابى ان يقبل ثدي امرأة ، فتصور الشيطان بصورة رجل ، وقال لاهله : اذبحوا جدياً اسود ، واولغوه من دمه ، ففعلوا ، وكانت الدماء اول غذائه ، ومن هنا كان لا يصبر عن سفك الدماء واراقتها ، وكان يخبر هو عن نفسه بأن اعظم لذة عنده سفك الدماء وارتكاب امور لا يقدم عليها غيره ولا سبق اليها سواه .

وسواء أكانت هذه الحكايات صحيحة ، او من نسج الخيال فانها تعبر عن طبيعة الحجاج وشذوذه .

وبلغ الحجاج الرابعة والخمسين ، واصيب بمرض في معدته عذبه خمسة عشر يوماً أيقن اثناءها بالهلاك ، وحين رآه الطبيب اخذ لحماً وعلقه في خيط ، وسرحه في حلق الحجاج ساعة ، ثم اخرجه وقد لصق به دود كثير . كما سلط الله عليه مرض الزمهرير ، فكانوا يحيطونه بمواقد تشع منها النيران ، لتدفئته وكانت تدنى منه ، حتى تحرق جلده ، وهو لا يحس بها ؟..

وشكا الحجاج مرضه الى الحسن البصري ، فقال له : قد كنت نهيتك ان لا تتعرض للصالحين ، فلججت . فقال له الحجاج : انا لا اسألك ان تطلب لي من الله ان يفرج عني ، ولكني اسألك ان يعجل في قبض روحي . ولما مات سجد الحسن البصري شكراً لله ، وقال : اللهم انك قد أمته فأمت عنا سنته . ودفن في واسط ، ثم اعفي قبره واجري عليه الماء .

وجلس الوليد يتقبل التعازي فيه . ومن الخير ان نختم الكلام عن هذا الطاغية بقول عمر بن عبد العزيز : لو جاءت كل أمة بخبيثها ، وجئنا بالحجاج لغلبناهم .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الوليد بن عبد الملك :

مات عبد الملك سنة ست وثمانين هـ ، وكانت ولايته احدى وعشرين سنة ، وشهراً ونصفاً ، وتولى بعده ابنه الوليد .

قال المسعودي : « كان الوليد جباراً عنيداً ، ظلوماً غشوماً ، وكان قد اوصاه ابوه ان يكرم الحجاج ، ويلبس جلد نمر ، ويضع سيفه على عاتقه ، فمن أبدى ذات نفسه ضرب عنقه . ونفذ الوليد وصية الوالد ، فاطلق يد الحجاج بالتقتيل والتنكيل ، تماماً كما فعل ابوه ، وفي ايام الوليد قتل الحجاج سعيد بن جبير .

وروى ابن الاثير حكاية تدل على مكانة الحجاج عند الوليد ، وقرب

منزله منه ، قال : مرض الوليد مرضة اغمي عليه يوماً ، وظنوا انه قد مـات ، فلما بلغ الخبر الى الحجاج شد في يـده حبلا الى اسطوانة ، وقال : اللهم طالمـا سألتك ان تجعل منيتي قبل الوليد . وحين أفاق الوليد قال : ما اجد اشد سروراً بعافيتي من الحجاج !..

وكان عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة من قبل الوليد ، وكان ملجـأ لكل مظلوم ، يأوي اليه الهاربون من ظلم الحجاج في العراق ، فكتب كتاباً الى الوليد يشكو عسف الحجاج واعتداءه على اهل العراق ، فعزله الوليد ارضاء للحجاج ، ولم يكتف بذلك ، بل طلب من الحجاج ان يسمي من يشاء لتولية الحجـاز ، فأشار عليه بالجلاد خالد بن عبدالله القسري ، فولاه على مكة المكرمة .

قال ابن الاثير في حوادث سنة تسع وثمانين : في هذه السنة ولي خـالد بن عبدالله القسري مكة ، فخطب اهلهـا ، وقال : ايها الناس ايهما اعظم خليفة الرجل على اهله ـــ اي الوليد ـــ او رسوله اليهم ـــ اي ابراهيم ـــ ؟ ! والله لم تعلموا فضل الخليفة ... ان ابراهيم خليل الرحمن استسقاه ، فسقاه ملحاً اجاجاً ، واستقى الخليفة فسقاه عذباً فراتاً ـــ يعني بالملح زمزم ، وبالفرات بئر حفرهـا الوليد ـــ وكان خـالد ينقل ماء البئر التي حفرها الوليـد ، ويضعها في حوض الى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم ، فغـارت البئر ، وذهب ماؤها . وقـال صاحب الاغاني ج ١٩ ص ٥٩ وما بعدها : ان خالداً هذا كان يسمي ماء زمزم ام الجعلان ، وانه صعد المنبر ، وقال : الى كم يغلب باطلنـا حقكم ؟!.. أما آن لربكم ان يغضب لكم .. لو امرني امير المؤمنين نقضت الكعبة حجراً حجراً ، ونقلتها الى الشام .. والله لأمير المؤمنين اكرم على الله من انبيائه . ثم قال صاحب الاغاني : كان خالد زنديقاً ، وامه نصرانية ، فكان يولي النصارى والمجوس على المسلمين ، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم ، وقد أباح للنصارى ان يشتروا الجواري المسلمات وينكحوهن .

وقال المستشرق الالماني فلهوزن في كتاب « تاريخ الدولة العربية » ص ٣١٩: ان خالداً حين اصبح والياً بالكوفة بنى لأمه كنيسة في ظهر قبلة المسجد .. وحكيت عنه فضائح تقشعر منها الابدان ، وكان في حداثته يتخنث ويسعى بين الشباب والنساء ، وانه نال من كرامة الكعبة والنبي واهل بيته والقرآن ، وقال : لا يوجد رجل عاقل يحفظ القرآن عن ظهر قلب : ثم قال فلهوزن : وانه زنديق كافر فاسق .

وما كان الامويون يركنون الى احد ، او يولون احداً إلا اذا كان كافراً على شاكلتهم ، يفضلهم على محمد وجميع الانبياء والمرسلين .

وبالتالي ، فلا شيء اصدق في الدلالة على طغيان الوليد من اعتماده على الحجاج ، واقراره على ما كان عليه ايام ابيه عبد الملك ، سأل سليمان بن عبدالملك يزيد بن مسلم عن الحجاج ، وحاله يوم القيام . فقال له : يأتي غداً عن يمين ابيك عبد الملك ، ويسار اخيك الوليد ، فاجعله حيث شئت .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

سليمان عبد الملك :

مات الوليد سنة ست وتسعين ، وكانت ايامه تسع سنين وشهراً ، وقام مكانه اخوه سليمان ، وكان رجل طعام ونكاح ، قال المسعودي :

كان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار .. يأكل في كل يوم مئة رطل بالعراق ، وكان ربما اتاه الطباخون بالسفافيد ـ حديد يشوى عليه اللحم ـ التي فيها الدجاج المشوية ، فيلتهمها ، وكان يقبض على الدجاجة بكمه ، وهي حارة فيفصلها !.. وخرج يوماً من الحمام ، فاستعجل الطعام فقدم له عشرون خروفاً ، فأكل أجوافها كلها مع اربعين رقاقة ، ثم قرب بعد ذلك الطعام ، فأكل مع

ندمائه ، كأنه لم يأكل شيئاً !.. وكان يتخذ سلال الحلوى ، ويجعلها حول مرقده فاذا أفاق من نومه يمد يده ، فلا تقع إلا على سلة يأكل منها

وبقي سليمان في الحكم سنتين وأشهراً ، ولو امتدت به الحياة لفعل مثل ما فعلوا ؛ ومع ذلك فقد أقر ولاية خالد بن عبد الله القسري خليفة الحجاج في القسوة والبغي .

قال صاحب العقد الفريد في ج ٤ ص ١٩١ طبعة ١٩٥٣ ، صعد خالد المنبر يوم الجمعة ، وهو والي مكة في عهد سليمان ، فذكر الحجاج وأثنى عليه » .

وقتل سليمان الفاتح العربي الكبير موسى بن نصير الذي فتح بلاد المغرب كلها والاندلس ، اسبانيا والبرتغال اليوم ، قتله لانه اعطى الغنائم للوليد، ولم يؤخرها الى ان يتولى سليمان الحكم ، وقتل قتيبة بن مسلم الذي امتدت فتوحاته من بلاد فارس الى الصين ، وسبب قتله انه وافق الوليد على خلع سليمان من ولاية العهد .

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

وبالجملة ان سليمان لا يختلف في شيء عمن تقدمه من حكام امية ، غير ان الظروف لم تمهله ، حتى يفعل اكثر مما فعل ، ويدل على ذلك ان معاوية بن ابي سفيان ذكر في مجلسه فصلى على روحه ، وارواح من سلف من آبائه ، وقال : والله ما رئي مثل معاوية !.. ترحم سليمان على معاوية ، وصلى على روحه ، لانه لم ير احداً أقدر منه على المكر والخيانة ، ولا أجرأ على العسف والظلم ، هذه هي الروح الحقيقية للأمويين لا يعجبها شيء إلا الخداع والبهتان ، والجور والطغيان .

عمر بن عبد العزيز :

قال المسعودي : استخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر

سنة تسع وتسعين ، وهو اليوم الذي مات فيه سليان ، وتوفي بدير سمعـــان من اعمال حمص يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومئة ، فكانت خلافته سنتين ، وخمسة اشهر ، وخمسة ايام ، وكان له من العمر تسع وثلاثون سنة ،وقبره مشهور بدير سمعان ، وهو معظم يغشاه كثير من الناس من الحاضرة والبـــادية ، ولم يتعرض لنبشه فيا سلف من الزمان ، كما تعرض لقبور غيره من بني امية .

ولا عجب ان يلعن الناس بني امية ، وينبشوا قبورهم ، ويحرقوا اجسامهم بعد الموت ، ويترحموا على عمر بن عبـــد العزيز ، ويعظموه ، ويزوروا قبره ، ويتبركوا بترابه . فانهم اذ يفعلون ذلك يجازون كلا بأعماله .

أشرنا فيا سبق ان معاوية بن ابي سفيان ، لعن علياً على المنابر ، وأمر الناس بلعنه والبراءة منـــه ، وقد صار ذلك سنة في ايام بني امية ، فأعلن السب يزيد ومروان وعبد الملك والوليد ، ومن الطريف ان الوليد ، ذكر علياً ، فقال لعنة الله بالجر ، كان لص ابن لص ، فعجب النـــاس من لحنه فيا لا يلحن فيه احد ، ومن نسبته الامام الى اللصوصية وقالوا : مـــا ندري ايها أعجب ؟!.. وكان خالد بن عبدالله القسري احد عملاء الامويين يقول على المنبر وفي مكة المكرمة : اللهم العن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر رسول الله على ابنته ، وابا الحسن والحسين ، ثم يقبل على الناس ، ويقول : هل كنيت ؟! ثم يتبع سب علي بسب الحسن والحسين . فقال عبيدالله السهمي يهجوه :

لعن الله من يسب علياً	وحسيناً من سوقة وامام
أيسب المطهرون جدوداً	والكرام الآباء والاعمام
ويأمن الطير والحمـام ولا	يأمن آل الرسول عند المقام
طبت بيتاً وطاب اهلك اهلا	اهل بيت النبي والاسلام
رحمـة الله والسلام عليهم	كلما قـام قائم بسلام

(ابن ابي الحديد ج ٣ ص ٤٧٦ ، و ج ١ ص ٣٦٦) .

وبقيت هذه السنة الملعونة الى ان قام عمر بن عبد العزيز فأزالها ومنع عنها ، اما السبب لذلك فيحدثنا عنه عمر نفسه ، قال : وكنت اقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود ، فمر بي يوماً ، وانا ألعب مع الصبيان ، ونحن نلعن علياً ، فكره ذلك ، ودخل المسجد ، فتركت الصبيان ، وجئت اليه ، لادرس عليه ، فلما رآني قام فصلى ، وأطال في الصلاة شبه المعرض عني ، حتى احسست منه ذلك ، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي ، فقلت له : ما بال الشيخ ؟ فقال : انت اللاعن علياً منذ اليوم ؟! قلت : نعم .. قال : متى علمت ان الله سخط على اهل بدر ، وبيعة الرضوان بعد ان رضي عنهم ؟! فقلت : هل كان علي من اهل بدر ؟ قال : ويحك ، وهل كانت بدر كلها الا له ؟ ! فقلت : لا اعود . فقال : تعطيني عهد الله انك لا تعود . قلت : نعم ، فلم ألعنه بعدها .

وقال عمر بن عبد العزيز : ثم كنت احضر تحت منبر المدينة ، وابي يخطب يوم الجمعة ، فكنت أراه يهدر في خطبته ، حتى يأتي الى لعن علي فيجمجم ، ويتلعثم ويفهفه ويحصر ، فكنت اعجب من ذلك ، فقلت له يوماً : انت اخطب الناس وافصحهم ، ولكنك اذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن عيياً . فقال لي : أفطنت لذلك ؟ قلت : نعم . قال : يا بني لو علم اهل الشام وغيرهم من فضل علي ما نعلمه لم يتبعنا منهم احد ، وتفرقوا عنا الى اولاد علي . فبقيت كلمته في صدري مع ما كان قاله معلمي ايام صغري ، فأعطيت الله عهداً ، لان كان لي هذا الامر لاغيرنه .

ووفى عمر بعهده ، فأسقط اللعن ، وجعل مكانه « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » وكتب بذلك الى الآفاق ، فصار سنة ، فحل هذا الفعل عند الناس محلاً حسناً ، وأكثروا مدح ابن عبد العزيز بسببه (ابن الاثير حوادث سنة تسع وستين ، وابن ابي الحديد ج ١ ص ٣٥٦) .

نشأ عمر في بيت اموي، يبغض علياً ، ويعلن سبه على المنابر، وكان استاذه ، وهو عبيدالله بن عبد بن عتبة بن مسعود مؤمناً يكتم ايمانه بالله ورسوله واهل بيته خوفاً على حياته ، وقد اغتنم الفرصة ، وابان لتلميذه مكانة علي عند الله والرسول ، ثم رأى عمر ، من فهاهة ابيه عند ذكر علي ما اكد قول استاذه ، وصارحه ابوه بالحق ، ولم يخف عنه شيئاً، فشعر عمر من ساعته ان الامام محق، والامين على ضلالة ، فاستجاب ضميره لنداء الحق ، وعاهد الله على العمل به ، ووفى بعهده ، وكل عمل يبدأ اول ما يبدأ بالشعور والاحساس، ثم ينضج وينمو، حتى اذا سنحت الفرصة ، وتهيأ الظرف تجسم الشعور عملاً ملموساً .

والفضل الاول في هداية ابن عبد العزيز يعود الى استاذه ، حيث اثار له الطريق ، وارشده الى الحق . وقيل : ان معاوية بن يزيد اعتزل الحكم ، وخطأ جده واباه ، لانه تتلمذ على استاذ يكتم ايمانه وموالاته لاهل البيت ، وان الامويين دفنوا هذا الاستاذ حياً بعد ان تبين لهم امره باعتزال معاوية وخطبته ، وثنائه على علي وعترته .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ورد عمر بن عبد العزيز فدكا على اولاد فاطمة ، وسلمها الى الامام محمد الباقر (ع) فاجتمع عنده قريش ومشايخ السوء من اهل الشام ، وقالوا : لقد طعنت بفعلك هذا على ابي بكر وعمر اللذين منعا فاطمة فدكا ، ونسبتهما الى الظلم والغصب . قال : صح عندي ان فاطمة ادعت فدكا ، وكانت في يدها ، وما كانت لتكذب على رسول الله ، وهي سيدة نساء اهل الجنة ، واني بفعلي هذا اتقرب الى الله ورسوله ، وارجو شفاعة فاطمة والحسن والحسين ، ولو كنت مكان ابي بكر لصدقت فاطمة ، ولم اكذبها في دعواها[1] .

---

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٢٧٢ طبعة ١٣٥٥ هـ .

قال ابن الحديد في شرح النهج ج ٤ ص ٥٢٠ الطبعة القديمة :

« قال اصحابنا – اي المعتزلة — : ان علياً افضل الخلق في الآخرة، واعلاهم منزلة في الجنة ، وافضل الخلق في الدنيا ، واكثرهم خصائص ومزايا ومناقب ، وكل من عاداه او حاربه او بغضه فإنه عدو الله سبحانه . وخالد في النار مع الكفار والمنافقين الا ان يكون ممن قد ثبت توبته ، ومات على توليته وحبه ، فأما الافاضل من المهاجرين والانصار الذين ولوا الامامة قبله فلو انه انكر امامتهم، وغضب عليهم وسخط فعلهم،فضلا ان يشهر عليهم السيف ، او يدعو الى نفسه لقلنا : انهم من الهالكين ، كما لو غضب عليهم رسول الله (ص) لانه قد ثبت ان رسول الله قال له : حربك حربي ، وسلمك سلمي ، وانه قال : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وقال : لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق ، ولكنا رأيناه رضي امامتهم وبايعهم ، وصلى خلفهم وانكحهم، وأكل من فيئهم ، فلم يكن لنا ان نتعدى فعله ، ولا نتجاوز ما اشتهر عنه .

ألا ترى انه لما برىء من معاوية برئنا منه،ولما لعنه لعنّاه ، ولما حكم بضلال اهل الشام، ومن كان فيهم من بقايا الصحابة ، كعمرو بن العاص ، وعبدالله ابنه وغيرهما حكمنا ايضاً بضلالهم .

والحاصل إنا لم نجعل بينه وبين رسول الله (ص) الا رتبة النبوة ، واعطيناه كلما عدا ذلك – اي ما عدا النبوة – من الفضل المشترك بينه وبينه،ولم نطعن في اكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا انه طعن فيهم ، وعاملناهم بما عاملهم هو (ع) به . والقول بالتفضيل – اي تفضيل علي على جميع الصحابة – قول قديم قال به كثير من اصحاب رسول الله والتابعين ، فمن الصحابة عمار والمقداد وابو ذر وسلمان وجابر بن عبدالله ، وابي بن كعب وحذيفة وبريدة وابو ايوب

وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وابو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت وابو الطفيل عامر بن واثلة والعباس بن عبد المطلب وبنوه وبنو هاشم كافة وبنو عبد المطلب كافة .

وكان قوم من بني أمية يقولون بذلك ، منهم خالد بن سعيد بن العاص ، ومنهم عمر بن عبد العزيز . ونذكر هنا الخبر المروي المشهور عن عمر ، وهو من رواية ابن الكلبي ، قال : بينا عمر بن عبد العزيز جالساً في مجلسه اذ دخل حاجبه ومعه امرأة أدماء [1] طويلة حسنة الجسم والقامة ، ورجلان متعلقان بها ، ومعهم كتاب من ميمون بن مهران الى عمر ، فدفعوا اليه الكتاب ، ففضه فاذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الى امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ، فانه ورد علينا امر ضاقت به الصدور ، وعجزت عنه الاوساع ، وهربنا بأنفسنا عنه ، ووكلناه الى عالمه ، لقول الله عز وجل : ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذي يستنبطونه منهم ، وهذه المرأة والرجلان : احدهما زوجها ، والآخر ابوها ، وان اباها يا امير المؤمنين زعم ان زوجها حلف بطلاقها ان علي بن طالب (ع) خير هذه الامة ، واولاها برسول الله ، وانه يزعم ان ابنته قد طلقت منه ، ولا يجوز له في دينه ان يتخذ صهراً ، وهو يعلم انه حرام عليه كأمه ، وان الزوج يقول له : كذبت وأثمت ، لقد بر قسمي ، وصدقت مقالتي ، وانها امرأتي على رغم انفك ، وغيظ قلبك ، فاجتمعوا إليّ يختصمون في ذلك ، فسألت الرجل عن يمينه فقال : نعم ، قد كان ذلك ، وقد حلفت بطلاقها ان علياً خير هذه الامة ، واولاها برسول الله ، عرفه من عرفه ، وانكره من انكره ، فليغضب من غضب ، وليرضى من رضي ، وتسامع الناس بذلك ، فاجتمعوا له ، وكانت الألسنة

---

(١) اي سمراء .

مجتمعة فالقلوب شتى ، وقـــد علمت يا امير المؤمنين اختلاف الناس في اهوائهم وتسرعهم الى ما فيه الفتنة فأحجمنا عن الحكم ، لتحكم بما أراك الله، وانها تعلقا بهـا ، وأقسم ابوها ان لا يدعها معه . وأقسم زوجها ان لا يفارقها ولو ضربت عنقه إلا ان يحكم عليه حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه ، فرفعناهم اليك، أحسن الله توفيقك وأرشدك .

فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم وبني امية وافخاذ قريش ، ثم قـال لأبي المرأة : ما تقول ايها الشيخ ؟ فحكى القصة كما اسلفنا ، ثم قـال عمر للزوج : ما تقول ؟ قال : نعم. ولما اجاب الزوج نعم كاد المجلس يرتج بأهله ، وبنو امية ينظرون اليه شزراً ، لكنهم لم ينطقوا بشيء ، كل ينظر الى وجه عمر ، فأكب عمر ملياً ينكث الارض بيده ... ثم التفت الى القوم ، وقال : مـا تقولون في يمين هذا الرجل ؟. فسكتوا . فقال : سبحان الله ، قولوا . فقال رجل من بني امية : هذا حكم فرج ، ولسنا نجترىء على القول فيـه ، وانت اعلم بالقول . فقال له عمر : قل ما عندك ، فان القول اذا لم يحق باطلاً ، او يبطل حقـاً كان جائراً عليّ وفي مجلسي . قال الاموي : لا اقول شيئاً .

فالتفت عمر الى رجل من ولد عقيل بن ابي طالب . وقال له : مـا تقول ؟ فاغتنمها العقيلي ، وقال : ان جعلت قولي حكماً قلت ، وإلا فالسكوت اوسع لي ، وأبقى للمودة . قال له عمر : قل وقولك حكم ، وحكمك ماض .

فلما سمع ذلك بنو امية قالوا لعمر : ما انصفتنا اذ جعلت الحكم الى غيرنا . فقال لهم عمر : اسكتوا عجزاً او لؤماً ، عرضت عليكم آنفاً فأبيتم ، اتدرون ما مثلكم ؟ قالوا : لا ندري . فقال : ولكن العقيلي يدري ، ثم قـال للعقيلي : ما مثلهم ؟ قال : مثلهم كما قال الاول :

دعيتم الى امر فلمـا عجزتم ... تنـاوله من لا يداخله عجز
فلما رأيتم ذاك ابدت نفوسكم ... نداما وهل يغني من الحذر الحرز

قال عمر : أحسنت وأصبت ، فقل ما سألتك عنه . قال : ان الزوج بر قسمه ، ولم تطلق امرأته ثم قال : نشدتك الله يا امير المؤمنين ان رسول الله قال لفاطمة ، وهو عائد لها : يا بنية ما عليك ؟ قالت : الوعك يا ابتاه ، وكان علي غائباً في بعض حوائج النبي ، فقال لها : أتشتهين شيئاً ؟ قالت : اشتهي عنباً وانا اعلم انه عزيز ، وليس الوقت وقت عنب قال النبي (ص) : ان الله قادر على ان يجيئنا به ، ثم قال : اللهم ائتنا به مع افضل امتي عندك منزلة . فطرق علي الباب ، ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف ردائه . فقال النبي : ما هذا يا علي ؟ قال : عنب التمسته لفاطمه ، فقال النبي : الله اكبر الله اكبر ، كما سررتني بأن خصصت علياً بدعوتي ، فاجعل فيه شفاء ابنتي ، ثم قال : كلي على اسم الله ، وما خرج النبي حتى برأت .

فقال عمر : صدقت وبررت ، اشهد لقد سمعته ووعيته . يا رجل خذ بيد امرأتك ، فان عرض لك ابوها ، فاهشم انفه ، ثم قال : يا بني عبد مناف والله ما نجهل ما يعلم غيرنا ، ولا بنا عمى في ديننا ، ولكنا كما قال الاول :

تصيدت الدنيا رجالاً بفخها فلم يدركوا خيراً بل استقبحوا شرا
واعمام حب الغنى واصمهم فلم يدركوا إلا الخسارة والوزرا

وكأنما ألقم بني امية حجراً ، ومضى الرجل بامرأته » .

وكان من نتيجة هذه الحادثة وغيرها ان دس الامويون السم لعمر بن عبد العزيز ، كما فعلوا من قبل بمعاوية الثاني ، لأنهم لا يطيقون ان يكون بينهم من يناصر الحق واهله ، لقد تعجلوا عليه خشية ان يعرف الناس من فضل علي ما يعرف الامويون ، فيتفرقوا عنهم الى اولاد امير المؤمنين ، كما قال عبد العزيز الاموي الذي كان يتلعثم عند ذكر سيد الكونين ، وهو الخطيب البليغ ، خاف الامويون من الحق ، لأنه يسلبهم الملك والسلطان ، وهابوا العدل ، لأنه يقضي عليهم بالموت ، لذا حاولوا اخفاء الحق قبل ان يقضي عليهم ، ولكن مهما حاول

المشعوذون والمنحرفون اخفاءه فلا بـــد ان يظهر وينتصر ، ويكشف امر المبطلين .

وقال قائل : ان عمر بن عبد العزيز رجل عادي ، وانما عظم امره لانـــه اعور بين عميان كما قال المنصور ، قـــام عمر بعد قوم بدلوا شريعة الدين وسنن النبي ، وكان الناس قبله من الظلم والجور والتهاون بالاسلام مـا لم يسبق بمثيل ، او يمر بحسبان ، وحسبك من ذلـــك انهم كانوا يعلنون سب علي على المنابر ، فلما نهى عنه عمر عدّ محسناً ، بل جعل في عداد الأئمة الراشدين ، ويشهد لذلك قول كثير .

وليت ولم تشتم علياً ولم تخف بريا ولم تتبع مقـــالة مجرم

وبكلمة ان عمر استمد حسناته من سيئات غيره .

والجواب : ان هذا القائل اراد ان يحط من مكانة عمر فـدل كلامه على عكس ما اراد ، لقد عرفنا وعرف التاريخ كثيرين نشأوا في بيت صلاح وتقى، وأفنوا حياتهم في دراسة علوم الاسلام والقرآن ، ومـع ذلك رأيناهم ينحرفون عن طريق الدين ، ولا يصمدون امام المغريات الشيطانية ، والشهوات الدنيوية، اما عمر فقد تمرد على بيئته وقومه ، وتعالت نفسه عن عاداتهم وتقاليدهم ، ولم تغتر بشهوة الحكم وفتنة السلطان ، وهنا مكان عظمته وسر عبقريته ، نقم عمر على آبائــه واجداده ، وشهد عليهم بالفعل قبل القول بانهم ضالون مضلون ، ولم يكترث بما تجره هذه الشهادة عليه من المتاعب والمصاعب .

لذلك نحن نكبره ونعظم فيه يقظة الضمير ، وقوة الايمان، والجهاد في سبيل الحق ، والتمرد على الباطل ، باطل اهــله وبيته . والسلام على روحه الطيب ، وبدنـــه الطاهر . لقد كانت سيرة ابن عبد العزيز انقلاباً في السياسة الاموية ،

واصلاحاً جذرياً لما افسد الامويون ، وهذه فضيلة لا يدانيها شيء ، ومكرمة لا يعادلها الا الجهاد بين يدي الرسول الكريم .

يزيد بن عبد الملك

ذهب عمر بن عبد العزيز الى ربـــه راضياً مرضياً ، وقـام مكانه يزيد ابن عبد الملك ، وافتتح عهده بكتاب ارسله الى عماله ، قال لهم فيه :

اما بعد ، فان عمر بن عبد العزيز كان مغروراً ، غررتموه انتم واصحابكم ، وقد رأيت كتبكم اليه في انكسار الخراج وضريبته ، فـــاذا اتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده ، وأعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى، اخصبوا ام اجدبوا ، احبوا ام كرهوا ، احيوا ام ماتوا !.. والسلام (العقـد الفريد ج ٥ ص ١٧٦ طبعة ١٩٥٣) . وانتزع يزيد فدكا من ابناء فاطمة بعد ان ردها عليهم عمر بن عبد العزيز .

وقد اشتهر يزيد في اللهو والخلاعة والفجور والسكر والتشبيب بالنساء ، تماماً كما كان سميه يزيد بن معاوية ، وهو جده لأمه ولا ادري : هل لي في هذا الاسم سر يجعل من صاحبه أوضح مثال للفساد والاجرام ؟!. وغلب على يزيد بن عبد الملك جاريتان : سلامة القس وحبابة ، فكان يجلس بينهما احداهما تسقيه والاخرى تغنيه ، وانتشى يوماً ، وهو بين هاتين ، فقال : دعوني اطير . فقالت له حبابة : ان لنا فيك حاجة . فقال : والله لأطيرن . فقــالت : على من تخلف الأمة ؟ قال : عليك والله ، وقبل يدهــا . وخرجت معه حبـــابة الى ناحية الاردن يتنزهان ، فرماها بحبة عنب في حلقها ، فشرقت وماتت ، فانكب عليها يشمها ويقبلها ، وينظر اليها ويبكي ، وأبى ان يدفنها الا بعـد ثلاثة ايام (ابن الاثير حوادث سنة خمس ومئة) .

ونقل صاحب العقد الفريد في ج ٤ ص ٢٠٢ ط ١٩٥٣ ان ابا حمزة وصف يزيد ، فقال : « أقعد حبابة عن يمينه ، وسلامة عن يساره ، فقال : يا حبابة غنني ، ويا سلامة اسقني ، فاذا امتلأ سكراً ، وازدهى طرباً ، شق ثوبه ، وقال : ألا أطير ؟ فطر الى جهنم وبئس المصير » . وأثنى يوماً على ابي لهب ، فقيل له : انه مات كافراً ، وكان يؤذي رسول الله ! .. فقال : قد علمت ذلك، ولكن دخلتني رقة له ، لأنه كان يجيد الغناء .

لقد علم « الخليفة » الاموي ان ابا لهب كان كافراً مؤذياً للرسول ، ولكن الكفر بالله والرسول لا يعد ذنباً بالقياس الى اجادة الغناء !... ان الاموي لا يغفر الا لمن يجيد الزنا والسكر والغناء . ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء حتى الشرك !.. ولو كان يزيد بن عبد الملك في هذا العصر لكانت له المكانة الاولى عند كثير من الشباب « المتحرر المتدين » الذي لا يعجبه شيء الا الفسوق والفجور ، والا الالحاد والزندقة . وعلى هذا الاساس ، اساس الجور والظلم ، قامت الدولة الاموية ، ومن اجل ذلك كان مآلها الى البوار والدمار .

هشام بن عبد الملك :

هلك يزيد بن عبد الملك سنة احدى ومئة ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وامتد حكمه اربع سنوات وشهر او يومين ، وتولى بعده هشام بن عبد الملك ، وكان كل شيء ينبيء بالثورة والانفجار ، فقد تراكم الاستياء وانصبّ اللعن والطعن على الامويين وسياستهم من جميع الجهات ، لا من الشيعة فحسب ، ولم يقم هشام بأية خطوة لتصحيح الاوضاع ، واصلاح الفاسد ، بل غذى اخطاء الامويين ، وأضاف ظلماً الى ظلمهم ، وطغياناً الى طغيانهم ، فكتب الى عماله بالتشديد والتضييق على الشيعة ، وحبسهم ومحو آثارهم والفتك بهم ، وحرمانهم

من العطاء . وهدم دار الكميت شاعر اهل البيت ، وأمر عامله بالكوفة ، بن عمر الثقفي ان يقطع لسانه ، لانـــه مدح آل الرسول (ص) ، وكتب الى عامله بالمدينة خالد بن عبد الملك ان يحبس بني هاشم ، ويمنعهم من الخروج منها ، ونفذ خالد امر هشام ، واشتد على الهاشميين ، وأسمع زيد ابن الامام زين العابدين مـــا يكره ، فذهب زيد الى الشام ليشكو خالداً الى هشام بن عبد الملك ، فتنكر له هشام ، وأبى ان يأذن له ، فأرسل اليه رزقة بها طلب الاذن ، فكتب هشام في أسفلها ارجع الى المدينة ، فقال زيد : والله لا ارجع الى خالد ابداً .

واخيراً أذن هشام لزيد ، وامر خادماً ان يتبعه ، ويحصي ما يقول ، فسمعه يقول : والله ما احب الدنيا احد إلا ذل . وامر هشام اهل الشام ان يتضاقوا في المجلس ، حتى لا يتمكن من الوصول الى قربه ، فلما دخـل زيد لم يجد موضعاً يقعد فيه ، فعلم ان ذلك فعل على عمد ، فقال لهشام : اتق الله . قال : أمثلك يأمر مثلي بتقوى الله ؟!. فقال له زيد : انـــه ليس من عباد الله احد فوق ان يوصي بتقوى الله ، ولا من عباد الله احد دون يوصي بتقوى الله ، وانا اوصيك بتقوى الله ، فاتقه .

قال ابن ابي الحديد في ج ١ ص ٣١٥ : ان هشاماً قال له : بلغني انك تذكر الخلافة ، وتتمناها ولست هناك ، لأنك ابن امة . فقال له زيد : ان لك جواباً. قال : تكلم. قال : انه ليس احد أولى بالله ، ولا أرفع درجة عنده من بني بعثه وهو اسماعيل بن ابراهيم « وكان ابن امة ، قد اختاره الله لنبوته ، وأخرج منه خير البشر محمد » . فقال هشام : ما يصنع اخوك البقرة ؟ فغضب زيـد ، حتى كاد يخرج من اهابه ، ثم قال : ان رسول الله سماه الباقر ، وتسميه انت البقرة، لشد ما اختلفتما ؟!.. ولتخالفنه في الآخرة ، كما خالفته في الدنيا ، فيرد الجنة ، وترد النار . فقال هشام : خذوا بيد هـذا الاحمق المائق ، فاخرجوه ، فأخذ الغلمان بيده ، وأخرجوه .

وتوجه زيد من وقته الى الكوفة ، قال ابو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبين ص ١٣٥ طبعة ١٩٤٩ : « واقبلت الشيعة وغيرهم يختلفون اليه ، ويبايعون ، حتى احصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من اهل الكوفة خاصة ، سوى المدائن ، وواسط ، والموصل ، وخراسان ، والري ، وجرجان » .

وكان في الذين اتبعوا زيداً خلق كثير من الاشراف والعلماء ، ودارت المعركة بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي امير العراقين يومذاك من قبل هشام ، فانهزم اصحاب زيد ، ولم يبق معه إلا قليل منهم ، فقاتلهم أشد قتال ، وحال المساء بين الفريقين ، قال الشيخ ابو زهرة في كتاب « الامام زيد » ص ٥٩ الطبعة الاولى :

« وتقدم زيد عترة النبي وحفيد علي الى الميدان ، ومعه عدد دون عدد اهل بدر او نحوه ، وجيش عدوه كثيف قوي يجيئه المدد في كل وقت ، وقاتل بهذا العدد الضئيل في الحساب ، ولكنه كان اقوى في الميزان ، راجح الكفة في الميدان ، فاقتتلوا وهزموا جناح جيش الامويين ، وقتلوا منهم اكثر من سبعين رجلاً ، وعجز العدو بكثرته عن قتال اولئك المؤمنين الصابرين بالسيف ، فاستعان جيش الامويين بالرمي يرمون بسهامهم اصحاب زيد رضي الله عنه وعنهم ، ولم ينالوا منهم الا بالسهام ، ونال زيد سهم في جبهته ، وعند انتزاعه كانت منيته ؛ وبذلك لم يستطيعوا ان ينالوا منه الا بالطريق التي نالوا بها جده الحسين رضي الله عنهم ، لأن احفاد علي لا يلاقيهم احد الا صرعوه .

ولقد كان صنيع هشام في جثته هو عين صنيع يزيد ، وابن زياد في جده الحسين ، فقد مثل بجثته ، بعد ان دفن ، ولقد كان ابنه يحيى حريصاً على ان يدفن اباه بحيث لا يعلم بموضعه احد ، فدفنه في ساقية وردمها ؛ ووضع عليها النبات ، لكيلا يعلم احد بمكان جثمانه الطاهر ، ولكن احد الذين عرفوا ذلك انبأ والي الامويين ، فارتكبوا اثماً كبيراً فوق آثامهم ،

نبشوا القبر ، وأخرجوا الجثمان ، ومثلوا بـه ، ونصبوه بكناسة الكوفة بأمر هشام بن عبد الملك .

وان الحرب من جانب الامويين كانت حرباً فاجرة ، ليس فيهـا شيء من القيم الاسلامية بمحترم ، فانه ليذكر ان رجلا من جند الامويين على فرس رائع اخذ يشتم فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، شتماً قبيحاً ، لعنـه الله ، ولعن من أيدوه وارسلوه،فبكى الامام زيد، حتى ابتلت لحيته ، وجعل يقول: اما احد يغضب لفاطمة بنت رسول الله ؟! اما احد يغضب لرسول الله ؟! فاستتر احد رجال زيد ، وسار وراءه وقتله ورماه من فوق فرسه الرائع ، وركبه القاتل ، فشدد الامويون على ذلك القاتل ، الفاضل ، فكبر اصحاب زيد وحملوا عليهم حملة شديدة، فاستنقذوا الرجل الذي ثار لكرامة بنت رسول الله، ولقد طابت نفس زيد رضي الله عنه بهذا، فجعل يقبل ما بين عيني الرجل الذي ثار لكرامة الرسول وكرامة الاسلام ، ويقول : ادركت والله ثأرنا ، ادركت والله ثأرنا ، ادركت والله شرف الدنيا والآخرة وذخرها » .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

لم يكتف الامويون بقتل زيد، حتى اخرجوه من قبره، ومثلوا به، فقطعوا رأسه ، وصلبوه على خشبة ، وبقي خمس سنوات مصلوبـاً عرياناً الى ان جاء الوليد ابن يزيد فكتب الى عامله بالكوفة ان احرق زيداً بخشبته ، واذر رماده ففعل واذرى رماده على شاطيء الفرات » .

وكانت العنكبوت تنسج على عورته ، فتسترهـا ، وكان جنود الامويـين يهتكون النسيج بالرماح ، فاذا جاء الليل عادت العنكبوت الى النسيج، وعادوا هم في الصباح الى الهتك. ولما تكرر ذلك ارتخى لحم جسده على بطنه من قدامه وظهره من خلفه ، فستر العورة من القبل والدبر ، وكانت الخشبة تضيء بالليل، فيسير الركبان على ضوئها ، وكانت تفوح منها رائحـة المسك ، وكانت هـذه الكرامة من اقوى اسباب الدعايـة لانتشار مذهب التشيع وتثبيتـه ، وفشي

الحديث بين الناس ، وظهر فضل اهل البيت ، وظلم الامويين لهم ، وكان الناس يؤمون خشبة زيد للتبرك ، قال ابن تيميــة في منهاج السنة : لما صلب زيد كان اهل الكوفة يأتون الخشبة ليلا يتعبدون عندها .

وبعث هشام برأس زيد الى مدينة الرسول ، فنصب عند قبر النبي (ص) يوماً وليلة ، وكان العامل على المدينة محمد ابراهيم بن هشام المخزومي، فطلب منه اهل المدينة ان ينزل الرأس فأبى ، فضجت المدينة بالبكاء ، وكان كيوم الحسين وكان الوالي يجمع الناس، ويأمر الخطباء فيلعنون علياً وحسيناً وزيداً وأشياعهم، وبقي على ذلك سبعة ايام . ثم سير الرأس الشريف الى مصر ، فنصب بالجامع ، فسرقه اهل مصر ودفنوه بالقرب من جامع ابن طولون [1] وغير بعيد ان يكون المسجد المعروف اليوم بمسجـد الحسين هو مدفن رأس حفيده زيـد بن علي بن طالب (ع) .

هـــذي هي سنّة الامويين ، وسيرة اولهم وآخرهم : شتم علي وفاطمة والحسن والحسين ، وقتل ابنـاء الرسول ، والتنكيل بهم ، والسير برؤوسهم من بلد الى بلد . والذنب الاول والاخير ان ابناء علي واحفاده لا يطيقون ان يعبث احـد بدين جدهم رسول الله ، ويتلاعب بمقدرات الناس وحقوقهم ، وقـد ظهرت هذه الحقيقة للقريب والبعيد ، وكان من اثرها الكره والمقت للامويين ، والحب والولاء لأهل البيت ، ان النور الذي شع من خشبة زيـد ، والمسك الذي تضوع منها قد جملا الناس في كل جيل يحسون ويلمسون من هم الامويون ، ومن هم العلويون ؟ فقـــد سوا هؤلاء ، ولعنوا اولئك . والذي لا شك فيـه ان الامويين قد ساهموا مساهمة فعالة في انتشار مذهب التشيع وتوطيده .

---

(١) الكنى والالقاب ج ١ ص ٢٢٢ طبعة العرفان صيدا .

ومن الخير ان نقتطف الكلمات التالية من كتاب « الامــــام زيد » لفضيلة محمد « ابو زهرة » .

« استشهد زيد في المعركة ، ومات في الميدان ، وفي مشتجر السيوف ، ومرمى السهام ، فمات شجاعاً حراً أبياً ، لم يرض بالدنية في دينه ، ولم يرض بأن يرى باطلاً يرتفع ، وحقاً ينخفض ، وسنة تموت ، وبدعة تحيا ، وشرعاً يهدم ، وظلماً يقوم ، لم يرض بأن يرى استبداداً يرهق النفوس ويرمض القلوب .

مات ذلك الموت الكريم الذي ارتضاه لنفسه ولدينه ، ونال الدرجة الرفيعة التي لا ينالها الا الصديقون ، والشهداء المقربون ، ولكن في النفس حسرة ، بل ان نفس المؤمن لتذهب حسرات على عترة الرسول ومــــا نزل بهم ؛ ولا ندري لماذا كتب في لوحه المحفوظ وفي قدره المقدور ان يكون هذا مآل الذين يطالبون بالحق من ابناء الحسنين رضي الله عنهما ، وهما سيدا شباب اهل الجنــة ، كما جاء في الحديث عن الرسول الكريم .

وان العقل ليلتمس في ذلك عبرة يعتبر بها ، ولا يجد في ذلك الا ان يضرب المثل للاستشهاد في سبيل الحق ، والنطق بكلمة الحق ، ولقد قال النبي الكريم: « سيد الشهداء عمي الحمزة بن عبد المطلب ، ورجل قال كلمة حق امام سلطان جائر » ولقد ضرب الله سبحانه مثلاً في الاستشهاد يقتدى به ، ويهتدى بنوره في هؤلاء الابرار ، فقــد فدوا الاسلام بأنفسهم ، والحق بأرواحهم ، وكان حقاً على كل مؤمن ان يطالب بما يطالبون به ، ويقول كلمة الحق في كل مقام، وحسبه ان ينال شرف الشهادة كهؤلاء .

وقد يقول قائل : وهل أفادت كلمة الحق التي قالوها ؟!.. لقد كانت الفائدة لو انتصروا وسادوا . ونقول في جوابه : ان كلمــة الحق التي قالوها ، وذهبت

ارواحهم الطاهرة في سبيلها أفادت الحق في ذاته ، وحركت الضمائر المؤمنة ، وحسبك ان تعلم ان مقتل الحسين ذهب بالدولة السفيانية ، وان مقتل زيد ذهب بالدولة المروانية ، وأزال الله حكمها ، وحقت كلمة الله : « وتلك الايام نداولها بين الناس » .

وقد اجمع اهل العلم على ان زيداً كان عالماً غزير العلم ، واسع الأفق ، مستبحر المعرفة ، علم آراء الفقهاء ما بين حجازيين وعراقيين ، ولم يجتمع العلماء على تقدير عالم ، كتقدير زيد ، فأهل السنة والشيعة والمرجئة والمعتزلة قد اجمعوا على إمامته في العلم ، وانه كان حجة في الفقه ، ولقد اعتبر العلماء ثورة زيد على الطغيان ثورة اهل العلم والزهد ، وذكر بعض المؤرخين ان الذين قاتلوا مع زيد كانوا من الفقهاء والقراء . وقد تتلمذ عليه ابو حنيفة سنتين ، وقال : شاهدت زيداً ، فما رأيت في زمانه أفقه منه ، ولا اعلم ولا اسرع جواباً ، ولا ابين قولا ، لقد كان منقطع النظير ، وقال ايضاً : لو علمت ان الناس لا يخذلونه ، كما خذلوا اباه ، لجاهدت معه ، لأنه امام حق ، وقد اعتنه بمالي ، وبعث اليه بعشرة آلاف درهم ، واعتذرت اليه ، وهكذا نرى ثورة الفقهاء والقراء والمحدثين واهل التقى .

وقد تحلى زيد بن علي بصفات شخصية تنزع به الى العلم النقي الصافي ، وان تلك صفات الصفوة من آل علي بن ابي طالب ، فكأن السجايا العلمية ، والخلقية الكريمة ميراث يتوارثه اولئك العلية الاكرمون من آل النبي (ص) وكأنه تجري في نفوسهم الاخلاق النبوية ، كما تجري في عروقهم الدماء النبوية الطاهرة الزكية ، وما من صفة من اي امام من أئمة آل البيت الا وجدت فيها عبقة نبوية ، وهمة علوية ، ولذلك كان أئمة آل البيت موضع اجلال كل معاصريهم ، لا فرق بين شيعي وغير شيعي ويرون فيهم سجايا ومواهب ليست في سائر الناس ، فأبو حنيفة لا يرى في جعفر الصادق الا علماً عالياً وخلقاً سامياً ، ولا يعدل به وبأبيه محمد الباقر احد ، ومالك كان يجل جعفر بن محمد ، ولا يرى في المدينة من يساويه .

وفي الجملة لم يكن في آل البيت في القرن الاول والثاني الا كل نبيـل وخلق كريم ، بخاصة زيـــداً واخوته ، لأن الذي رباهم ، ونشأهم التنشئة الاولى هو زين العابدين ، وقد علمت مكانته وسابقاته في الخلق الكريم والفضل والسماحة والمروءة ، ولذا اتصف زيد بصفات جليلة سامية جعلت منه ذلك العالم العظيم ، والمجاهد الذي جاد بأقصى ما يملك ، وهو نفسه » .

الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

هلك هشام بعـد ان حكم تسع عشرة سنة واشهراً ، وتولى بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، واسم امه ام الحجاج ، وهي بنت محمد بن يوسف الثقفي ، فالحجاج بن يوسف عم والدته . واتفق المؤرخون على ان الوليد عكف على حب البطالة والصيد والملاهي والشراب ومعـاشقة النساء ، وهو اول من حمل المغنين من البلدان اليه ، وكان خليعاً متهتكاً ومن شعره :

انما الكأس ربيع باكر فاذا لم نذقها لم نعش

وكان بالشام مغن يقال له ابو كامل ، فقال فيه الوليد :

من مبلغ عني أبا كامل اني اذا ما غاب كالهابل

قال المسعودي في مروج الذهب ، وهو يترجم له : « غناه ابن عائشة صوتاً فطرب ، فقال له الوليد : احسنت والله يا اميري ، اعد بحق عبد شمس فأعاد ، فقال : اعد بحق امية ، فأعاد ... فقام الوليد الى المغني، فأكب عليه ، ولم يبق عضو من اعضائه الا قبله ، واهوى الى احليله ليقبله ، فضمه المغني بين فخذيه ، فقال له الوليد : لا والله حتى اقبله ، وما زال به حتى قبله ، واعطاه الف دينار، واركبه بغله ، وقال : مر بها على بساطي ، ففعل،وصنع حوضاً في بستان وملأه خمراً ، فكان يسبح فيه مع الفواحش ، ويشرب منه حتى يبين فيـه النقص ، ونزل يوماً على ابلته ، وقال : من راقب الناس مات غماً » .

وقال المسعودي : قرأ الوليد ذات يوم قوله تعالى : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ، ويسقى من ماء صديد » فدعا بالمصحف ، ونصبه غرضاً للنشاب ، واقبل يرميه ويقول :

اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب خرقني الوليد

وقد ذكر النبي في شعره ، وان الوحي لم يأته من ربه . هؤلاء هم الحكام الامويون يشربون ويزنون ، ويتلهون بالصيد والقرود ، ويقبلون عورات المغنين ويشتمون النبي الاعظم وعلياً وفاطمة والحسن والحسين ، ويقتلون الصلحاء والاولياء ، ويهدمون الدور على اهلها ، ويقطعون الايدي والارجل، وينبشون القبور ويصلبون الاموات .

ان الزنا والشراب واللهو والغناء ، وما الى ذلك من الموبقات لم تمنع الوليد وتصرفه عن الظلم ،وتتبع اولاد الانبياء ، فقد امر ان تحرق جثة زيد وخشبته ، ويذري رماده في الهواء ، وفي ايامه ظهر يحيى بن زيد بالجوزجان من بلاد خراسان ، منكراً للظلم ، وما عم الناس من الجور فسير اليه نصر بن سيار عامل الوليد على خراسان ، رجلاً اسمه سلم بن احوز المازني ، فقتل يحيى في المعركة ، بسهم اصابه في صدغه ، واحتز رأسه ، وارسل الى الوليد ، وصلب جسده بالجوزجان ، فلم يزل مصلوباً الى ان خرج ابو مسلم الخراساني ، فقتل ابو مسلم سلم بن احوز الذي قتل يحيى ، وانزل جثة يحيى ، فصلى عليها ، ودفنت هناك ،واظهر اهل خراسان النياحة على يحيى سبعة ايام في سائر اعمالها، ولم يولد في تلك السنة بخراسان مولود الا سمي بيحيى او يزيد . وقبره الآن مشهور مزور الى هذه الغاية [١] .

---

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٢٥ طبعة سنة ١٩٤٨ .

هذي هي حقيقة الامويين وسياستهم كما صورها المؤرخون ، فلا بدع اذن ان يحدث الانفجار ، وتهب العاصفة ، تدمر ملكهم ، وتسحق كل ما فيه من آثارهم . لقد عاث الأمويون في الارض الفساد ، واستعملوا جميع وسائل العنف والارهاب والمكر والخداع ، ولم حسبوا حساباً لأمر الله ، وغضبة الشعوب التي تنتصر دائماً على الطغاة . وفيما يأتي من الصفحات نرى كيف انتهى امر الامويين .



الكميت

•

كان من اثر سياسة امية الغاشمة ضد الاسلام والانسانية ثورة الامــــام سيد الشهداء الحسين بن علي (ع) ، وثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي ، وثورة المختار للأخذ بالثأر ، وثورة زيد بن علي ، وثورة ولده يحيى ، واخــيراً ثورة عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الذي قتل ايام مروان الحمــــار آخر ملوك بني امية .

استشهد ابناء علي وفاطمة ، ليحققوا العدالة والحرية والمساواة بين الناس ، وسقط الشهيد منهم تلو الشهيد ، ليغذوا هــذه المثل بدمائهم الزكية وارواحهم الطاهرة ، ولقد خلقت هذه الدماء شاعراً لم تعرف الدنيا ، ولن تعرف اصدق منه ، ولا اكثر جهاداً واخلاصاً ، ولا اعظم جرأة وشجاعة ؛ ولا اشد عنفاً على الباطل واهله ، ولا اقوى دفاعاً عن الحق وانصاره ، ولا اعلم به وبهم ، شاعراً ثائراً لا يبتغي من وراء ثورته مالاً ولا شهرة ولا منصباً ، لا شيء إلا الله والحق والانتصار للنبي وابنائه ، وإلا القضاء على الطغاة والانذال ، وإلا تحطيم القيود والاغلال ، هذا الشاعر هو الكميت بن زيد الاسدي ، قال المسعودي في مروج الذهب ج ٣ ص ٢٤٢ طبعة ١٩٤٨ :

لمـــا قال الكميت الهاشميات قدم البصرة ، فأتى الفرزدق ، وقال له : يا ابا فراس ، انا ابن اخيك ، قال : ومن انت ؟ فانتسب له ، فقال : صدقت ، فما حاجتك ؟ قال : نفث على لساني ، وانت شيخ مصر وشاعرها ، واحببت ان اعرض مـــا قلت ، فان كان حسناً امرتني باذاعته ، والا امرتني بستره .
فقال : هات ، فأنشده :

طربت وما شوقاً الى البيض اطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب ؟

قال : بلى فالعب . قال :

ولم يلهني دار ولا رسم مـــنزل ولم يتطربـــني بنـــان مخضب

قال : فما يطربك اذن ؟ قال :

ولا انـــا ممن يزجر الطير همـــه أصـــاح غراب او تعرض ثعلب

فقال : والى من تسمو ؟ قال :

ومـــا السانحات البارحـــات عشية
أمر سليم القرن ام مر اعضب

قال : اما هذا فقد احسنت فيه ، فقال :

ولكن الى اهل الفضـــائل والنهي وخـــير بـــني حواء والخير يطلب

قال : من هم ؟ قال :

الى النفر البيض الذين بحبهـــم الى الله فـــيما نابـــني اتقرب

قال : ارحني من هؤلاء ؟ قال :

بني هـــاشم رهـــط النبي فانني بهـــم ولهم ارضى مراراً واغضب

قال : لله درك ، احسنت واحسنت ، اذ عدلت عن الزعانف والاوباش ، اذن لا يصرد سهمك ، ولا يكذب قولـك ، ثم مر الكميت في قصيدتـه ، فقال الفرزدق : اظهر ثم اظهر ، وكد الاعداء ، فأنت والله أشعر من مضى ، وأشعر من بقي .

فحينئذ قدم الكميت المدينة ، وأنشد الامام محمد الباقر بن علي بن الحسين ، فلما بلغ من الميمية قوله :

وقتيل بالطف غودر منهم بين غوغاء امـة وطغام

بكى الامام ؛ ثم قال : يا كميت ، لو كان عندنا مال لأعطيناك ، ولكن لك ما قال الرسول (ص) لحسان بن ثابت : لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا اهل البيت .

وأتى الكميت عبد الله بن الحسن بن علي ، فأنشده ، فقـال : يا ابا المستهل ان لي ضيعة اعطيت بها اربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقـد اشهدت لك بذلك شهوداً ، وناوله اياه . فقال له : بأبي انت وامي ، اني كنت اقول الشعر في غيركم ، اريد به الدنيا والمال ، ولا والله ما قلت فيكم إلا لله وما كنت لآخذ على شيء جعلته لله مـالاً ولا ثمناً ، فألح عليه عبد الله ، وأبى من اعفائه . فأخذ الكميت الكتاب ومضى ، فمكث اياماً ، ثم جاء الى عبد الله ، وقال له : بأبي انت وامي يا ابن رسول الله ، ان لي حاجة ؛ قال : مـا هي ؟ وكل حاجة لك مقضية . قال : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم . قال : هـذا الكتاب تقبله وترجع الضيعة ، ووضع الكتاب بين يديه ، فقبله عبد الله .

ونهض عبـد الله بن معاوية بن جعفر ، وجعل يدخل دور بني هـاشم ، ويقول: يا بني هاشم ، هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ،

وعرض دمه لبني امية ، فاثيبوه بمـــا قدرتم ، فجمعوا له الدراهم والدنانير ، وكانت المرأة تنزع الحلي عن جسدها ، وتهبه للكميت حتى اجتمع ما قيمته مئة الف درهم ، وحين رآها الكميت قال : مـــا اردت بمدحي لكم الا الله ورسوله ، ولا أكُ لآخذ ثمناً من الدنيا ، فردوا المال الى اهله، فجهد عبدالله ان يقبله بكل حيلة ، فأبى .

هجا الكميت الامويين ، وشهّر بهم ،وبمساوئهم ؛ واعلن انهم الطرداء الطلقاء اللعناء على لسان النبي (ص) ، ومدح العلويين ، وانتصر لهم ، واشاد بفضلهم معلناً انهم الهداة ، وسبل النجاة ، وان السعادة في هذه الدار لا تنـــال الا بطاعتهم والانقياد لهم،وان الفوز غداً لمن تمسك بحبلهم وولائهم ، هجا اولئك، ومدح هؤلاء لله وفاء لدينه وعقيدته في وقت يعلن فيه شتم علي على المنابر، وكان الاتهام بالزندقة والكفر أهون من تهمة التشيع لعلي وابنـاء النبي ، وكان جزاء المحبين لهم قطع الايدي والارجل والالسن والصلب ، او الدفن حياً .

طعن الكميت بالامويين ، ورماهم بالفساد والاستبداد ، وبكل نقيصة تتنزه عنها اللصوص والقراصنة ، واستشهد بسيرتهم وقدم الارقام من افعالهم ، فمن اقواله التي لا يبلغها الاحصاء !

الا هل عم في رأيه متأمل | وهل مدبر بعد الاساءة مقبل

وهل امة مستيقضون لرشدهم | فيكشف عنه النعسة المتزمل

رضينا بدنيا لا نريد فراقها | على اننا فيها نموت ونقتل

ارانا على حب الحياة وطولها | يجد بنا في كل حين ونهزل

فتلك امور الناس اضحت كأنها

امور مضيع آثر النوم بهل

فيا ساسة هاتوا لنا من جوابكم | ففيكم لعمري ذو افانين مقول

فكيف ومن انّى واذ نحن خلفه   فريقان شتى تسمنون ونهزل

* * *

فيا رب هل الا بك النصر يرتجي   ويا رب هل الا عليك المعول

تسمنون ويهزل صرخه من اعماق القلب المصدوع تهـــز المشاعر ، وتلهب الافئدة ، تسمنون من دمائنا ايها الطغـاة ، وتعيشون عيشة الترف والبذخ ، ونعيش عيشة الفقر والبؤس !..

وقال :

تحل دماء المسلمين لديهم   ويحرم طلع النخلة المتهدل
فيا رب عجل ما نؤمل فيهم   ليدفأ مقرور ويشبع مرمل

سجل في قوله هذا شعور الناس نحو الامويين ، وانـه لا احد فيهم يؤمن شره ، ويرجى خيره ، فيدفع برداً عن عار ، وجوعاً عن جائع ، واذا لم يكن من امل يرجى فعلام السكوت، والنوم على الضيم والطغيان ؟! والى متى الصبر على الاذلال والهون ؟! وقال :

فقل لبني أُمية حيث حلوا   وإن خفت المهند والقطيعا
اجـاع الله من أشبعتموه   وأشبـــع من بجوركم اجيعا

هذه هي كلمة الحق التي اخوف ما يخافهـا الامويون ، واضرابهم ، والتي لا جزاء لقائلها عندهم الا السيف او الجوع ، لانها تنكر التميز وتقسيم الناس الى فئتين : فئة قليلة اكولة شرهـة تستكبر وتستعلي وتجور ، فتفترس الارواح ، وتشرب الدمـاء ، وتداوي البطون من التخمة والبشم ، واخرى هي الاكثرية تلقى في الطريق كالقمامة ، تقاسي ألم النزع والموت البطيء ، وقد كانت هـذه الموازنة والمقابلة بين الجائعين والمترفين ومـا زالت تعمل عملها في تحطيم التيجان

ودك العروش ، وقلب الأنظمة والاوضاع ، هذه الكلمة التي يتغنى بها المصلحون اليوم ، ويجعلها الكتاب الاحرار هدفاً للأدب والفن ، ويكتبون حولها المقالات والمؤلفات ، ومئات القصص والروايات ، هذه الكلمة كانت الطابع الاصيل في شعر شعراء الشيعة ، وفي طليعتهم الشاعر الاسدي الكميت بن زيد ، قال الاستاذ جرداق في ج ٥ « علي والقومية العربية » ص ١١٩٠ الطبعة الاولى :

« يثور الادب الشيعي على الخلفاء الذين لا فرق عندهم بين البشر والسائمة ، ويقول عنهم على لسان الكميت :

ساسة لا كمن يرى رعية النا — س سواء ورعية الانعـام
لا كعبد المليـك ولا كوليـد — او سليمان بعد او كهشام

ويقول الكميت في هشام وبني مروان الذين يخاطبون الناس على المنابر بالعدل وينزلون عنها ، فيعملون بالجور :

مصيب على الاعواد يوم ركوبها — بما قال مخطيء (حقاً) حين ينزل
كلام النبيـين الهداة كلامنـا — وافعال اهل الجاهلية نفعل

ويمعن الامويون في اضطهـاد هذا الشاعر الثائر ، فيسجنونه ، ويعـذبونه وينكلون به ، فما يبادرهم الا بمثل هذا القول :

ما ابالي ولن ابالي فيهم — ابداً رغم ساخطين رغام
ان امت لا امت ونفسي نفسان من الشك في عمى او تعامي

وهدده الامويون بالقتل ، ورعدوا وأبرقوا ، فقال :

ارعـد وابرق يا يز — يد (هما) وعيدك لي بضائر

وظل الكميت يحارب الامويين ، حتى قتـــل ، ولم يتهيب شعراء الشيعة ان يتوجهوا الى الامويين بلهجة العنف لاغفالهم شؤون النـــاس ، وانصرافهم الى انفسهم ، فهذا همام بن عبدالله يبعث الى يزيد بقصيدة يقول فيها :

حشينا الغيظ حتى لو شربنا دماء بني امية ما روينا
لقـــد ضاعت رعيتكم وانتم تصيدون الارانب غافلينا

ومن جرأة شعراء الشيعة على مـــلوك بني اميـــة قول الفرزدق في هشـــام ابن عبد الملك :

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد وعين له حولاء باد عيوبها

ويدلنا شعر الكميت ان للشاعر منهجاً معيناً يسير عليه ، ولا يتعداه ، وهدفاً خاصاً يعمل له ، ويتحمل من اجله الاضطهاد والعنـــاء ، ويعرض نفسه للموت والهلاك ، والهدف الذي يعمل له الشاعر هو ان يكون الحكم والسلطان للعلويـــين دون سواهم ، فهم الذين يسبغون على الرعية الخيرات والبركات ، ويجنبونهـــا الشرور والويلات ، ويحققون لها الغبطة والسعادة ، وبهم ينجو الانسان غداً من عذاب الله وغضبه ، ويستشهد الشاعر على ذلـــك بالقرآن والحديث والبراهـــين العقلية ، يسوقها في شعره يدعم بهـــا رأيه ، ويؤيد مذهبه ، قال الجاحظ : وما فتح للشيعة باب الحجاج إلا الكميت ، حيث يقول :

فان هي لم تصلح لحي سواهم فان ذوو القربى أحق وأوجب
يقولون لم يورث ولولا تراثـه لقد شركت فيه بكيل وارجب

وبكيل وارجب قبيلتان من العرب ، وقال في العلويين :

فهم الاقربون من كل خير　　　وهم الابعدون من كل ذام
وهم الاوفون بالناس في الرأ　　　فة والاحلمون في الاحلام
بسطوا ايدي النوال وكفوا　　　ايدي البغي عنهم والعرام
اخذوا القصد فاستقاموا عليه　　　حين مالت زوامل الايام
خير حي وميت من بني آد　　　م طرا مأمومهم والامام

فبنوا هاشم جميعاً امامهم ومأمومهم خير الناس طراً الاحياء منهم والاموات ، قال :

بني هاشم رهط النبي وانني　　　بهم ولهم ارضى مراراً واغضب
خفضت لهم مني جناحي مودة　　　الى كنف عطفاه اهل ومرحب
فما لي الا آل احمد شيعة　　　وما لي الا مذهب الحق مذهب
ومن غيرهم ارضى لنفسي شيعة　　　ومن بعدهم لا من اجل وارحب

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

واننا لنلمح في هذا القول اخلاصاً لا يتزعزع ، وايماناً يزداد قوة كلما ازدادت الخطوب والنكبات في سبيل حب اهل البيت ومودتهم. وقد جمع شعر الكميت الذي مدح فيه العلويين ، وفضلهم فيه على الناس اجمعين ، وطبع في ديوان خاص اطلق عليه اسم (الهاشميات) وعدد ابياتها خمسمئة وستة وثلاثون بيتاً ، طبعت في اوروبا ، ثم في مصر ، واهتم بشرحها العلماء والادباء من العرب والمستشرقين .

وفي ذات يوم ، والكميت في مجلس والي الامويين يوسف بن عمر الثقفي انقض عليه ثمانية من حرس الوالي ، وتناولوه بسيوفهم ، ولم يتركوه الا بعد ان يئسوا من حياته ، وفي آخر لحظة منها فتح عينيه ، وقال : اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد .

مات الكميت ، ولكن عقيدته التي استشهد من اجلها مـــا زالت حية تدين بها الملايين في شرق الارض وغربها ، وستبقى مـــا بقي الاسلام والقرآن .

وبالتالي ، فان رسالة الكميت وسياسته وعقيدته تعبر عن معنى واحـــد يتلخص في الولاء للعلويين والاعتماد عليهم في امور الدنيـــا والآخرة لانهم المثل الأعلى للحق والعدل والمساواة ، ومن اجل ذلك جاهد وكافح ، وفي سبيله قتل واستشهد . رضوان الله عليه ورحمته وبركاته .



بنو العباس

•

قامت الثورات ضد الامويين منــذ اليوم الاول لحكمهم ، وامتدت الى اليوم الاخير ، ولكنها كانت في بدايتها ثورات ضيقة محدودة يقضي عليها الولاة في يوم او ايام ، اما الثورة الكبرى التي عجزت امية عن مقاومتها والقضاء عليهـا فقد جاءت في عهد مروان الحمار آخر ملوك الامويين، حيث تمردت عليه القبائل وخرج الجيش والشرطة عن طاعته ، وتخلف الناس عن نصرته ، وهان على كل انسان ، وانفض انصاره من حوله ، حتى ضاقت الدنيا في وجهه، ولم يجده بذل الاموال والاغراء بالمناصب .

وكان يفر من الجيوش الزاحفة في اثره ، وينتقل من بلد الى بلد ، وكلمـــا وصل الى مكان لقيه اهله شر لقاء ، قصــــد الموصل فشتمه سكانها ، واغلقوا ابواب مدينتهم في وجهه ، ذهب الى قنسرين فوثب اهلها على جنده ، فتركها الى حماة فاعتدوا عليه . رجع الشام فرد عنها ، اتجه الى فلسطين فولوا وجوههم عنه ، وهكذا تتبعه العباسيون ، وهو يفر امامهم من بلد الى بلد حتى وصل الى قرية بوصير من اعمال مصر ، فقتل بها في آخر سنة ١٣٢ هـ ، وبقتله انتهت خلافة بني امية ، « فقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » .

خير من الف شهر :

قال المسعودي :

« كان جميع ملك بني امية ، الى ان بويع ابو العباس السفاح ، الف شهر كاملة ، لا تزيد ولا تنقص ، لانهم ملكوا تسعين سنة ، واحد عشر شهراً ، وثلاثة عشر يوماً » . وجاء في تفسير الرازي عن القاسم بن فضل عن الاسلام الحسن (ع) : ان رسول الله (ص) رأى في منامه بني امية ينزون على منبره نزو القرود ، فشق ذلك عليه ، فأنزل الله تعالى : « انا انزلناه في ليلة القدر » الى قوله « خير من الف شهر » يعني ملك بني امية ، قال القاسم : فحسبنا ملك بني امية ، فاذا هو الف شهر .

العباسيون يستغلون الظرف :



كان العالم الاسلامي في التهاب عام ، وسخط شامل ضد الامويين ، وكان المسلمون متجهون بعقولهم وقلوبهم الى ابناء علي دون غيرهم ، لامور :

١ - انهم اهل البيت ، وقد اختارهم الله لرسالته ووحيه ، فبالأحرى ان يختارهم الناس لقيادتهم وتدبير شؤونهم ، بخاصة ان الثورة على الامويين قامت باسم الدين ، والخوف على شريعة سيد المرسلين ، وابناؤه هم الامناء على شريعته ، والمحافظون على سنته ، فاذا حكموا عملوا بسيرته من اقامة العدل واحقاق الحق .

٢ - انهم اول من ثار على الامويين واستبدادهم ، واول من عبر عن رأي المظلومين ، وطالبوا بحقوقهم ، واول من استشهد من اجلهم ، ومن دفع الغرم فله الغنم .

٣ – ان شيعة علي وابنـاءه كانوا الحزب القوي المعارض الذي عمل في السر والخفاء ضد الحكم الاموي ، وبذل في هـذا السبيل النفس والنفيس ، ولاقى رجال الشيعة ما لاقاه الأئمة الاطهار من التقتيل والتنكيل .

ويعزز هذه الاسباب ما قاله ابن الاثير في ج ٤ ص ٣٣٠ و٣٣٢ من ان الناس كانوا يقولون للامويين بعد ان زال ملكهم : الحمد لله الذي اتانا بأهـل لبيت نبينا ، وأن العباسيين كانوا يتذرعون بثأر الحسين وزيد وولده يحيى !...

لقد استغل بنو العباس سخط الرعية على بني اميـة ، ومعارضـة الشيعة لحكمهم وتعلق الناس بالعلويين ، وأظهروا ان غايتهم الاولى اسقاط الامويين ، واراحة الناس من ظلمهم ، ثم يختارون من تتفق عليـه الكلمة من آل بيت الرسول ، فالعباسيون لم يقدموا في بـدء الامر اشخاصاً منهم ولا من غيرهم ، وانما قدموا المبدأ الذي يدافعون عنـه ، تماماً كما فعلت فرنسا وانكلترا حين حاربت الاتراك ، وزعمتا انهما يبتغيان تحرير البلاد العربية من الظلم ، ثم تدعان البلاد لأهلهـا يقررون مصيرهم بأنفسهم ، حتى اذا زالت دولة الاتراك استبدت فرنسا بسورية ولبنان ، وتحكمت انكلترا بالعراق والاردن ، وقدمت فلسطين لاسرائيل ، قال فلهوزن في كتاب (تاريخ الدول العربية) ص ٤٨٩ :

(كان العباسيون يعملون ما استطاعوا على ان يخفوا عن النـاس انهم كانوا يريدون تنحية بني فاطمة ، بل كانوا يظهرون انهم يعملون من اجل بني فاطمة ، وظهروا في خراسان وغيرهـا بدعوى انهم يريدون ان يثأروا لشهداء ابنـاء فاطمة ... وكان لا بد لهم ان يتخذوا حزب الشيعة عماداً لهم ازاء بني فاطمة ، فاما ان يعتقد الشيعة ما يشاءون ، وان تكون سيرتهم في الحيـاة كما يحبون ، فكان العباسيون يعتبرون ذلك مسألة يمكن حلها فيما بعد .

ارتفع العباسيون باسم العلويـين ، وعلى اكتاف شيعتهم ، ثم تنكروا لهم ،

واشتدوا عليهم قسوة وعنفاً ، وقبل ان ندخل في التفاصيل نمهد بكلمة تدا حقيقة بني العباس بوجه عام .

من هم بنو العباس ؟

لا يفترق العباسيون عن بني امية في شيء ، لا في الظلم والقسوة ، ولا في الفسوق والفجور ، ولا في الاستهتار والزندقة ، فالغاية واحدة عند الجميع ، وهي الانتفاع والاستغلال ، فالمبدأ واحد ، وهو اللامبالاة بالدين ؛ فالكل ركب متون الاهواء ، وسلك طريق الضلال ، من قطع الرؤوس ، ونصب المشانق ، وهدم الدور على الاحياء ، وما ابراهيم واخوه السفاح الا كمعاوية ، وما المنصور والرشيد الا كهشام ، وما المتوكل الا يزيد بن معاوية ، فلقد عرفنا حاكمين يتخذون من القتل وسيلة لتوطيد سلطانهم ، او لحفظ الأمن بزعمهم ، اما من ذكرناه من الامويين ، وسنذكره من العباسيين فقد كان يقتل لا لسبب الا بدافع من الغدر والاسراف في القتل .

حين ضاق الناس ذرعاً بالامويين ، وبلغ الاستياء ذروته من سياستهم ارسل ابراهيم الامام [1] — اخو السفاح — ابا مسلم الخراساني الى خراسان، وقال له فيما قال : احفظ وصيتي : انظر هذا الحي من اليمن ، فاكرمهم واسكن بين اظهرهم ، فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم ، وانهم ربيعة في امرهم ، واما مضر فانهم العدو القريب الدار ، واقتل من شككت فيه ، وان استطعت ان لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل ، وايما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله !..

وبعد ان نقل المقريزي هذا الكلام من كتاب (النزاع والتخاصم) قال معقباً : (فأين اعزك هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين لعمالهم ،

(١) قبض مروان الحمار على ابراهيم ، ومات في حبسه مقتولا او مسموماً .

وتالله لو توجه ابو مسلم الى ارض الحرب ، ليغزو اهل الشرك بالله ، لما جاز ان يوصي بهذا ، فكيف وانما توجه الى دار السلام ، وقتال ابنـــاء المهاجرين والانصـــار ، وغيرهم من العرب لينتزع من ايديهم مـــا فتحه آباؤهم من ارض الشرك ، ليتخذوا مال الله دولا ، وعبيده خولا ؟! وقـد عمل ابو مسلم بوصية ابراهيم .

وأي فرق بين قول ابراهيم العباسي : (واقتل من شككت فيـه) وقول معاوية الاموي حين كتب الى عماله : (انظروا من اتهمتموه بموالاة اهل البيت فنكلوا به واهدموا داره) ؟!.. وارسل السفاح محمد بن صول والياً على الموصل، فامتنع اهلها عن طاعته ، وسألوا السفاح ان يولي عليهم غـيره ، فأرسل اليهم اخاه يحيى في اثني عشر ألف مقاتل ، فخافه اهل الموصل ، فنادى بالامان (ولما أمنوا على انفسهم قتلهم قتلاً ذريعـــاً) ، واسرف في التقتيل حتى غاصت الارجل في الدماء ، فلما كان الليل سمع يحيى صراخ النساء اللاتي قتل رجالهن ، فأمر بقتل النساء والاطفال .

واستمر التقتيل ثلاثة ايام !.. (ابن الاثير ج ٤ ص ٣٤٠ ط ١٣٥٧ هـ) .

واذا اعطفنا هــذه الحادثة على وصية ابراهيم علمنا ان بني امية لم يسبقوا العباسيين في الظلم والاستبداد ، ولو كنا ممن يؤمن بالتناسخ لقلنا ان روح معاوية تقمصت في ابراهيم ، وروح الحجاج في يحيى .

السفاح :

اسمه عبد الله ، وكنيته ابو العبـــاس ، ولقبه السفاح ، وهو اول من تولى الحكم من العباسيين ، بويع سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، ومات سنة ست وثلاثين ومئة ، فكانت ايامه اربع سنين واشهراً ، قضاها في تتبع الامويين والقضـاء عليهم ، وعلى اتباعهم ، ومن كان قد اتصل بهم من قريب او بعيد ، فكان

السفاح لا يسكن ولا يهدأ ما علم ان في اموي عرق ينبض ، وفوق ذلك لم يكن لمن يشك ولائه ، او يخشى تغييره في المستقبل إلا حد السيف، كما فعل بأبي سلمة الخلال ، وكما صنع عامله يحيى في الموصل ، وعمه داود في الحجاز ، وعمه سليمان في البصرة، وابو مسلم في خراسان، فقد انكر في بخارى شريك ابن شيخ المهري على ابي مسلم قسوته ، وطالب بالحق والعدل ، وقــال : لم نبايع بني العباس على سفك الدماء وقتل الأنفس ، فقتله ابو مسلم ، ونكل برجـــاله ، وكانوا ثلاثين ألفاً .

اشتهر السفاح بهذا اللقب ، لكثرة ما سفك الدماء ، فيما رواه المؤرخون انه استدرج ثمانين من بني امية ، وامرهم ان يحضروا لأخــذ الجوائز والعطايا ، وتناول الطعام ، فلما حضروا امر بقتلهم، ثم بسط عليهم فراشاً ، وجلس فوقه يأكل ، وهم يضطربون تحته ويصرخون ، فلما فرغ قال : ما أكلت أكلة قط أهنأ ولا أطيب لنفسي منها . واذا كان الامويون مستحقون للقتل فــان دعوتهم الى وليمـــة ، ثم قتلهم والاكل على جثثهم تجعل القاتل شريكاً في الجرائم والرذائل التي اتصف بها الامويون .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وكان كثير من النـــاس ، وبخاصة الشعراء ، يغرون العباسيين ببني امية ، ويحثونهم على الفتك ، وكانوا يلتمسون ادنى المناسبـــات ليذكروا الاسرة المالكية بشر مـــا فعله الامويون الا ابناء علي فقد كانوا ينهون العباسيين عن الاسراف بقتل الامويين ، ويوجدون الاعذار لمن بقي منهم مع ان اكثر مظالم الامويين كانت تقع على ابناء علي ، ولكن ابناء المؤمنين اصحاب عقيدة ومبدأ لا اصحاب شهوات واغراض ، انهم اولاد الذي عفا عن ابن العــاص في صفين ، وعن مروان يوم تجمل ، وسقى معاوية الماء بعد ان منعه منه ، وقـــال : اذا قدرت فاجعل العفو شكراً على المقـــدرة ، ولا بدع انهم اهل بيت العدل والتقوى . قال ابن الاثير في ج ١ ص ٣٤ : (لما اراد داود قتل من كان من الامويين في مكة والمدينة ، قـــال له عبدالله بن الحسن بن الحسن : يا اخي اذا

قتلت هؤلاء ، فمن تباهي بالملك ؟! اما يكفيك ان يروك غادياً رائحاً فيا يذلهم ويسومهم ؟! فلم يقبل منه ، وقتلهم » .

وكان من المتوقع ان يحابي السفاح ابنـاء علي وشيعتهم ، ويقربهم ويفضلهم على الناس اجمعين ، لانهم كانوا والعباسيين حلفاء وحزباً واحداً ضد الامويين ، وكان العباسيون يوهمون على الناس بأنهم يدعون الى ابناء علي ، لانهم اقرب الى القلوب من العباسيين وأعظم شأناً ومنزلة عند المسلمين، ولكن بني العباس غيروا سياستهم بعـد ان اصبحت السيادة في ايديهم فتنكروا للعلويين وشيعتهم ، وأوعزوا الى الشعراء ان يعرضوا بأولاد علي ، وينفوا عنهم حق الخلافة ، قال محمد احمد براق في كتاب « ابو العباس السفاح » ص ٤٨ :

« ان اصل الدعوة كان لآل علي ، لان اهـل خراسان كان هواهم في آل علي لا آل العباس ، لذلك كان السفاح ، ومن جاء بعده مفتحة عيونهم لأهــل خراسان ، حتى لا يتفشى فيهم التشيع لآل علي ... وكانوا يستجلبون الشعراء ليمدحوهم ، فيقدمون لهم الجوائز ، وكان الشعراء يعرضون بابنـاء علي وينفون عنهم حق الخلافة ، لانهم ينتسبون الى النبي عن طريق ابنته فاطمة ، امـا بنو العباس فانهم ابناء عمومة » .

هذا ، الى ان العباسيين تركوا مذهب اهل البيت ، واعتنقوا مذهب التسنن، خوفاً ان ينتشر التشيع ، وينتقل الحكم الى العلويين ، وبهذا سار العباسيون على نفس الطريق الذي سار فيه الامويون سياسة وعقيدة وعمــلا . والخلاصة ان السفاح لم يقتل احداً من الشيعة ، ولم ينكل بهم علناً كما فعل من جـاء بعده من العباسيين ، لأنـه اولاً كان مشغولاً بخصومه الامويين واستئصالهم ، وثانياً كان والشيعة بالأمس القريب يداً واحدة ضد بني امية ، وقد أدوا مهمتهم على أكمل الوجوه وساعدوا على وصوله الى الحكم ، وثالثـاً كان يقيم في الكوفة ، واتخذها عاصمة له ، واهلها من شيعة علي ، ولم يكن له من القوة ما يقاومهم بها .

ومهما يكن ، فان في هذه الفترة من اخريات الامويين ، واوليات العباسيين كانت فرصة مواتية للامام محمد الباقر ، وولده الامـام جعفر الصادق الى بث علوم اهل البيت، ونشرها على الناس، وكان من اثرهما هذه الاحاديث التي اغنت المكتبة العربية في شتى العلوم بخاصة التشريع والفلسفة والتفسير والاخلاق .

المنصور :

اسمه عبد الله ، وكنيته ابو جعفر، ولقبه المنصور، اما نسبه فهو ابن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس عم النبي (ص) وأخو ابيه من الأب دون الأم ، وبويع المنصور سنة ست وثلاثين ومئة ، ومات سنة ثمان وخمسين ومئة فكانت ايامه اثنتين وعشرين سنة .

قال المؤرخون : ان اخـاه السفاح كان اول خلفاء البيت العباسي ، ولكن المنصور يعد في الواقع المؤسس الحقيقي لتلك الدولة ، ومشيد مجدها ، واليـه يعزى تمكين الاسرة العباسية من الحكم الذي زاولته طوال هذه المدة ، والنفوذ الذي تمتعت به واتفق المؤرخون على ان اخلاقه كانت مزيجاً من الخير والشر .

وانه كان ملماً بطبائع الناس .

وانـه ألف هيئة قوية من العلماء يتعاونون في شد ازر العباسيين ، ويخلصون لهم كل الاخلاص .

وانـه اول من احدث ثغرة الخلاف بين العباسيين والعلويين بعد ان كانا كتلة واحدة .

اما إلمامه بطبائع الناس ، وتأليفه هيئة من العلماء موالية له، واحداثه الثغرة بين العباسيين والعلويين فصحيح ، واما القول بأن اخلاقه مزيج من الخير والشر فبعيد عن الواقع ، بل كانت اخلاقه محض الشر ، اجل ، انه استطاع بما اوتي من المكر والخداع ان يموه على الناس بـأن فيه رائحة الخير ، فلقد رأى تملق

الناس بالدين ، وتأثيره عليهم ، فاستمالهم عـــن طريقه وألف هيئة دينية تواليه وتؤازره ، وتظاهر بالخوف من الله ، وفي الوقت نفسه نشر المظالم والمآثم ، أي انـه جمع بين الافساد في الارض ، واظهار التسبيح بحمد الله والتقديس له ، ومن هنا قال المؤرخون كانت اخلاقه مزيج من الخـــير والشر ، ولكنهم عجزوا ان يقدموا دليلاً واحداً على حبه الخير للخير ، اما ما تراءى لهم انـه من الخير فهو نفاق ورياء .

جـاء في « العقـد الفريد » ج ١ ص ٤١ : ان المنصور كان يجلس ، ويُجلس الى جنبه واعظاً ، ثم تأتي الجلاوزة – الشرطة – في ايديهم السيوف ، يضربون اعناق الناس ، فـاذا جرت الدماء ، حتى تصل الى ثيابه يلتفت الى الواعظ ، ويقول له : عظني ! . فـاذا ذكره الواعظ بالله أطرق المنصور كالمنكسر ، ثم يعود الجلاوزة الى ضرب الاعناق ، فاذا مـا أصابت الدماء ثياب المنصور ثانية قال لواعظه : عظني !...

وان قول المنصور لواعظه ، عظني ، يدل على واحد من اثنين : إمـــا على استهزائه بالدين ، وسخريته من القرآن الذي نهى عن قتل النفس وسفك الدماء ، وإما على ان الناس في عهده قد بلغوا من البلاهة حداً يلبس عليهم بأن الليل نهار والنهار ليل، وحاول بعض المؤلفين الجدد ان يفسر امثال هذه الظاهرة بازدواج الشخصية ، وان المنصور يخضع في تصرفاته لأمرين : خلق التدين ، وحب الملك فهو يستمع للواعظ بدافع الايمـــان ، وهو يسفك الدماء بدافع توطيد الحكم . وهذا التفسير خطأ واشتباه، فليس في الواقع إلا شيء واحد، وهو الذات الاثيمة ظهرت في مظهرين : مظهر الظلم والقتل، ومظهر التمويه والدجل، رأى المنصور ان الرعية يعجبها ان يتصف الخليفة بخشية الله ، والخوف منه ، وان تظن بـه الرغبة في الاستماع لارشاد المرشدين ، وتقريب الواعظين ، فقربهم منه ، واستمع اليهم باذنه ، واعطاهم الاموال ، لينشروا بين الناس ان خليفتهم يخشع لذكر الله ويبكي اذا ذكر اليوم الآخر .

ولم تخف حقيقته هذه على الوعاظ أنفسهم ، فابتعد عنه المخلصون منهم ، وتقرب اليه المنافقون الذين يتاجرون بالدين مع كل من يدفع الثمن ، ومن الذين ابتعدوا عن المنصور الامام جعفر الصادق (ع) على الرغم من جميع المحاولات التي بذلها لاقناعه ، ومنها كتابه الذي أرسله الى الامام ، وقال له فيه لم تغشانا كما يغشانا الناس ؟ وجواب الامام له : ليس لدينا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا من الآخرة ما نرجوك به . وقد ذكرنا الكتاب والجواب عند الكلام عن طاعة الحاكم الجائر .

والتقى المنصور يوماً بسفيان الثوري ، فقال له : عظني . فقال سفيان : وما عملت فيما علمت ، فأعظك فيما جهلت . اي انت تعلم ان الظلم محرم، والعدل واجب ، ومع ذلك تظلم ولا تعدل ، فكيف تعمل في الامور التي تجهلها حتى اعظك ؟!.. فقال له المنصور : ما يمنعك ان تأتينا ؟ قال : قول الله سبحانه : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » . قال له : سل حاجتك . قال : حاجتي ان لا تدعوني ، حتى آتيك ، ولا تعطيني، حتى اسألك . فقال المنصور: ألقينا الحب الى العلماء ، فالتقطوا إلا ما كان من سفيان فانه أعيانا فراراً .

وقول المنصور ألقينا الحب يؤيد ما قلناه من انه طالب صيد، يحيك الشباك من الدين ، ويلقي فيها الحب ، ليجذب علماء السوء .

ومن اطرف ما قرأت في هذا الباب اسطورة رواها المؤرخون ، والذين كتبوا في الاخلاق ، ورددها الشيوخ والخطباء على المنابر ، ولم يخطر لأحد ان يناقشها ويفحصها ، بل تلقاها الجميع ، كما يتلقون البديهات وهي في اعتقادنا كذب لفقه المنصور ، لتحقيق غاياته ومآربه .

وهذه خلاصة الاسطورة :

كان المنصور يطوف ليلاً في بيت الله الحرام ، فسمع قائلاً يقول : اللهم إنا نشكوا اليك ظهور البغي والفساد ، وما يحال بين الحق واهله من الظلم .

فاستدعاه المنصور ، وقال له : ما الذي سمعته منك ؟ قال : هل انا آمن على نفسي ؟ قال : نعم . قال : ان الله استرعاك امور المسلمين ، فجعلت بينك وبينهم حجاباً وحصوناً ، واتخذت وزراء ظلمة ، واعواناً فجرة ، قالوا : هذا قد خان الله ، فما لنا الا نخونه ؟! فامتلأت بلاد الله فساداً وبغياً ... هذا وانت مؤمن بالله وابن عم رسول الله ، ولا تغلبك رأفة بالمسلمين ؟! فقال المنصور : اللهم وفقني للعمل بما قال هذا الرجل ، ثم اختفى الواعظ ، ولم يعرف مكانه ، وقيل : انه الخضر !..

وبالرغم من ان هذه الاسطورة او القصة تتضمن كثيراً من الحقائق ، وان ظاهرها على المنصور فانها من وضعه وبدعه ، والا لماذا بقي هذا الواعظ مجهولا الى آخر الزمان ؟!.. واذا كان هو الخضر ، فلماذا ظهر الخضر له دون سواه من الطغاة!... اذن هناك سر... اراد المنصور ان يفهم الناس انه خليفة الله ويؤمن بالله وابن عم رسول الله ورعايته . بدليل ان الخضر ظهر له وان الله يتفقده بين وقت وآخر على حين ان الله قد اهمل غيره من الحكام ، لأنهم لا يؤمنون بالله وليسوا ابناء عم رسول الله ، اما هو فانه وان ملأ الارض بغياً وفساداً فانه يؤمن بالله وابن عم رسول الله ، لذلك فهو خليفة الله !...

ومن استقرأ سيرة المنصور يرى العديد من هذه الاساطير التي حاكها بنفسه حول شخصيته ، منها ما ذكره المسعودي في الجزء الثالث ص ٣١٧ : ان المنصور دخل منزلا ، فرأى مكتوباً على الحائط :

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت   سنوك وامر الله لا بد نازل
ابا جعفر هل كاهن او منجم   يرد قضاء الله ام انت جاهل

فبعث الى وزيره الفضل بن الربيع ، وقال له : ألم أنهك ان تدع العامة يدخلون هذه المنازل ، فيكتبون على الحائط ؟! فقال الوزير : وما هو ؟ قال :

أما ترى مكتوباً على الحائط ، وقرأ البيتين . فقال : والله ما ارى على الحائط شيئاً !.. ومـا اشبه حال المنصور في هذه الحكاية وامثالها بحـال العملاء ، يلتقدون اسيادهم المستعمرين امام الناس ، ويعملون في الخفاء لصالح الاستعمار .

ونكتفي بهذه الاشارة الى كذب المنصور وحيله ، لأنه ليس من غرضنا ان نحلل شخصيته من زاوية ايمانه ونفسيته ، ومـــا اردنا الا التمهيد للكلام على سياسته مع العلويين وشيعتهم .



المنصور والعلويون

•

كان البيت العباسي بيت جهل وخمول بعد عبدالله بن عباس ولولا انتسابهم الى عم الرسول لم يرد لأحد منهم ذكر في التاريخ ؛ اما البيت العلوي فكان في جميع الادوار بيت العلم والدين ، ومهوى أفئدة المسلمين ، فمن علي امير المؤمنين الى ولديه الحسنين ، ومنهما الى الامام زين العابدين ومنه الى الصادقين : محمد الباقر وجعفر الصادق الخ ، وكان العباسيون يعتزون بقرابتهم من علي بن ابي طالب وابنائه ، كاعتزازهم بالنبي الكريم (ص) ، وكانوا يحضرون مجالس ابناء علي متأدبين متعلمين ، وكان اذا ركب محمد بن عبدالله بن الحسن يأخذ المنصور بركابه ، ويسوي ثيابه على السرج .

وحين اضطربت امور بني امية اجتمع بنو الحسن وبنو العباس ، وعقدوا البيعة لمحد بن عبدالله بن الحسن ، وكان فيمن بايعه ابراهيم والسفاح والمنصور ، وكان المنصور أشدهم حماساً لهذه البيعة وارسل المجتمعون الى الامام جعفر الصادق ، فلما حضر رغبوا اليه في ان يبايع محمداً ، فقال ان هذا الامر لا يتم الا لهذا ، وضرب على ظهر السفاح ، ثم لهذا ، واشار الى المنصور ، وقال لعبدالله ابن الحسن : ان ولديك ابراهيم ومحمداً سيقتلهما المنصور ، ثم نهض وخرج

من المجلس (مقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص ٢٠٦ و٢٥٤ وما بعدها ط ١٩٤٩) .

ولما دارت الدوائر على الامويين ، واستخلف المنصور اختفى محمد بن عبدالله ابن الحسن خوفاً على نفسه ، فطلبه المنصور من ابيه ، وحاول قتله بكل وسيلة ، ليتخلص من البيعه التي في عنقه ، واجتهد في البحث عنه وعن اخيه ابراهيم ، ونصب العيون ، وبذل الأموال ، فعرف مكانهما ولم يعد امامهما الا الاستسلام او الخروج ، فخرج محمد في المدينة ، وابراهيم في البصرة ، وحاربا حتى قتلا ، وكان محمد يعرف بصاحب النفس الزكية . وقتل معه خلق كثير من ابناء الانصار والمهاجرين ، وابناء جعفر بن ابي طالب ، ومن ابناء الحسين قتل معه الحسين وعلي ابناء زيد بن علي بن الحسين .

قال المسعودي : ان المنصور أكل عجة من مخ وسكر ، فاستطابها ، وقال: اراد ابراهيم ان يمنعني من هذا وأشباهه . من اجل هذه العجة قتل المنصور ابناء الرسول ، والالوف من الابرياء !..

وقال المسعودي في ج ٣ ص ٣١٠ ط ١٩٤٨ ، والمقريزي في «النزاع والتخاصم» ص ٧٤ المطبعة الابراهيمية :

جمع المنصور ابناء الحسن، وامر بجعل القيود والسلاسل في ارجلهم واعناقهم وحملهم في محامل مكشوفة وبغير وطاء ، تماماً كما فعل يزيد بن معاوية بعيال الحسين ، ثم أودعهم مكاناً تحت الارض لا يعرفون فيه الليل من النهار ، واشكلت اوقات الصلاة عليهم ، فجزأوا القرآن خمسة اجزاء ، فكانوا يصلون على فراغ كل واحد من حزبه ، وكانوا يقضون الحاجة الضرورية في مواضعهم ، فاشتدت عليهم الرائحة ، وتورمت اجسادهم ، ولا يزال الورم يصعد من القدم حتى يبلغ الفؤاد ، فيموت صاحبه مرضاً وعطشاً وجوعاً .

وقال ابن الاثير في ج ٤ ص ٣٧٥ : دعا المنصور محمد بن عبدالله العثماني

وكان اخاً لأبناء الحسن من امهم ، فأمر بشق ثيابــه ، حتى بانت عورته ، ثم ضرب مئة وخمسون سوطاً ، فأصاب سوط منها وجهه فقال : ويحك اكفف عن وجهي ، فقال المنصور للجلاد : الرأس الرأس ، فضربه على رأسه ثلاثين سوطاً واصاب احدى عينيه سوط فسالت على وجهه ، ثم قتله[1] ، وقال ابن الاثير في الصفحة نفسها : واحضر المنصور محمد بن ابراهيم بن الحسن ، وكان احسن الناس صورة ، فقال له : انت الديباج الاصفر ، لاقتلنك قتلة لم اقتلهــا احداً ، ثم امر به فبني عليه اسطوانة ، وهو حي ، فمات فيها ا..

كان معاوية بن ابي سفيان يدفن الاحياء خنقاً تحت الارض ، وكان المنصور يقيم عليهم البناء فوق الارض ، وهذا هو الفارق الوحيد بين خليفــة الشام ، وخليفة العراق ، بين الاموي والعباسي ، على اننــا لا نعرف اموياً واحــداً سجن جماعة تحت الارض ، وتركهم يموت الواحد منهم بعد الآخر بين الفضلات والقذارات ، ولهذا قال الشاعر :

واللهِ ما فعلت امية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وفي كتاب « النزاع والتخاصم » ص ٧٤ : انه كان للقــاسم بن ابراهيم طباطبا[2] ضيعة بالمدينة يقال لها الرس ، فلم يسمح له المنصور بالمقام بهــا حتى طلبه ، ففر الى السند وقال :

لم يروه ما اراق البغي من دمنا	في كل ارض فلم يقصر من الطلب
ولم يصف غليلاً في حشاه سوى	ان لا يرى فوقها ابن لبنت نبي

---

(١) النزاع والتخاصم للمقريزي ص ٧٤ .

(٢) طباطبا لقب لابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، اما سبب هذا اللقب فانه كان يلثغ بالقاف ، فيجعلها طاء ، قال يوماً لغلامة : هات ثيابي ، فقال الغلام : اجيء بدراعة . قال : لا طباطبا ، يريد قباقبا ، فبقي لقبه عليه ، واشتهر به .

وكان يفر من بلد الى بلد، يسير حافياً، والدم يسيل من قدميه ، ومن قوله ، وهو مشرد :

عسى جابر العظم الكسير بلطفه سيرتاح للعظم الكسير فيجبر
عسى الله لا تيأس من الله انه ييسر منه ما يعز ويعسر

ومن كتاب « النزاع والتخاصم » ص ٧٦ :

« ان المنصور دل امرأة ابنه المهدي وولي عهده على بيت ، واستحلفها ان لا تفتحه الا بعد وفاته بحضور زوجها ، وبعد هلاكه فتحه المهدي ، واذا فيه من قتل الطالبيين ، وفي آذانهم رقاع فيها انسابهم ، وفيهم اطفال » .

ثم قال صاحب النزاع والتخاصم : « اين هذا الجور والفساد من عدل الشريعة المحمدية ، وسيرة أئمة الهدى ؟! اين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من رحمة النبوة ، وتالله ما هذا من الدين في شيء ، بل هو من باب قول الله سبحانه : « فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض ، وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى ابصارهم » .

هذا عمل من يزعم انه يؤمن بالله واليوم الاخير ، والكتاب المنير ، وانه امير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، وابن عم سيد المرسلين ؟! وهكذا يفعل ما لا تفعله الوحوش والذئاب من ينتحل الالقاب ، ويتوكأ على الانساب .

الامام جعفر الصادق والمنصور :

اول من اطلق لقب الصادق على الامام جعفر بن محمد هو المنصور بعد ان تحقق قوله بأن المنصور سيملك ، ويقتل محمداً وابراهيم ابني عبدالله بن الحسن ، كما قدمنا ، وكان الامام الصادق في عهد المنصور يوصي شيعته ، ويقول لهم :

عليكم بالطاعة والصمت ، فانكم في سلطان من مكرم لتزول منـــه الجبال .
ولكن المنصور لا يرضيه الصمت من الامام ، والطاعة من شيعته مـا دام الناس يعتقدون بإمامته ، وتفضيله على المنصور والناس اجمعين .

قـــال محمد الاسقنطوري : دخلت يومـاً على الدوانيقي ، اي المنصور ، فوجدته في فكر عميق ، فقلت له : ما هذا الفكر ؟ قـــال : قتلت من ذرية فاطمة بنت محمد ألفاً او يزيد ، وتركت سيدهم ومولاهم . فقلت : ومن ذاك ؟ قال : قد عرفت انك تقول بإمامته ، وانه إمامي وإمامك ، وإمام جميع هذا الخلق [1] ، ولكن الآن افرغ له . وتدلنا هذه الرواية على انتشار التشيع لعلي ولأولاده حتى بين حجاب المنصور وحواشيه ، بل ان الربيع وزير المنصور كان شيعياً .

وجاء في « العقد » ج ٥ ص ١٥٩ ط ١٩٥٣ :

لـما حج المنصور مر بالمدينة ، فقال للربيع : عليَّ بجعفر بن محمد ، قتلني الله ان لم اقتله ، فمطل به ، ثم ألح فيه ، فحضر ، فلما دخل همس الامام بشفتيه ، ثم تقرب ، وسلم ، فقال المنصور : لا سلم الله عليك يا عدو الله !. تعمـــل على الغوائل في ملكي !.. قتلني الله ان لم اقتلك ، فقال الامام : ان سليمان أعطي فشكر ، وان ايوب ابتُلي فصبر ، وان يوسف ظُلم فغفر ، وانت على ارث منهم وأحق بالتاسي بهم . فنكس المنصور رأسه ، ثم رفعه ، وقال : يا ابا عبـد الله انت القريب القرابة ؛ وذو الرحم الواشجة ، ثم عانقه وأجلسه معه على فراشه، واقبل عليـه يسائله ويحادثه ، ثم قال : عجلوا لأبي عبد الله اذنه وكسوته وجائزته .

---

(١) كتاب « شرح شافية ابي فراس في مناقب آل الرسول ومثالب بني العباس » ص ١٧١ .

ولمـــا خرج الامام تبعه الربيع ، وقال : اني منذ ثلاثة ايام ادافع عنك ، واداري عليك ، ورأيتك اذ دخلت همست بشفتيك ، وقـد انجلى الامر ، وانا خادم سلطان ، ولا غنى لي عنه ، فأحب ان تعلمنيه .. قال الامـــام : قل : اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكفني بكنفك الذي لا يرام ، ولا اهلك ، وانت رجائي ، فكم من نعمة أنعمتهـــا عليّ قل عندها شكري ، فلم تحرمني وكم من بلية ابتليتني بها قل عندها صبري ، فلم تخذلني ، اللهم بك ادرأ في نحره ، واعوذ بخيرك من شره [1] .

وكان المعلى بن خنيس من الشيعة المقربين لدى الصـــادق ، وكان مولاه ووكيله ، فكتب المنصور الى عامله على المدينــة ، وهو داود بن عروة بقتله ، فاستدعاه داود ، وقال له : اكتب اسماء الشيعة ، وإلا ضربت عنقك ، فقال : أبالقتل تهددني ؟!.. والله لو كان اسم احدهم تحت قدمي مـا رفعتها . فضرب عنقه وصلبه ، فعز ذلك على الامام الصادق ، ودعا على داود ، ومـا انتهى من دعائه ، حتى ارتفع الصياح ، وجـــاء الخبر بهلاكه (البحار للمجلسي المجلد ١٢ باب احوال الصادق مع المنصور) . وايضاً كتب المنصور الى عامله ان يحرق على الامام الصادق داره [2] ثم دس اليه السم فمات مسموماً (المظفر تاريخ الشيعة ص ٤٦ نقلاً عن اسعاف الراغبين والصواعق المحرقة ونور الابصار) .

قتل المنصور من ابنـــاء علي وفاطمة ألفاً ، او يزيدون باعترافه وقتل من شيعتهم ما لا يعد ولا يحصى، وتفنن في ظلمهم، واخترع انواعاً من القتل، والواناً من التنكيل ، تماماً كما يتفنن علمـاء القرن العشرين باختراع الوسائل التي تخفف

---

(١) ان هذا الدعاء وغيره يستجاب من الامام ومن سار في طريقه. اما من غرق في الحرام الى اذنيه فلا يقبل منه حرف واحد من الف دعاء ودعاء .

(٢) « شرح شافية ابي فراس » ص ٥٥٩ .

آلام البشرية، وتيسر المسير من شؤونهم، فمن الضرب بالسياط على الأعين، حتى تسيل، الى هدم البيوت على الاحياء، الى رصفهم مع الاحجار في الجدران، الى تسميمهم بالفضلات والقذارات، الى ما لا نهاية.

ومهما يكن، فيجب ان لا ننسى ان المنصور كان يؤمن بالله، وانه خليفته في ارضه، وقرابة نبي الرحمة!.. والحق ان المنصور ادى رسالته كحاقد على الفضيلة واهلها!..

وبالتالي، فان استقرائي لسيرة «الخلفاء المسلمين» قد بعث في شعوراً بأن الاسلام لولا المنصور وأمثاله من الحاكمين لعم الناس اجمعين، واعتنقوه تلقائياً بدون دعوة ودعاية، ولما وجد على هذه الكرة انسان غير مسلم.

المهدي:

مات المنصور، وقام ولده محمد الملقب بالمهدي [1] وبقي في الحكم من سنة ثمان وخمسين ومئة الى سنة تسع وستين ومئة، وكان ابوه قد أتم المهمة، وانتهى من تنفيذ ما أعده من خطط الاغتيال والفتك بقوى الخير والصلاح ولم ينج منه إلا اثنان: علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، فأخذه المهدي وسجنه، ثم دس اليه السم، فتفسخ لحمه، وتباينت اعضاؤه.

وعيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، توارى من المهدي

---

(١) قال المهدي للامام الكاظم: ان الناس يقولون: لا تحريم في القرآن للخمر. فقال الامام: بل هي محرمة في كتاب الله، قال تعالى: يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير، فهي اثم والاثم محرم بنص القرآن حيث قال عز من قائل: انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي.

خوفاً على نفسه ، قال ابو الفرج في مقاتل الطالبيين : « كان عيسى أفضل من بقي من اهله ديناً ، وعلماً ، وورعاً ، وزهداً ، وتقشفاً ، وأشدهم بصيرة في امره ومذهبه ، مع علم كثير ، ورواية للحديث ، وطلب له ، صغيره وكبيره » .

هرب عيسى من المهدي ، واختبأ في الكوفة في دار بعض الشيعة ، وهو علي ابن صالح ، ثم رأى ان يتخذ عملاً يتعاش منه ، ولا يكون كلاً على احد ، وكان اهل الكوفة ينقلون الماء من الفرات الى بيوتهم على الجمال وسائر الحيوانات فاتفق عيسى مع صاحب جمل على ان يستقي على الجمل ، ويدفع له كل يوم اجراً معيناً ، ويتقوت هو بما يبقى ، وهكذا بقي أمداً طويلاً ، وهو متنكر ، وتزوج امرأة من فقراء الكوفة لا تعرفه هي ولا اهلها .

وكان لعيسى اخ اسمه الحسين بن زيد ، وله ولد يدعى يحيى ، فقال يحيى يوماً لأبيه : يا ابه ، اني اشتهي ان ارى عمي عيسى ؛ فانه يقبح بمثلي ان لا يلقى مثله من اشياخه . فقال له : ان هذا الامر يثقل عليه وأخشى ان ينتقل من منزله كراهية للقائك اياه ، فتزعجه ، فما زال يحيى يلح على ابيه ، حتى طابت نفسه ، وقال له : اذهب الى الكوفة فاذا بلغتها فسل عن دور بني حي ، وهناك سكة تسمى كذا ، وسترى داراً ، لها باب ، صفته كذا ، فاجلس بالقرب منها ، فانه سيقبل عليك عند المغرب كهل طويل مسنون الوجه ، قد اثر السجود في جبهته ، عليه جبة صوف ، يسقي الماء على جمل ، لا يضع قدماً ولا يرفعها إلا ذكر الله ، ودموعه تنحدر ، فقم وسلم عليه وعانقه ، فانه سيذعر منك كما يذعر من وحش فعرفه نفسك وانتسب له ، فانه يكن اليك ويحدثك طويلاً ، ويسألك عنا جميعاً ويخبرك بشأنه ، ولا يضجر بجلوسك معه ، ولا تطل عليه ، ودعه ، فانه سوف يستعفيك من العودة اليه ، فافعل ما يأمرك بـه من ذلك ، فانك ان عدت اليه توارى عنك ، واستوحش منك ، وانتقل من موضعه ، وعليه من ذلك مشقة .

قال يحيى : ذهبت الى الكوفة ، وفعلت ما أمرني به ابي ، وحين عانقت عمي

عيسى ذعر مني كما يذعر الوحش من الانس ، فقلت : يا عم انا يحيى بن الحسين ابن زيد ، انا ابن اخيك ، فضمني اليه وبكى ، ثم أناخ جمله ، وجلس معي ، فجعل يسألني عن اهله رجلا رجلا ، وامرأة امرأة ، وصبياً صبياً ، وأنا اشرح له اخبارهم ، وهو يبكي ، ثم قال : يا بني ، انا استقي على هذا الجمل الماء ، فاصرف ما اكتسب من اجرة الجمل الى صاحبه ، واتقوت باقيه ، وربما عاقني عائق عن استقاء الماء ، فأخرج الى البرية ، فألتقط ما يرمي الناس به من البقول ، فأتقوته .

وقد تزوجت الى رجل ابنته ، وهو لا يعلم من انا الى وقتي هذا ، فولدت مني بنتاً ، فنشأت وبلغت ، وهي ايضاً لا تعرفني، ولا تدري من انا ، فقالت لي امها : زوّج ابنتك بابن فلان السقاء ، وهو رجل من جيراننا ، فانه ايسر منا ، وقد خطبها ، وألحت عليّ ، فلم اقدر على اخبارها بأنها بنت رسول الله ، فجعلت تلح عليّ ، فلم ازل استكفي الله امرها ، حتى ماتت البنت بعد ايام ، فلم اجدني آسي على شيء من الدنيا أساي على انها ماتت ، ولم تعلم بموضعها من رسول الله (ص) . قال يحيى : ثم اقسم عليّ عمي ان انصرف ، ولا اعود اليه، وودعني .

هذه امثولة تعبر عن منهج حكومات الجور والظلم يعاني فيها الطيبون الاخيار ضروب الفواجع والشقاء ، ويعيش فيها الخونة والجهلاء آمنين مترفين يجدون كل عون وحماية !.. ان البلد الطيب الامين يحمل القريب والغريب ، وتفيض خيراته على المواطنين والمهاجرين على السواء ، اما البلد الخبيث بحكامه وقادته فهو شر وبلاء على العلماء والابرياء ، ونعمة ورخاء على اهل الجهل والأدعياء .

لم يستطع عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله، لم يستطع هذا العالم المخلص المحدث الورع الزاهد ان يظهر نفسه في بلد الاسلام ،

وحاكمه خليفة المسلمين ، وعاش خائفاً مستتراً يخدم الناس ، وينقل المـــاء الى البيوت بأجر زهيد ، عاش ابن رسول الله في « خلافة المهدي » يلتقط ما يرمي به الناس من قشور الخضار والفاكهة ، يتقوته هو وزوجته ، وابنته التي كبرت، ثم ماتت ، ولم تعرف مكانها من رسول الله ، عــاش مشرداً متنكراً ، ينفر من الانس كما ينفر من الوحش ، لا لشيء الا انه عالم زاهد يعرف الحق ويعمل به ، وعاش المخنثون ، والعاهرات وأهل الفسق والفجور في دعة وأمان ، تسهل لهم الامور ، وتتغدق عليهم الاموال ، قــال المسعودي : بسط المهدي يده في العطاء ، فأذهب جميع مــــا خلفه المنصور ، وكان ١٦ مليون درهم ، و ١٤ مليون دينار .

قال لي بعض اساتذة الفلسفة في القاهرة : ان الشيعة يقولون بالتقية . قلت : لعن الله من احوجهم اليها ، لقد خرج موسى الكليم من مصر خائفـــاً يترقب وقال : « رب نجني من القوم الظالمين » وقــال النبي (ص) : « بئس القوم قوم يعيش المؤمن بينهم بالتقية » . انكم تنادون بحرية الرأي والعقيدة ، ثم اذا رأيتم مظلوماً سكت عن رأيه خوفــاً من حكام الجور ، نعيتم على المظلوم ، وسكتم عن الظالم . وصدق من قال : ما اختلف الناس ، ولكن اطرد القياس .

الهــادي :

توفي المهدي ، وبويع ولده الملقب بالهادي ، قال المسعودي : كانت خلافته سنة وثلاثة اشهر ، وكان قاسي القلب شرس الاخلاق .

وفي عهده كان على المدينة رجل من ولد عمر بن الخطاب ، اسمه عبدالعزيز، فتحامل على الطالبيين ، وأساء اليهم ، وسامهم صنوف العذاب ، فحجر عليهم ان يخرجوا من المدينة ، وطالبهم ان يثبتوا وجودهم ويعرضوا عليه انفسهم كل يوم ، وكان يلصق بهم تهمة معاقرة الخمرة زوراً وبهتاناً ، ويقيم عليهم الحــد ،

ويشهر بهم ، وارسل يوماً في طلب الحسين بن علي بن الحسن ، وأسمعه كلاماً قاسياً، وتهدده وتوعده مما ادى الى خروجه ، فقتل هو واكثر من كان معه بمكان يسمى فخ على بعد ستة اميال من مكة المكرمة ، واقام القتلى ثلاثة ايام لم يوار، حتى اكلتهم السباع والطير ، ومن اسر منهم قتل صبراً (مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٦) .

وبالرغم من قصر ايامه فقد استطاع ان يقوم بعمل تاريخي ، ويسجل اسمه مع جلادي الشعوب ، وقتلة اولاد الانبياء .

قال الاصفهاني في مقاتل الطالبين : ان ام الحسين صاحب فخ هي زينب بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، قتل المنصور اباها واخوتها وعمومتها ، وزوجها علي بن الحسن ، ثم قتل الهادي حفيد المنصور ابنها الحسين ، وكانت تلبس المسوح على جسدها ، لا تجعل بينها وبينه شيئاً ، حتى لحقت بالله عز وجل .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الرشيد :

تولى الرشيد الحكم بعد اخيه الهادي سنة سبعين ومئة ، ومات سنة ثلاث وتسعين ومئة . ولم يشتهر احد من العباسيين شهرة الرشيد وابنه المأمون ، فلقد كانا من اعظم ملوك العالم شأناً ، واسماهم مكانة ولم يبزهما عباسي ولا اموي في تشجيع العلوم والآداب ، ولعبت قصص الف ليلة وليلة دوراً كبيراً في شهرة هارون الرشيد ، والبسته اساطيرها ثوباً فضفاضاً من العظمة والجلال ، اما شهرته في ادارة الملك ، وما اليها من بناء المساجد والكليات والمستشفيات والمنازل والقناطر والطرق المعبدة وشبكة الجداول ، اما هذه الادارة والاعمال فتعزى الى مهارة البرامكة الذين وكل اليهم مهام الدولة خلال السبع عشر سنة.

وكانت مقدرة هذه الاسرة ونزاهتها واخلاصها السبب الوحيد لهلاكها

وانزال النكبة بها على يد الرشيد المعروفة بنكبة البرامكة . اما قصة العباسة ، وجعفر البرمكي ، وحملها منه سراً فانها من نسج الخيال للتغطيـة وتبرير الظلم والتنكيل [1] .

قال صاحب شافيـة ابي فراس نقلاً عن كتاب « ثمرات الاوراق » : « ان الرشيد اول خليفة لعب بالصولجان والشطرنج والنرد » اما سياسته مع العلويين وشيعتهم فتدل الارقام انه كان مصمماً على ان لا يبقي منهم على الارض دياراً ، ونذكر فيما يلي طرفاً منها :

ستون شهيداً :

جاء في كتاب « عيون اخبار الرضا » ص ۱۰۹ طبعـة دار العلم بقم سنة ۱۳۷۷ هـ ان حميد بن قحطبة الطائي الطوسي قال :

طلبني الرشيد في بعض الليل ، وقال لي فيما قال : خذ هذا السيف ، وامتثل ما يأمرك به الخادم ، فجاء بي الخادم الى دار مغلقة ، ففتحها واذا فيهـا ثلاثة بيـوت وبئر ، ففتح البيت الاول ، واخرج منـه عشرين نفساً عليهم الشعور والذوائب ، وفيهم الشيوخ والكهول والشبان، وهم مقيدون بالسلاسل والاغلال وقال لي : يقـول لك امير المؤمنين اقتـل هؤلاء ، وكانوا كلهم من ولد علي وفاطمة فقتلتهم الواحد بعد الواحـد ، والخادم يرمي بأجسامهم ورؤوسهم في

---

(۱) قال اكثر من مؤرخ : كان الرشيد لا يصبر على فراق اخته العباسة وجعفر ، فزوجها على ان لا يكون لهذا الزواج اي اثر سوى الاجتماع في مجلسه ، ولكن العباسة ارادت من جعفر ما تريده الزوجات . فاحتالت عليه حتى قضى حاجته منها وولدت له ذكراً ، فلما اطلع الرشيد على الحقيقة انزل البلاء بالبرامكة ، وقد نسي الذي حاك هذه الاسطورة ان يضيف اليها ان الرشيد كان ابلهاً لا يقدر العواقب .

البئر ، ثم فتح البيت الثاني ، واذا فيه ايضاً عشرون من نسل علي وفاطمة ، وكان مصيرهم كمصير الذين كانوا في البيت الاول ، ثم فتح البيت الثالث ، واذا فيه عشرون ، فألحقهم بمن مضى ، وبقي منهم شيخ ، وهو الاخير ، فقال : تباً لك يا ميشوم اي عذر لك يوم القيامة عند جدنا رسول الله ! . . فارتعشت يدي ، وارتعدت فرائصي ، فنظر اليّ الخادم مغضباً ، وهددني ، فقتلت الشيخ ، ورمى به في البئر ! . .

الاسطوانات :

نقل صاحب « مقاتل الطالبيين » عن ابراهيم بن رياح ان الرشيد حين ظفر بيحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب بنى عليه اسطوانة ، وهو حي ، وقد ورث الرشيد طريقة البناء على الاحياء من جده المنصور .

وقال صاحب « اخبار عيون الرضا » في ص ١١١ طبعة ١٣٧٧ هـ : لما بنى المنصور الابنية ببغداد جعل يطلب العلوية طلباً شديداً ، ويضع من ظفر به منهم في الاسطوانات المجوفة المبنية من الجص والآجر . فظفر ذات يوم بغلام منهم حسن الوجه ، وله شعر اسود ، وهو من ولد الحسن بن علي بن ابي طالب ، فسلمه الى الباني الذي كان يبني له ، وامره ان يجعله جوف اسطوانة ، ويبني عليه ، ووكل عليه من يراعي ذلك ، وحين اراد الباني ان يدخله حياً في الاسطوانة اخذته الرقة والرحمة ، فترك في الاسطوانة فرجة يدخل منها الريح ، وقال للغلام : لا بأس عليك فاصبر فاني سأخرجك في جوف الليل اذا جن .

ولما دخل الليل اتاه ، واخرجه من الاسطوانة ؛ وقال له اتق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي ، وغيب شخصك ، فاني اخرجتك خوفاً ان يكون جدك خصمي يوم القيامة . فقال له الغلام : سأفعل ، ولكن لي ام « وهي في مكان

كذا ، فاذهب اليها ، وعرفها اني قد نجوت ، وان عودي اليها غير ممكن . قال الباني : ذهبت الى الموضوع الذي دلني عليــه ، فسمعت دوياً كدوي النحل من البكاء فعلمت انها امه ، فدنوت منها،وعرفتها الخبر ، واعطيتها شيئاً من شعره ، وانصرفت .

يحيى والرشيد :

ولما اشتد الرشيد على العلويين خرج عليــه يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بالديلم ، قال ابن الاثير في الجزء الخامس من الكامل ص ٩٠ ، والاصفهاني في مقاتل الطالبيين ص ٤٦٥ وما بعدها ما ملخصه :

ان يحيى استتر مدة يجول في البلدان ، ويطلب موضعاً يلجأ اليه ، حتى بلغ الديلم ، وقد ظهر هناك ، واشتدت شوكته ، واتاه الناس من الامصار، فانتدب اليه الرشيد الفضل بن يحيى في خمسين الف مقـــاتل ، وراسل الفضل يحيى في الصلح ، فأجابه اليه ، ولما رأى من تفرق اصحابه ، وخلافهم عليه ، واشترط يحيى ان يكتب له الرشيد اماناً بخطه يشهد عليه القضاة ، والفقهاء ، وجلة بني هاشم ، ومشايخهم ، فكتب الرشيد الأمان على مــا رسم يحيى ، واشهد الشهود الذين التمسهم ، وجعل الأمــــان على نسختين : احداهما مع يحيى ، والاخرى مع الرشيد .

وحين قدم يحيى على الرشيد اكرمه واجازه بمئتي الف دينار وخلع وغيرها، ولكن الرشيد لم يذهب ما في نفسه ، وقال له يوماً : أينا اقرب الى رسول الله انا او انت ؟ قال : اعفني . قال : لا بد من الجواب . فقال له يحيى : لو عاش رسول الله ، وخطب اليك ابنتك ، أكنت تزوجه ؟ قال: اي والله . قال يحيى: لو عاش رسول الله فخطب اليّ أكان يحل لي ان ازوجه ؟ قــال الرشيد : لا . فقال يحيى : هذا جواب ما سألت . فغضب الرشيد ، وقام من مجلسه .

شيوخ السوء :

أراد الرشيد ان يغـدر بيحيى ، وينقض العهد الذي خطه بيمينه ، واشهد فيه على نفسه ، فلم يجد مبرراً ولا عذراً يعتذر به ، فأمسك وسكت على مضض ، واخيراً فقد الصبر فالتجأ الى شيخ من شيوخ السوء الذين يبيعون الملل والحيل ، ويتسابقون الى عرضها على من يدفـــع الثمن ، تماماً ، كما يفعل البزاز والبقال والفحام ، فأفتاه الشيخ ابو البختري وهب بن وهب بـــأن هذا العهد باطل منتقض ، وان يحيى يحـــل قتله ودمه ، واخذ العهد ، ومزقه فأعطاه مليون وستمئة ألف ، وولاه القضاء .

واستناداً الى هـذه الفتوى اخذ الرشيد يحيى ، وضربه مئة عصا ، ويحيى يناشده الله والرحم والقرابة من رسول الله ، ثم زجه في سجن مظلم ، وفي اليوم الثاني أحضره وضربه مئة عصا ، ثم رده الى السجن وضيق عليـــه من الطعام والشراب ، واخيراً بنى عليه اسطوانة ، وهو حي على خبر ابراهيم بن رياح ، كما أشرنا ، وقيل : بـل مات في السجن خنقاً ، ومهما يكن فالنتيجة واحدة هي الخنق [1] !..

والشيخ ابو البختري موجود في كل عصر ، في عصر الرشيد ، وقبله ، وبعده ، جاء في حاشية الكامل لابن الاثـير ج ٤ ص ١٩١ طبعة ١٣٥٧ هـ : ان يزيد

---

(١) دفعت امرأة رقعة الى الرشيد ، فاذا فيها أتم الله امرك ، وفرحك بما اتاك ، وزادك رفعة ، فقال الرشيد لجلسائه : ان هذه المرأة تدعو علي ، اما قولها اتم الله امرك فانها عنت قول الشاعر : ترقب زوالاً اذا قيل تم . واما قولها فرحك بما اتاك فاشارة الى قوله تعالى : حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة . واما قولها زادك رفعة فقد ارادت قول الشاعر :

ما طار طير وارتفع   الا كما طار وقـــع

صاحب حبابة وسلامة القس شهد له اربعون شيخاً انه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب ، واني لأعرف اليوم شيوخاً بأسمائهم وسمائهم ناصروا امثال الرشيد ويزيد في الفسق والفجور ضد من اوقف نفسه لله ، وسهر الليالي لتأييد دين الله، والذب عن اولياء الله .

ايضاً آل ابي طالب :

جاء في مقاتل الطالبين ان الرشيد كان مغرى بالمسألة عن امر آل ابي طالب، فقيل له : ان شاباً منهم يدعى عبدالله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب ينزل في موضع كذا ، فأرسل في طلبه ، ولما حضر قال له الشاب : والله ما انا من هذه الطبقة ، اي لست ممن تخاف منه ، وانما انا غلام اسعى في صحاري المدينة على قدمي ، واعيش على الصيد ، فالله الله بدمي ، فسجنه ، ثم قتله احد وزراء الرشيد .

وحبس الرشيد محمد بن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، ومات في محبسه ، وضرب الحسين بن عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله ابن جعفر بن ابي طالب ، ضربه بالسوط ضرباً مبرحاً ، حتى مات ، ومات في حبسه اسحاق بن الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، ودخل عليه العباس بن محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، فقال له هارون : يا ابن الفاعلة !.. فقال العباس : تلك امك . فأمر به، فضرب بعامود من حديد ، فمات .

الامام الكاظم والرشيد :

جاء في القرآن الكريم ان الائمة على نوعين : أئمة حق وهداية ، وأئمة باطل

وغواية . قال الله تعالى : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا . وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين – ٧٣ الانبياء » . وهذه هي صفات علي والأئمة من ولده . وقال سبحانه : « وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون – ٤٠ القصص » . وهذه صفات الرشيد ، واسلافه الامويين والعباسيين. ومن هنا كان الصراع بين الكاظم والرشيد حقيقي وواقعي . إمام يدعو الى الله وجنته ، وإمام يدعو الى الشيطان وغوايته ، فكيف يجتمعان ؟! اما المجاملة والابتسام فرماد تحته نار ، ما دام القلب يرتعد من الكراهية والبغضاء . واليك هذه القصة :

جاء في « عيون اخبار الرضا » ص ٩٣ طبعة ١٣٧٧ ان المأمون قال : ما زلت احب اهل البيت ، واظهر للرشيد بغضهم تقرباً اليه ، فلما حج الرشيد كنت معه ، ولما كان بالمدينة دخل عليه الامام موسى بن جعفر ، فأكرمه ، وجثى على ركبتيه ، وعانقه يسأله عن حاله وعياله ، ولما قام الامام نهض الرشيد وودعه بإجلال واحترام ، فلما خرج سألت ابي ، وقلت له : من هذا الذي فعلت معه شيئاً لم تفعله بأحد سواه ؟ فقال لي : هذا وارث علم النبيين ، هذا موسى بن جعفر ، فان اردت العلم الصحيح فعند هذا .

عانق الامام ، واكرمه ، وجلس متأدباً بين يديه ، وشهد له بأنه وارث علم النبيين ، ولكن اي جدوى بهذه الشهادة ، وذلك الاكرام ، ما دام يدعو الى الجنة ، والرشيد يدعو الى النار ؟!. ان علم النبيين لم يشفع للامام عند الرشيد حين رأى من حب الناس له وتعلقهم به ما رأى ، فاستعرت في قلبه نيران الحقد وسيطرت عليه الانانية ، فقتل من ابناء النبيين ما لا يبلغه الاحصاء . وما ذنب الامام الكاظم اذا أحب الناس العلم واهله ، والحق ومن انتصر له ؟!.. وهل يجب عليه ان يكون جاهلاً مخنثاً مستهتراً ، حتى يرضى الرشيد عنه كما رضي عن مخارق وامثاله ؟!. واذا كان لك عدو لا يرضيه إلا موتك ، فهل تقتل نفسك

وتلتحم ، حتى لا يغضب عليك ؟!.. ان الامام الكاظم لم يخرج على حاكم ، ولا دعا احداً الى مبايعته ، ولم يحرك ساكناً ضد الرشيد ولا غيره ، وكل ذنبه انه وارث علم النبيين ، وانه إمام حق وهدى ، والرشيد إمام باطل وضلال .

ارسل الرشيد جلاوزته الى الامام موسى بن جعفر ، وكان يتعبد عند قبر جده ، فأخرجوه منه ، وقيدوه ، وأرسله الرشيد الى البصرة ، وكان عليها عيسى بن جعفر بن المنصور ، فحبسه عنده سنة ، ثم كتب عيسى الى الرشيد ان خذه مني ، وسلمه الى من شئت ، وإلا خليت سبيله ، فقد اجتهدت ان آخذ عليه حجة فما قدرت على ذلك . فحبسه ببغداد عند الفضل بن الربيع ، ثم عند الفضل بن يحيى ، ثم عند السندي بن شاهك ، واخيراً تخلص منه بالسم ، وقيل: ان السندي لفه على بساط ، وقعد الفراشون على وجهه ، فانتقل الى ربه خنقاً .

لقد عللت في ملاحظاتي السابقة ، وانا اتكلم عن ظلم الامويين ، ومن اليهم ، عللت مثل هذه الفجائع بالحقد واللؤم ، وما الى ذلك من الصفات ، وحين اطلعت على الرشيد ارتسم في ذهـني شيء جديد ، وهو ان ذات الانسان ، اي انسان تتحول من حقيقتها قبل الحكم الى حقيقة اخرى بعده تحولا يباين ما كانت عليه مباينة تامة ، بحيث ان ارباب المناصب يقيسون كل شيء بما يحفظ مناصبهم وسلطانهم ، فلا دين ولا عقل ولا وجدان ولا علم ، ولا شيء إلا المنصب ، وإلا فماذا نفسر تلك الوداعة والخلق الكريم عند الضعيف الذي لا يقدر على شيء وهذه القسوة والفظاظة بعد ان يصبح قوياً مسلطاً ، وأعني بالمنصب اي منصب دينياً كان او دنيوياً ، فالرئيس الديني العام تماماً كالرئيس الزمني دون اي تفاوت كل منهما لا يرى إلا منصبه ، سوى ان المرجع الديني يتراءى له ان تقديس منصبه ، والاحتفاظ بـه من صميم الدين ، تماماً كتقديس أية شعيرة من الشعائر الدينية . وليس من شك ان هذا اكثر خطراً ، وأشد ضرراً !.. ولا استثني إلا

اهل العصمة ، ومن سار على طريقهم ، وهم أندر من الكبريت الاحمر [١] .

وقد نطق بهذه الحقيقة بدافع من الواقع المرجع الديني العام السيد محسن الحكيم في كتاب « مستمسك العروة » قال في تعليقه على مسألة ٢٢ من مسائل الاجتهاد والتقليد ما نصه بالحرف الواحد : « والانصاف انه يصعب جداً بقاء العدالة للمرجع العام في الفتوى – كما يتفق ذلك في كل عصر لواحد او جماعة – اذا لم تكن بمرتبة قوية عالية ذات مراقبة ومحاسبة ، فان ذلك مزلة الاقدام ، ومخطرة الرجال العظام » .

الامام الرضا والرشيد :

قال السيد الأمين في كتاب « أعيان الشيعة » ج ١ ص ٦٠ الطبعة الاولى : بعد حياة الامام الكاظم أرسل الرشيد احد قواده الى المدينة ، وهو الجلودي ، وأمره ان يهجم على دور آل ابي طالب ، ويسلب نساءهم ولا يدع على واحدة منهن الا ثوباً واحداً ، فامتثل الجلودي ، حتى وصل الى دار الامام الرضا ، فجعل الامام النساء كلهن في بيت واحد ، ووقف على باب البيت ، فقال الجلودي : لا بد من دخول البيت ، وسلب النساء ، فتوسل اليه ، وحلف له انه يأتيه بكل ما عليهن من حلي وحلل ، على ان يبقى الجلودي مكانه ، ولم يزل يلاطفه حتى أقنعه ، ودخل الامام ، واخذ جميع ما على النساء من ثياب ومصاغ وجميع ما في الدار من اثاث ، وسلمه الى الجلودي ، فحمله الى الرشيد . وحين ملك المأمون غضب على هذا الجلودي ، وأراد قتله ، وكان الامام الرضا

---

(١) ويستأنس لرأينا هذا بالآية ٧٩ من سورة آل عمران : « وما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله » حيث تشعر الآية بأن السلطة تبعث صاحبها الى هذه الدعوى ، ولا يصمد لها الا الاقوياء في دينهم وارادتهم .

حاضراً ، فطلب من المأمون ان يعفو عنه ، ويهبه له ، فظن الجلودي ان الامام يحرض المأمون على قتله ، لما سبق من اساءته . فقال الجلودي للمأمون : اسألك بالله ان لا تقبل قوله فيّ . فقـــال المأمون : والله لا اقبل قوله فيك ، اضربوا عنقه فضربت .

وهناك مظالم اخرى للرشيد مع العلويين وشيعتهم نتركها خوف الاطالة ، ولأن الشاهد يـــدل على الغائب ، وهو كافٍ وافٍ للتعبير عن حقيقـــة الرشيد وسياسته .

الامين :

مات هارون الرشيد بطوس سنة ثلاث وتسعين ومئة هـ ، وفيها بويع لابنه الامين ، ودامت خلافة الرشيد ثلاثاً وعشرين سنة واشهراً ، وكانت خلافـــة الامين اربع سنين واشهراً . وقال ابو الفرج في مقاتـل الطالبين : كانت سيرة الامين في امر آل ابي طالب خلاف من تقدم ، لتشاغله بمـــا كان فيه من اللهو والادمان له ، ثم الحرب بينه وبين المأمون، حتى قتل ، فلم يحدث على احد منهم — اي من آل ابي طالب — في ايامه حدث بوجه ولا سبب .

المأمون :

قتل المأمون اخاه الامين ، واستقام له الامر ، وانبسط التشيع في عهـده وعهد ابيه، وانتشر في كل بقعه من بقع الاسلام ، حتى امتدت جذوره الى البلاط الملكي ، « فكان الفضل بن سهل ذو الرياستين وزير المأمون شيعياً ، وطاهر بن الحسين الخزاعي قائد المأمون الذي فتح له بغداد ، وقتل اخاه الامين شيعياً ، وكثير سواهما ، حتى ان المأمون خشي عاقبه هذين فقتل الفضل ، وولى طاهراً

امارة هرات — اي عزله من قيادة الجيش الى وظيفة أدنى — وكانت الطاهرية كلها تتشيع ، كما قال ابن الاثير في حوادث عام ٢٥٠ »[1] .

وقد ساعد امعان السلطة في الفساد والمظالم على هذا الانتشار ، فكلما امعن الحاكمون في الجور كلما تحرك ساكن الامة ، وازداد تمسكها بأهل البيت الطاهر ، ونتج عن قتل كل واحد منهم اعتناق الالوف لمذهب التشيع ، وحسبك دليلاً على ذلك ان السندي بن شاهك خادم الرشيد ، حين سقى الامام الكاظم السم دعا ثمانين رجلاً من الفقهاء والوجهاء ، وأدخلهم على الامام ، وقال لهم : انظروا هل حدث به حدث فان الناس يزعمون انه فعل بــه مكروه ، لقد خاف الرشيد من الرأي العــام والناس ، لا من الله ، فدعاهم الى النظر ، ليشهدوا على انه لا جرح ولا ضرب ولا اي اثر للقتل ، ثم وضعت جنازة الامام على الجسر ببغداد ، حيث يقيم اكثر الشيعة ، ونودي هذا موسى بن جعفر قــد مات ، فانظروا اليه ، فهاج الشيعة ، وكادت الفتنة تقع ، فتداركها سليمان ابن جعفر عم الرشيد ، فأخذ الجنازة من الشرطة ، وشيعها بموكب حــافل ، ومشى خلفها حافياً حاسراً ، لا حباً بالامام ، ولا صلة للرحم ، كما زعم ، بل خوفاً من الثورة على ابن اخيه هارون ، وسلطان العباسيين .

ولما جاء المأمون الى الحكم ، ورأى ما رأى من كثرة الشيعة ، واقبال الناس على الامام الرضا ، ونقمتهم على ابيه والحاكمين من اسلافه حاول ان يداهن ، ويستميل الرأي العام ، فأظهر التشيع كذباً ونفاقاً ، واخذ يدافع ويناظر عن امامة علي امير المؤمنين ، وانه أحق بالخلافة من ابي بكر وعمر ، وهو لا يؤمن بشيء إلا بتثبيت ملكه وتوطيد سلطانه ، والغريب ان حيل المأمون قــد

---

(١) تاريخ الشيعة محمد الحسين المظفري ص ٥٠ طبعة ١٣٥٢ هـ .

انطلت على كثير من الشيعة ، فظنوا به خيراً والحقيقة ان الرشيد والمأمون قد بنيا على اساس واحد، وهو الاحتفاظ بالسلطة ، وان اختلف شكل البناء، فلقد دس الرشيد السم الى الامام الكاظم ، ودس المأمون السم للامام الرضا ، ولكن المأمون كان قد استفاد من اخطاء ابيه الرشيد الذي جاهر بالعداء لأهل البيت وسجن الامام علناً ، ثم اغتاله بأسلوب يدينه ، ويثبت عليه التبعات ، ويثير السخط والاستياء ، واستفاد المأمون من اخطاء ابيه ، فأحكم الخطط ، لاخفاء جرائمه ومآثمه ، وقصته مع الامام الرضا تدل على ذلك بوضوح ، وهذه خلاصتها :

الامام الرضا والمأمون :

كان الامام علي بن موسى بن جعفر خير بني آدم في عصره على الاطلاق ، وأعظمهم منزلة عند الله والناس ، نقل المؤرخون واهل السير ان الامام الرضا كان اذا مر ببلد ازدحم خاصة الناس وعامتهم في الطرقات ، واخذ الفقهاء والعلماء بركابه ولجام دابته ، يسألونه ان يفيض عليهم من علمه ، ويحدثهم عن آبائه ، كما حصل له حين مر بنيسابور، وخرج في احد الاعياد للصلاة ، فامتلأت الطرقات والسطوح بالرجال والنساء والصبيان ، ولما بلغ الجادة رفع رأسه الى السماء ، وكبر فخيل الى الناس أن الهواء والحيطان والارض والسماء تجاوبه ، وضجوا بالبكاء والصياح ، وبلغ المأمون ذلك ، فقال الفضل بن سهل : ان بلغ الرضا المصلي على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأي ان تسأله الرجوع ، فبعث اليه المأمون ، يسأله ان يرجع فرجع .

وقد حاول المأمون ان يحط من قدر الرضا عند الناس ، ويظهر لهم انه ما زهد في الدنيا إلا بعد ان زهدت فيه ، وامتنعت عنه ، ولو وجد السبيل اليها لتقبلها بغبطة وسرور . فاجتمع المأمون بالامام الرضا ، وقال له :

رأيت ان أعزل نفسي عن الخلافة ، واجعلها لك .

قال الرضا : ان كانت الخلافة حقاً لك ، وانت اهل لها فـلا يجوز ان تخلع نفسك منها ، وان لم يكن لك حق بها فلا يجوز ان تعطيها لغيرك .

قال المأمون : لا بد لك من قبول هذا الامر .

قال الرضا : اني بالعبودية افتخر ، وبالزهـد في الدنيا ارجو النجاة من شر الدنيا ، وبالردع عن محارم الله ارجو الفوز بالمغانم ، وبالتواضع ارجو الرفعـة عنـد الله .

قال المأمون : ان لم تقبل الخلافة فكن ولي عهدي .

قال الرضا : لست افعل ذلك مختاراً ابداً .

قال المأمون : انك تريد بذلك ان يقول الناس عنك انك زاهد في الدنيا .

قال الرضا : والله ما كذبت منذ خلقني ربي عز وجل ، ومـا زهدت في الدنيا للدنيا ، واني لأعلم ما تريد .

قال المأمون : وما اريد .

قال الرضا : تريـد ان يقول الناس : ان علي بن موسى الرضا ، لم يزهد في الدنيا ، بل زهدت الدنيا فيه ، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد حين اتيحت له الفرصة ؟!..

فغضب المأمون ، وقال : والله ان لم تقبل ضربت عنقك .

قال الرضا : ان الله سبحانه قد نهاني ان القي بيدي الى التهلكة ، فان كان الامر كذلك ، فافعل مـا بدا لك ؛ وانا اقبل على ان لا آمر ، ولا أنهى ، ولا

اقضي ، ولا اغير شيئاً . فأجابه المأمون الى ذلك .

أراد المأمون ان يُري الناس ان الامـــام الرضا راغب في الدنيا بقبوله ولاية العهد ، فيسقط محله في قلوبهم ، ولكن ما زاده ذلك الا رفعة وعظمة عندهم . ولما أعيت المأمون الحيل في امر الرضا اغتاله بالسم [1] .

وبالتالي ، فـــان موقف المأمون من الامام الرضا كموقف ابيه الرشيد من الامام الكاظم وموقف جـده المنصور من الامام الصادق ، وموقف معاوية بن ابي سفيان من الامام الحسن ، لقد هانت دمـــاء الابرياء والأولياء على حكام الجور من اجـــل الملك ، وهانت على المصلحين نفوسهم في سبيل الحق ، ولذا نوالي هؤلاء ، ونتبرأ من اولئك .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

المتوكل :

مـــات المأمون سنة عشرة ومئتين ، وفيها بويع المعتصم ، وكانت خلافته ثماني سنين واشهراً ، وقام بعده الواثق ، وكانت خلافته خمس سنوات ؛ وبويع لأخيه المتوكل ، وبقي في الحكم اربع عشرة سنة وأشهراً ؛ قـال صاحب مقاتل الطالبيين : خرج محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن ابي طالب ، في ايام المعتصم ، فتغلب عليه وسجنه ، ثم فر من السجن ؛ وامتنع عبد الله بن الحسين بن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب عن لبس السواد ، شعار العباسيين ، فسجنه

---

(١) كل مـــا ذكرناه عن الامام الرضا والمأمون لخصناه من كتاب (عيون الاخبار) للشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي .

المعتصم ، حتى مات [1] اما الواثق فقال السيد محسن الامين في الجزء الاول من اعيان الشيعة ، انه أكرم العلويين ، وأحسن اليهم وتعهدهم بالأموال .

اما المتوكل فقد كان معروفاً في اللهو والمجون ومعاقرة الخمر، قال المسعودي : « هو اول خليفة من بني العباس ظهر في مجلس اللعب والمضاحك والهزل » . وقال السيد امير علي في كتاب « مختصر تاريخ العرب » : « وفي عهده بدأ انحلال الامبراطورية العربية ، وتسرب الفساد في جسم الدولة ، وامر الناس بالتمسك بالتقليد ، واقصى احرار الفكر عن الوظائف » كما تغلب عليه الاتراك ، واصبحوا اصحاب الأمر والنهي .

وقال ابو الفرج في مقاتل الطالبين : « وكان المتوكل شديد الوطأة على آل ابي طالب ، غليظاً في جماعتهم ، شديد الغيظ والحقد عليهم ، وسوء الظن والتهمة لهم... واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي ، فمنع آل ابي طالب من التعرض للناس ، ومنع الناس من البر بهم ، وكان لا يبلغه ان احداً منهم بشيء ، وان قل الا انهكه عقوبة ، واثقله غرماً ، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة ، ثم يرقعنه ، ويجلسن على مغازلهن عواري حاسرات » .

هكذا شاء « امير المؤمنين المتوكل على الله » ان تقبع العلويات في بيوتهن عاريات يتبادلن القميص المرقع عند الصلاة ، وان تختال الفاجرات العاهرات

---

(١) سجن المعتصم الامام الجواد بن الامام (ع) ثم اطلقه ، واتفق مع الفضل بنت المأمون وزوجة الامام الجواد على ان تدس له السم . ففعلت . ومات الامام مسموماً بسم المعتصم .

بالحلي وحلل الديباج بين الاماء والعبيد ... لقد ارسل الرشيد الى بنات الرسول من يسلب الثياب عن ابدانهن، اما المتوكل فقد شدد وضيق عليهن ، حتى الجأهن الى العري ، وهكذا تتطور الفلسفات والمناهج مع الزمن على ايدي القرشيين العرب ابناء الامجاد والاشراف !.

لقد تفرق العلويون ايام المتوكل « نيرون العرب » كما سماه بعض المؤرخين ، فمنهم من توارى ، فمات في حال تواريه ، كأحمد بن عيسى الحسين ، وعبدالله ابن موسى الحسيني ، ومنهم من ثار من الضغط والجور ، كمحمد بن صالح ، ومحمد بن جعفر .

ولم يكتف المتوكل بتنكيل الأحياء ، حتى اعتدى على قبور الأموات ، فهدم قبر الحسين (ع) وما حوله من المنازل والدور ، ومنع الناس من زيارته ، ونادى مناديه من وجدناه عند قبر الحسين حبسناه في المطبق – سجن تحت الأرض – فقال الشاعر :

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

تالله ان كانت امية قد اتت	قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو ابيه مثلها	هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على ان لا يكونوا شايعوا	في قتله فتتبعوه رميما

وكان المتوكل يقرب علي بن جهم لأنه كان يبغض علياً امير المؤمنين ، وكان ابن الجهم هذا مأبوناً : سمعه يوماً ابو العيناء يطعن على الامام ، فقال له : انك تطعن عليه ، لأنه قتل الفاعل والمفعول من قوم لوط ، وانت اسفلهما (ابن ابي الحديد ج ١ ص ٣٦٣) .

وكان ابن السكيت من كبار العلماء والادباء في زمانه ، وقد ألزمه

المتوكل تعليم ولده المعتز ، فقال له يوما : ايهما أحب اليك ابناي هذان : المعتز والمؤيد ، او الحسن والحسين ؟ فقال ابن السكيت : والله ان قنبراً خادم علي بن ابي طالب خير منك ومن ابنيك ، فقال المتوكل للاتراك : سلوا لسانه من قفاه ، ففعلوا ، فمات . ووقع ابن السكيت فيا حذر منه ، لأنه القائل :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه وعثرته في الرجل تبرا على مهل .

وكان عند المتوكل مخنث يدعى عبادة ، فيشد على بطنه مخدة ، ويرقص بين يدي المتوكل ، والمغنون يغنون : أقبل البطين خليفة المسلمين وهم يعنون علياً امير المؤمنين ، والمتوكل يشرب ويضحك ، وفعل ذلك يوماً ، وابنه المنتصر حاضر ، فقال لأبيه : ان الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك ، وشيخ اهل بيتك ، وبه فخرك ، فكل انت لحمه اذا شئت ، ولا تطعم هذا الكلب وامثاله ، فقال المتوكل للمغنين : غنوا .

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حرامه

وسمعه يوما يشتم فاطمة بنت الرسول ، فسأل احد الفقهاء ، فقال له : قد وجب عليه القتل إلا ان من قتل اباه لم يطل عمره ، فقال المنتصر : لا ابالي اذا أطعت الله بقتله ان لا يطول عمري ، فقتله ، فعاش بعده سبعة اشهر .

لقد امر القرآن بمودة اهل البيت ، وجعلها اجراً وشكراً لمحمد على ما اسداه لأمته من الخير ، فكانت النتيجة ان اقرب الناس اليه الذين حكموا وتحكموا برقاب الناس باسمه هم الذين استباحوا من دماء ابنائه ، والتنكيل بهم ما لا

يقبل المزيـــد !.. ان الذين أنكروا محمداً ورسالته أهون على الاسلام بكثير من المتوكل وأمثـــاله الذين أظهروا الاسلام ، ثم كادوا له وخالفوه مخالفة المضاد المعاند ، والعدو الحاقد .

ونكتفي بما ذكرناه عن العباسيين ، فان فيه الدلالة الكافية الوافيـــة على قبح سيرتهم ، وسوء سياستهم التي تتلخص بكلمتين : اجـــتراء على الشر والحرام ، وشغف بالظـــلم والفساد ، واحتقار للدين والانسانيـــة . والمصدر الوحيد لهذه السيئات والمنكرات هو حكم الفرد ، واستقلاله في شؤون الدولة ، واستهتاره بحقوق الجماعة .



دعبل الخزاعي

•

من مبادىء الشيعة واصولهم ان الله سبحانه لا يخلي الارض من قادة ابرار يأمرون بما أمر الله به ، وينهون عما نهى عنه ، ينطقون بالحق ، وينشرونه بين الناس ، ويستعلون بمنطقهم وحججهم على المبطلين . وان الله قد خص هؤلاء بالجلد والصبر على المكاره في سبيل الحق ، وبالشجاعة في مجابهة الشر ، وقوى الباطل والضلال .

واذا اعتقد الشيعة ان هذه الصفات يجب توافرها في الامام ، او من ينوب عنه فانهم يعتقدون ايضاً انه لا بد ان يوجد في كل عصر من يؤمن بالحق ، فقيهاً كان او شاعراً ، او أي فرد من الناس .

وكان في الدولة العباسية كما كان في الدولة الاموية مؤمنون مخلصون ، رفضوا الباطل وقاوموه ، وذادوا عن الحق وناصروه ، واستهدفوا للمخاوف والاخطار وكان منهم العلماء والفقهاء ، والشعراء وغيرهم من عامة الناس ، وقد حفظ التاريخ اسماء عدد غير قليل من الشعراء ، وأهمل اسماء آخرين خوفاً من نقمة الحاكم ، او طمعاً في رشوته ، ومع ذلك فقد بلغ عدد الذين ذكرهم المؤرخون

واهل السير مبلغاً كبيراً ، منهم ابن الرومي الذي قال في قصيدته الجيمية التي رثى بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد :

اجنوا بني العباس من شنآنكم ... واوكوا على ما في العياب واشرجوا
نظار لكم ان يرجع الحق راجع ... الى اهله يوماً فتشجوا كما شجوا
لعل لهم في منطوى الغيب ثائراً ... يسومكم والصبح في الليل مولج
أفي الحق ان يمسوا خماصاً وانتم ... يكاد اخوكم بطنه يتبعج
تمشون مختالين في حجراتكم ... ثقال الخطى اكفالكم تترجرج
وليدهم بادي الطوى ووليدكم ... من الريف ريان العظام خدلج

قال الاستاذ العقاد في كتاب « ابن الرومي » : نظم الشاعر هذه القصيدة بغير داع يدعوه الى نظمها من طمع او مداراة ، بل نظمها ، وهو يستهدف للخطر . ومنهم ابو فراس الحمداني ، نظم قصيدة يعدد فيها فضائل العلويين ، ومساويء العباسيين منها :

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

الحق مهتضم والدين مخترم ... وفيء آل رسول الله مقتسم
يا للرجال اما لله منتصر ... من الطغاة وما للدين منتقم
بنو علي رعايا في ديارهم ... والامر تملكه النسوان والخدم
ما نزهت لرسول الله مهجته ... عن السياط فلا نُزه الحرم
ما نال منهم بنو حرب وان عظمت ... تلك الجرائم الا دون نيلكم
كم غدرة لكم في الدين واضحة ... وكم دم لرسول الله عندكم

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا
ما مونكم كالرضا ان انصف الحكم
ابلغ لديك بني العباس مالكة
لا تدعوا ملكها ملاكها العجم

خلوا الفخار لعلامين ان سئلوا — يوم السؤال وعمالين ان عملوا
لا يغضبون لغير الله ان غضبوا — ولا يضيعون حق الله ان حكموا
تنشى التلاوة في ابياتهم ابـــدا — وفي بيوتكم الاوتار والغــنم
مـــا في ديارهم للخمر معتصر — ولا بيـــوتهم للسوء معتصم
ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم — ولا يرى لهم قرد له حشم
الركن والبيت والاستار منزلهم — وزمزم والصفا والخيف والحرم
صلى الاله عليهم كلما سجعت — ورق فهم للورى كهف ومعتصم

تعبر هذه الابيات عن عظمة اهل البيت ، وحقهم بالخــلافة ، واغتصاب خصومهم لهذا الحق ، وتآمرهم على الناس باسم الدين ، وهم أعدى اعدائه لقد حكم العباسيون ـ وفي بيوتهم ـ الخمر والزنا والغنــاء ، وتكلوا بالعلويين وفي بيوتهم القرآن والعبــادة والاذكار ، ان اية حكومة تتسم بسمة الدين فهي فساد وضلال ما دام حكامها أمثال المنصور والرشيد والمأمون والمتوكل ؛ ومن اجــل ذلك قال الشيعة الامامية : ان الحكومة لا تكون دينية الا اذا كان الحــاكم إماماً معصوماً عن الخطأ والزلل ، او عالمــاً عادلاً يرتضيه الله والرسول ، وإلا فهي دنيوية لا دينية ؛ وزمنية لا الهية [1] .

ان صنوف الشدائد والمحن التي لاقاها اهل البيت وشيعتهم يرجع سببهــا الى الحكومة التي جعلت الدين شعاراً لهــا ، وما هي من الدين في شيء حيث يشعر الحاكم من نفسه النقص او عدم الأهلية ، فينتقم لنفسه من اهل التقى والكمال ،

---

(١) ليس لاي حاكم عند الامامية ان يحكم بامر الله وباسم الدين الا اذا نص عليه الرسول، وكان معصوما . والا فهو كسائر الناس . وبهذا سدوا الطريق على الادعياء الذين يسمون انفسهم خلفاء الرسول . ثم لا يحكمون بما امر الله .

هذا الى انه يبرر مظـالمه ومفاسده بالدين وأوامره ، بفتوى « فقهـاء الأسلام والعلماء والاعلام » !..

وأجرأ شاعر عرفه التاريخ في قول الحق، ومجابهة المبطلين هو دعبل الخزاعي فقد هجا الرشيد والمأمون والمعتصم والوثائق ، والقواد والوزراء وابناء الخلفاء ، ووجه اليهم أعنف الضربات وأقساها ، دون ان يحسب حساباً لشيء ، قال حين اسند المعتصم القيادة العـامة الى الاتراك ، وسلطهم على دماء النـاس وأموالهم وأعراضهم :

لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم
وصيف واشناص وقد عظم الكرب

وقال حين مات المعتصم ، وقام الواثق :

خليفة مات لم يحزن له احد وآخر قام لم يفرح به احد

لأن اللاحق مثل السابق ، إمام جور وضلال ، ورئيس نفـاق وفساد[1] ، « كلما دخلت امة لعنت اختها » . وقال يصف طغيان بني العباس واسرافهم في القتل والأسر والسلب والنهب والحرق :

قتل وأسر وتحريق ومنهبة فعل الغزاة بارض الروم والجزر
اري امية مذعورين ان قتلوا ولا ارى لبني العباس من عذر

---

(١) قال المقريزي في كتاب « النزاع والتخاصم » ص ٧٣ : « غلب على العباسيين الجبروت ودخلت النعرة في انافهم . وظهرت الخنزوانية بينهم . فسموا عوائد العجم ادبا . وقدموها على السنة النبوية . فزادهم ذلك جفاء وقسوة » هذه هي الحكومة العباسية الدينية ان يحكم السلطان باسم الله . ثم يعمل بعادات اهل الشرك . ويطرح سنة الانبياء والمرسلين ! ..

اربع بطوس على القبر الزكي اذا ... ما كنت تربع من دين الى وطر

قبران في طوس خير الناس كلهم ... وقبر شرهم هـذا من العبر

ما ينفع الرجس من الزكي وما

على الزكي بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امريء رهن بما كسبت ... له يداه فخـذ ما شئت او فذر

الزكي هو الامام الرضا ، والرجس هارون الرشيد ، وقـد عذر الشاعر في شعره بني امية ، لتكون الحجة أبلغ على العباسيين ، لأن الامويين أعلنوا العداء منذ اليوم الاول لعلي وابنـائه ، اما العباسيون فقد كانوا حزباً واحـداً مع بني عومتهم على الامويين ، وثاروا ، وشعارهم الدعوة للرضا من آل محمد ، ولم يدع العباسيون لأحد منهم في بـدء الامر ، كما أسلفنا ، ولكنهم حين حكموا طغوا وبغوا وفعلوا فعل الغزاة والعصابات . وقال :

لا اضحك الله سن الدهر ان ضحكت ... وآل احمد مظلومون قد قهروا

مشردون نفـوا عن عقر دارهم ... كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر

اما تائيته الذائعة الناثحة كما يقول احد ادباء العصر فانها سجل حافل بجرائم العباسيين ومظالمهم ، ووثيقة تاريخية خالدة تنطق بسياستهم الدموية الغـاشمة ، ولسنا نعرف شاعراً او ثائراً تركت اقواله من الحقـد والنقمة على السلطان مـا تركته هذه القصيدة ، فقد حفظها الكبير والصغير ، والخطير والحقـير ، حتى

اللصوص وقطاع الطرق كانوا يرددون ابياتها ، وهم يسلبون النـاس[1] وبكى الامام الرضا حين انشده دعبل القصيدة ، وبكت معه النسوة والاطفال ، ومـا زال الشيعة الى اليوم يتلونها على المنابر ، ويبكون ، لقد عرفت هـذه القصيدة الاجيال بحقها المسلوب ، وبالقيم ، التي يجب ان يدافع عنها كل انسان ، ويقاتل من اجلها حتى الموت ، لقد مضى على نظمها اكثر من ألف ومئة عـام ، ومع ذلك فهي أشهر وأعرف من شعراء هذا العصر الذين ملأوا المكتبات باشعارهم ودواوينهم ، والسر في خلودها انهـا تعبر تعبيراً صادقاً عن آلام المنكوبـين والمعذبين في كل زمـان ومكان ، ومنذ شاعت هـذه القصيدة وذاعت خسر العباسيون هيبتهم ومعنوياتهم ، واخذ سلطانهم في الانحـدار والانحطاط . وتبلغ ابياتها ما يقرب من ثمانين بيتاً كما ذكرها صاحب البحار في احوال الرضا. ومنها في وصف الامويين والعباسيين :

هم نقضوا على الكتاب وفرضه ومحكمـة بالزور والشبهـات
تراث بلا قربى وملك بلا هدى وحكم بلا شورى بغـير هداة

---

(١) انشد دعبل قصيدته التائية للامام الرضا ، فاعطاه صرة فيها مال ، فقال : اريد ثوباً من ثيابك اضعه في كفني ، فاعطاه جبة خز ، وسار من مرو مع القافلة ، فاخذ اللصوص القافلة بما معها من مال والمتاع ، وجعلوا يقتسمون الغنيمة فيما بينهم ، فانشد احد اللصوص :

ارى فيئهم في غيرهم متقسما وايديهم من فيئهم صفرات

فقال له دعبل : لمن هذا البيت ؟ قال : لشاعر اهل البيت دعبل . قـال : انا هو . فوثب الرجل وقال : انت دعبل ؟ قال : نعم . فردوا كل ما اخذ من القافلة .

وحين علم اهل قم بحديث الجبة طلبوا من دعبل ان يبيعها فأبى . فأجبروه على ذلـك ، واخذوها منه ، ودفعوا له الف دينار ، فلما يئس من الجبة سألهم ان يعطوه منها شيئا ، فاعطوه بعضها رحمة به .

رزايا ارتنا خضرة الافق حمرة   وردت اجاجا طعم كل فرات
وما سهلت تلك المذاهب فيهم   على الناس الا بيعـة الفلتات

يشير ببيعة الفلتـات الى فساد الاوضاع ، وما يلاقيه الناس من شرورهـا ومفاسدها ، وكيف تفسح المجال للادعياء الذين لا يردعهم دين ولا ضمير .

ومنها في وصف آل الرسول :

منازل قوم يهتدي بهداهم   فيؤمن منهم زلة العثرات
منازل كانت للصلاة وللتقى   وللصوم والتطهير والحسنات
ملامك في آل النبي فانهم   احباي ما داموا واهل ثقاتي
فيا رب زدني في هواي بصيرة   وزد حبهم يا رب في حسناتي
ارى فيئهم في غـيرهم متقسما   وايديهم من فيئهم صفرات
سأبكيهم ما ذر في الافق شارق   ونادى منادي الخير للصلوات

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ولم يكن لدعبل من غاية سياسية في معارضة السلطان ولا طمع في منصب او مال ، وانما هو الدين والاخلاص للعقيدة ، فقد كان يردد القول : « انا احمـل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة ، لست اجد من يصلبني عليها » ، واخيراً وجد من يغتاله ، فقد كمن له مجرم فاتك بعد صلاة العتمة ، وضربه بعكـاز مسموم ، فمات ، وهكذا شاء القدر ان يلائم بين الكميت ودعبـل في الشهادة ، كما لاءم بينهما في الجهاد لنصرة آل الوحي والرسالة .

ونختم هذا الفصل بكلمتين : احداهما لمحمد سيد كيلاني قالها في كتـابه « اثر التشيع في الادب العربي » ص ٢٢ طبعة القاهرة لجنة النشر للجامعيين :

« جاء الادب الشيعي صورة صادقة لما وقع على العلويين من اضطهاد ، فقـد قتـل علي ، واصبح آله يستذلون ، ويضامون ، ويقصون ويمتهنون ، ويحرمون

ويقتلون ، ويخافون ولا يأمنون على دمائهم ودماء اوليائهم ، فقتل انصار علي في كل قطر وكل مصر ، وعذبوا تعذيباً مراً ، قطعت منهم الايدي والارجـــل .. ومن ذكر علياً سجن او نهب ماله او هدمت داره ، وكان البلاء يشتد على العلويين يوماً بعد يوم .. فن دفن الناس احياء الى الصلب الى الحرق الى الحبس ومنـــع الهواء والاكل والماء عن المحبوس ، حتى يقضي نحبـــه جوعاً وعطشاً .. وكانوا يصلبونهم ويتركونهم حتى تنبعث منهم الروائح الكريهة ، ثم يحرقونهم ويذرونهم في الهواء ، وحرموا على الناس ان يسموا ابناءهم علياً او حسناً او حسيناً .

وكان العباسيون أشد كرهاً للعلويين من الامويـــين ، وأعظم بغضاً ، فأمعنوا فيهم قتلاً وحرقاً ، واضطهاداً وتعذيباً ، فأمر المنصور ، فحمل اليه من المدينة كل من كان فيها من العلويين مقيـــدين بالسلاسل والاغلال ، ولما وصلوا اليـــه حبسهم في سجن مظلم لا يعرف فيه ليل من نهار ، وكان اذا مات احـــدهم ترك معهم ، واخيراً أمر بهدم السجن عليهم ، وفي ذلك يقول احد شعراء الشيعة :

والله ما فعلت امية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

وقال ابو فراس :

ما نال منهم بنو حرب وان عظمت تلك الجرائم الا دون نيلكم

وقال الشريف الرضي :

الا ليس فعل الاولين وان علا على قبح فعل الآخرين بزائد

وقد بالغ الرشيد في التنكيل بالعـــلويين ، ولم يخف الضغط عليهم إلا حـــين ضعفت الخلافة العبـــاسية ، واصبح السلطان الفعلي في الممالك الاسلاميـــة للترك والديلم وبني حمدان . كل هذه النكبات قد اثرت تأثيراً كبـــيراً في الادب الشيعي نثره وشعره » .

والثانية لعبد الحسيب طه حيدة قالهـا في كتاب « ادب الشيعة » ص ٣٢٨ طبعة ١٩٥٦ :

« في الحق ان حركـة التشيع اغنت الادب العربي الى حد كبـير ، وساهم ادباؤه في بناء النهضة الادبية مساهمـة مشكورة بمـا انتجوا من أدب وأثاروا من خصومة .

وقد رأينـا كيف كان الادب الشيعي جزل اللفـظ ، محكم النسج ، رصين العبارة ، صادق الاداء .. صورة ناطقة لنفسيات قومه وعواطفهم وسجلا خالداً لحيـاتهم وعقائدهم ، وتصويراً رائعـاً لما أصابهم من محن وحـل بساحتهم من نكبات .

ولعلنا مصادر الالهام لهـذا الادب الكريم ، فهو نتاج عاطفتين : عاطفـة الحزن ، وعاطفة الغضب ، وخلاصة ثقافات مختلفة ، عربية وأعجمية ، مزجها الاسلام روحاً ومعنى ، ونقل اصحابها ذاتاً ووطناً ، وأخضعهم لسلطانه اخضاعاً تداخلت به اللغات والافكار والعقائد .. ثم كان الادب الشيعي أصدق ما تمثلت فيه هذه الثقافات ، اذ كان الحزب الشيعي لاسباب سياسية ودينية اكـبر حزب جمع هذه العناصر ، فأغنى بذلك النتاج الشيعي ، وكان الادب الناتج عنهم ادباً غزيراً قوياً ، تصدره عاطفة وقلب وعقل ، رتنضح عليه ثقافات العراق المعرفة في الرقي المتعددة المشارب ، فاستفاد الادب العربي من هذه الناحية ، وعززت مادته ، واتسعت معانيه واغراضه .

ترى ذلك واضحاً في هذه العقائد الشيعية التي شرحناها قبلا ، ورأينا اثرها في الادب ، وأدركنا الى اي حد كان التشيع مجازاً لنقل هذه العقـائد المختلفة الى الحياة العربية ، والعقلية العربية ، والادب العربي ، وتلك ولا شك مساهمـة في المجهود الادبي لم تكن لولا التشيع .

والحرى من ناحية التأثير ان الموقف الذي وقفتـه الدولة من الشيعة من شأنه ان يلهب العاطفة ، ويثير الوجدان ، ويخلق فنـاً جديداً من القول ، ومسرحاً جديداً للخيال ، وقد تمثل ذلك في الادب السياسي والعاطفي ، وظهر اول مـا ظهر ، وأقوى ما ظهر في الادب الشيعي ، ادب النفس الثائرة ، والعاطفة الصادقة ، والحب المتأجج ، ادب العقيدة ، كما قلنا ، فبنى الشيعة بذلك ركناً من الحضارة الادبية باذخاً وشديداً ، وكان لهم اكبر الفضل في النهوض بهذه الناحية العاطفية والسياسية ، في وقت كان الادب الرسمي فيه تطغى عليه الرغبات المادية والمعنوية وتصرفه عوامل الرجاء والخوف ، وتلهب نفوس اصحابه سيئات العطايا ، وانك لتلمس ذلك فيما صوره الشيعة من آلام وشرحوا من حجج ، وكشفوا من مظالم ، وأثاروا من أحقاد ، دفاعاً عن عقيدتهم ، وجهاداً في سبيل قضيتهم » .



التشيع دائماً عبر التاريخ

●

هنا سؤال يفرض نفسه على من قرأ الصفحات السابقة، وهو كيف استطاعت عقيدة التشيع الصمود والبقاء، مع انها حوربت بكل سلاح منـذ اليوم الاول لتكوينها وظهورها؟!. كيف وجد شيعي واحد على ظهر هذا الكوكب بعد ان تظافرت جميع قوى الشر على الشيعـة، وصممت على سحقهم وابادتهم بالقوة والسطوة، وبعد ان ضربوا ضربات قاسية ومميتة فذبحوا وحرقوا احياء بقصد القمع والاستئصال من الجذور، ومع ذلك كله نجدهم اليوم وقبل اليوم منتشرين في كل بقعة من بقع الارض، وكان المفروض ان لا يكون لهم عين ولا اثر ؟!.

هذا، الى انه لم يكن لهم حكومة، طوال مئات السنين ولا قوة تدافـع عنهم، او كهف يأوون اليه سوى عقيدتهم، والى ان ثوراتهم وانتفاضاتهم كانت تمنى دائماً بالهزيمة والخسران ؟!. وبكلمة ان تاريخ الشيعة تاريخ تقتيل واضطهاد وتمزيق وتفريق، وثورات فاشلة، وهزائم متتابعة، تغري بهم الطغاة، ومـع ذلك ثبتوا وصمدوا وبلغوا عشرات الملايين، فما هو السر ؟.

الجواب :

ان صمود مذهب التشيع ، وتكاثر الشيعة بالرغم من عوامل الافناء والابادة التي سلطت عليهم من هنا وهناك، ان هذا الصمود والتكاثر يرجع الفضل فيه الى مبادىء اهل البيت (ع) وتعاليمهم ، ولولاها لكان مذهب الامامية اثراً بعد عين لا وجود له الا في بطون الكتب ، شأن كثير من الاديان والمذاهب .. وليست تعاليم اهل البيت سوى شرح وتفسير لمبادىء الاسلام واحكام القرآن ومقاصد السنة النبوية ، وسوى قواعد واصول ، لمعرفة الخير والشر ، والحق من الباطل . وان للحق عند اهل البيت واقعاً في نفسه، وتقرراً في ذاته، مستقلاً عن الاذهان والتصورات والآراء والمعتقدات ، لا يتغير ولا يتبدل بالاستحسان والرغبات ولا بكثرة الاقوال او قلتها ، ولا بتعدد الاسماء والالفاظ ، فلو ان الناس كلهم او جلهم اتفقوا على ان هذا باطل ، وكان حقاً في ذاته ، او على انه حق وكان باطلا يبقى على ما هو عليه .

هذا هو الحق في مفهوم اهل البيت لا يعرف بالرجال ، ولا بكثرة الاقوال، بل الرجال عندهم تعرف بالحق ، كما قال الامام ، وبهذا انطق القرآن الكريم ، قال الله سبحانه في الآية ٧٨ من سورة الزخرف : « لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون » وفي الآية ٧٠ من « المؤمنون » : « بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون » .

وثبت في السنة النبوية : « علي مع الحق والحق مع علي[1] » أي ان الناس ، جميع الناس لو كانوا في جانب ، وكان علي في جانب لكانوا على باطل ، وكان علي هو الحق ، لأن سنة الرسول تثبت بقول علي، والرسول لا ينطق عن الهوى، فقوله حجة على الجميع ، ولا حجة لأحد عليه .

---

(١) الترمذي والحاكم وابن حجر وابن ابي الحديد ، وكنز العمال . (انظر دلائل الصدق) للمظفر ج ٢ ص ٣٠٣ طبعة ١٩٥٣ .

وقد اثبتت التجارب هـــذه الحقيقة ، اي استقلال الحق عن تفكير الناس واقوالهم ، فقد رأينا المجالس النيابية تشرع القوانين بالاجماع او بالاكثرية، وبعد التجربة والتنفيذ يظهر الخطأ ، فتضطر الى التعديل او التبديل ، ومن هنا اتفق علماء الامامية على ان الحق يؤخذ من كتاب الله ، وسنة الرسول، اما الاقوال ، وان كثرت ، فانها تعبر عن آراء اصحابها، وقد تصادف الحق ، او لا تصادفه ، ولكنها ليست اداة لمعرفته كيف؟! ومن الرجال من تسيره الاهواء والاغراض ومنهم من ينطق ويفعل بوحي من بيئته وتربيتـه ، ومنهم من آمن بنظريات جمعها من !. هام المتفلسفين ، واخيلة المتكلمين ، ومنهم الجاهل الذي لا يعرف شيئاً ، هذا ، الى ان الاخذ بالاكثرية ، وقيام الدولة على هـــذا الاساس حيف واجحاف بحقوق الاقلية لبقائها بدون دولة ، او بدولة لا ترتضيها ، ولذا قال الامامية : ان الله في كل واقعة حكماً ، وان الطريق الى معرفتـــه الثقلان : كتاب الله ، وعترة الرسول .

وبهذا تبين ان السر في بقاء التشيع لأهل البيت هو نفس السر في بقـــاء الكتاب والسنة ، لأنها المصدر الاول والاخير لهذا المبدأ [1] وقد لاقى الرسول الاعظم من مقاومة المشركين ، وجحود المعاندين ما لم يلقه نبي من قبل ، ولاقى الشيعة من قوى الشر والبغي ما يلاقيه كل محق مخلص ، وصمد مبـدأ الرسول لاصالته وصدقه ، وصمد التشيع لآله ، لأنه فرع من ذاك الاصل ، فهو دائمـــا عبر التاريخ ، تماماً كالاسلام والقرآن .

وكما تطوع الصفوة من المهاجرين والانصار للذب عن رســالة الرسول ، فقد تطوع للذب عن التشيع صفوة من العلماء تخرجوا من مدرسة آل البيت ، كالشيخ المفيـــد والمرتضى ، والكراجكي والعلامـــة وغيرهم ، حيث وضعوا المطولات في الحجج والبراهـين من الكتـاب والسنـة ، وردوا الاتهامـــات

---

(١) قال امير المؤمنين (ع) : الجماعة مجامعة اهل الحق ، وان قلوا ، والفرقة مجامعة اهل الباطل ، وان كثروا .

والافتراءات ، ودحضوا الاباطيل التي كان يرددها المبطلون ضد الشيعة والتشيع .

وغريبة الغرائب ان نرى اليوم ، ونحن في عصر الفضاء من يجتر تلك الافتراءات ، ويرددها بالحرف الواحد ، كما رددها الاولون من الف سنة او تزيد ، وان يضطر الشيعة انفسهم ان يعدوا ما قاله المرتضى والمفيد والعلامة والشهيد ، دون زيادة او نقصان في افتراء المفترين ، وفي دفاع المدافعين !..

وحسبنا ان نشير الى مثالين جديدين من هذه الافتراءات ، احدهما في مجلة آخر ساعة ، والآخر في كتاب « أثر التشيع في الادب العربي » عثرت عليه ، وانا ابحث في المكتبات عن مصادر لكتابي هذا .

آخر ساعة :

قال التابعي في مجلة آخر ساعة عدد ١٥ آذار سنة ١٩٦١ : كتبت بنت الشاطىء في الأهرام قصة نقلتها من تفسير الزمخشري ، وتفسير النيسابوري . وخلاصتها ان القول بان سورة هل أتى « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً نزلت في علي وفاطمة ، ان هذا القول مختلق من اساسه جملة وتفصيلا ، وتفسير الزمخشري والنيسابوري اوهام واباطيل وخرافات !..»

ان تفسير السورة بعلي واهل بيته لم يختص بالزمخشري والنيسابوري ، بل فسرها بهم جماعة كثيرون ، منهم البيضاوي والبغوي والثعلبي وابو السعادات ، ونقل السيوطي في الدر المنثور انها نزلت في علي ، وقال الرازي : ذكر الواحدي من اصحابنا ، اي من الاشاعرة في كتاب البسيط انها نزلت في علي . ولكن هؤلاء المفسرين وغيرهم يكذبون ، لأنهم فسروا السورة بعلي الذي شهد الحروب مع رسول الله كلها او جلها ، وجاهد الشرك والفسق مخلصاً لوجه الله ، ولو فسروها بمعاوية وامه هند وابيه ابي سفيان الذين حاربوا الله والرسول في بدر وأحد الاحزاب لكان تفسيرهم حقاً وصدقاً !..

اثر التشيع في الادب العربي :

يوجد في مصر رجل ، اسمه سعيد كيلاني ، يعيش في هـذا العصر ، عصر الفضاء ، ألف كتاباً أسماه « اثر التشيـع في الادب العربي » قال : وضع الشيعة على لسان يزيد بن معاوية :

لعبت هـاشم بالملك فـلا	خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندق ان لم انتقم	من بني احمد ما كان فعل

اجل « يا استاذ » ان هذا الشعر كذب على يزيد من وضع الشيعة ، وكذلك قتله الحسين ريحانة الرسول كذب ، وحمـله بنات محمد على الاكتاب كذب ، ونقره بالقضيب ثنتي سيد شباب اهل الجنـة كذب ، وغزو مكة كذب ، ورمي الكعبة بالمنجنيق كذب ، واستباحة المدينة المنورة ووقعة الحراء كذب! كل اولئك من وضع الشيعة !..

ولسنا نجد سبباً لتكذيب التابعي والكيلاني ، ومن لف لفهما الا واحداً من اثنين : إما العداء لله والرسول، وإما الخيانة والدس لتمزيق الكلمة ، واحداث الثغرة في صفوف المسلمين ، ليتسرب منها المستعمرون اعداء الدين والوطن .



بعد العباسيين

•

اخذت الدولة العباسية بعد المتوكل في الضعف والانحلال ، وبرز في العالم الاسلامي دول جديدة ، كدولة البويهيين والحمدانيين والفاطميين ، فارتفع الضغط عن الشيعة ، وتنفسوا الصعداء ، حتى انقرضت هذه الدول ، وظهرت الدولة السلجوقية ، فعادت الحال الراكدة الحاقدة الى ما كانت عليه في الحقد الاموي والعباسي ، وزادت الحال سوءاً في عهد الايوبيين بخاصة صلاح الدين الايوبي ، فقد كان أشد الحاكمين قسوة وفتكاً بالشيعة ، وسنشير في هذا الفصل الى مظالمه واهواله التي يشيب لها الطفل الرضيع .

ابو عبدالله الشيعي :

تردد في كتب التاريخ اسم ابي عبدالله الشيعي ، وهو الحسن بن احمد بن زكريا الشيعي ، وكان له علم وفهم ، وعنده دهاء ومكر ، وبلده صنعاء اليمن ، قصد افريقيا ، ومر في طريقه بمكة المكرمة ، واجتمع هناك بالحجاج المغاربة ، فسمعهم يتحدثون بفضائل اهل البيت ، فحدثهم في ذلك وأطال – وكان التشيع

قد دخل بلاد المغرب مع الاسلام ـ فأحبوه وتعلقوا به ، وسألوه الذهاب معهم فلبى الدعوة ، « وكان لأهل المغرب حس كبير من التشيع ، واعتقاد عظيم في محبة اهل البيت » كما قال المقريزي في خططه ، فالتفوا حول ابي عبدالله، وقاموا بتعظيمه واجلاله وكان ذلـــك سنة ٢٨٨ هـ ، ولما اطمأن اليهم واطمأنوا اليـــه دعاهم للخروج على امير افريقيـــا ، وهو ابراهيم بن الاغلب ، فلبوه ، وتغلب عليه ، وانتزع منه الحكم ، وسلمه لقمة سائغة لعبيد الله الملقب بالمهـــدي ، وهو اول خلفاء الفاطميين [١] .

وامتد سلطان الفاطميين الى مصر والشام ، وعدد خلفـــائهم ١٤ ، واستمر حكمهم من سنة ٢٩٦ الى ٥٦٧ هـ وفي ايامهم كثر التشيع في المغرب ، حتى قال بعض اهل فلسطـــين : لو كان معي عشرة أسهم لرميت تسعة منها في المغـــاربة لتشيعهم ، وواحـــداً في الافرنج ! .. وكذلـــك كثر التشيع في مصر ، وكان موجوداً فيها على عهد الامام علي ، كما قدمنـــا ، وامتد الى فلسطين والاردن ، « فكان اهل طبرية ونصف نابلس والقدس واكثر عمان شيعة » كما جاء في الفصل الخامس من الجزء الاول من كتاب الحضارة الاسلامية لآدم متز .

وبقي التشيع في افريقيا الى حكم المعز بن باديس الصنهاجي فتتبع الشيعة قتلا بالسيف وحرقاً بالنار ، حتى استأصلهم وأبادهم ، ولم يبق منهم شيعي واحد[٢]، وقال الشيخ محمد الحسين المظفري في كتاب « تاريخ الشيعة » ص ٢٦٩ :

---

(١) وبعد ان استتب الامر لهذا المهدي قتل ابا عبدالله الذي اوجده من العـــدم ، وهكذا ابن آدم يؤمن بالخير عند الشدة ، ويكفر بالله والانسانية عند الرخاء .

(٢) ابن الاثير حوادث ٤٠٧ هـ ، وخطط المقريزي ج ٢ فصل أبي عبدالله الشيعي ، واعيان الشيعة ج ١ فصل بلدان الشيعة ، والكنى والالقاب ج ٢ ترجـــة « العبيدية ».

« ومن يقف على كثرة الشيعة اليوم – اي في القرن العشرين – في بلاد افريقيا يتجلى له ان روح التشيع ما زالت باقية بعد ذلك الحدث المؤلم ، ولعلها دخلت هذه القارة مرة ثانية بعد فنائها في حادثة المعز بن باديس، وتقدر الشيعة اليوم بأفريقيا بمليون ونصف مليون من الفرس ، ويشهد لكثرتهم في الوقت الحاضر ان بعض ذوي العلم في النجف يقصدون قسماً من افريقيا كزنجبار وغيرها بين وقت وآخر ، وقد يجيء منهم اناس لزيارة العتبات المقدسة كل عام – في النجف وكربلاء والكاظمية – واجتمعت بجماعة منهم في منى في الحج ، فوجدتهم جمعوا بين الثروة والعقل والصلاح والآداب » .

الجامع الازهر :

الأزهر شيعي الاصل والمولد ، انشأه جوهر الصيقلي قائد الخليفة الفاطمي سنة ٣٥٩ هـ ، واقتصر التدريس فيه على المذهب الفاطمي في الفقه ، وعلى تعاليم الشيعة في الدين والتوحيد والفلسفة ، وكان القضاء والفتوى والتدريس في مصر على مذهب آل البيت ، واول كتاب قريء في الازهر كتاب « الاقتصاد » في فقه آل الرسول ثم كتاب « دعائم الاسلام في الحلال والحرام والقضايا والاحكام من اهل بيت الرسول عليه وعليهم الصلاة والسلام » . (كتاب الازهر في ألف عام لمحمد عبد المنعم خفاجة ج ١ ص ١٥ وما بعدها) .

صلاح الدين الايوبي :

صلاح الدين الايوبي كردي الاصل ، نشأ ابوه ايوب ، وعمه اسد الدين المعروف « بشيركوه » ، نشأ بأرض اذربيجان ، ثم هاجرا الى بغداد ، ومنها الى حلب ، وفيها اتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكي ، ولما ملك نور الدين بعد ابيه ارتفع نجم شيركوه ، واخيه يوسف ، وحين غزا الافرنج القاهرة

استنجد العاضد بنور الدين ، وكان قد استقر حكمه على حلب ودمشق ، فأرسل نور الدين شيركوه على رأس جيش كبير ، وفيه صلاح الدين الايوبي ابن اخ القائد شيركوه ، وانتصر شيركوه على الافرنج ، فقربه العاضد آخر خلفاء الفاطميين ، وقلده الوزارة ، وبعد شهرين توفي شيركوه ، ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين .

وبدلا من ان يكافىء العاضد على احسانه اخذ يكيد له ، ويضايقه ، وانتزع منه السلطة ، وصادر جميع امواله ، حتى الفرس الذي كان يركبه ، واخيراً اصبح العاضد معتقلا تحت يده ، كما قال المقريزي في خططه ، وبعث صلاح الدين الى ابيه واخوته واهله ، فقدموا اليه من الشام ، فأخذ دور الامراء الفاطميين واقطاعاتهم ووهبها لهم ، ولاصحابه .

وعزل القضاة الشيعة ، واستناب عنهم قضاة شافعية ، وأبطل من الأذان « حي على خير العمل » وتظاهر الناس بمذهب مالك والشافعي ، واختفى مذهب التشيع الى ان نسي من مصر ، وكان يحمل الناس على السنن وعقيدة الاشعري ، ومن خالف ضربت عنقه ، وامر ان لا تقبل شهادة احد ، ولا يقدم للخطابة ، ولا للتدريس إلا اذا كان مقلداً لأحد المذاهب الاربعة ، قال الخفاجي في كتاب « الازهر في ألف عام » ج ١ ص ٥٨ ما نصه بالحرف : « فقد غالى الايوبيون في القضاء على كل اثر للشيعة » .

اما سياسته مع الاسرة المالكة « الفاطميين » فقد كانت سياسة القمع والنذالة والخسة بأبشع صورها ، فقد « قبض على سائر من بقي من امراء الدولة ، وأنزل اصحابه في دورهم في ليلة واحدة ، فأصبح في البلد من العويل والبكاء ما يذهل ! ... »

وحبس بقايا العلويين في مصر ، وفرق بين الرجال والنساء ، حتى لا

يتناسلوا ، وأعاد يوم قتل الحسين عيداً الذي كان قد سنه بنو امية والحجاج

ولم تقف مظالم صلاح الدين عند سفك الدماء ، ونهب الاموال ، وتشريد النساء المخدرات والاطفال ، بل تعداه الى العلم والتراث ومفاخر الدين والاسلام، فقد كانت الدولة الفاطمية تعتني عناية خاصة باقتناء الكتب ، وانشاء المكتبات العظيمة ، وكان بالقصر الفاطمي مكتبة جامعة يفيض المؤرخون في وصف عظمتها ، ونفاسة محتوياتها ، وكان بها ما يزيد عن مئتي ألف مجلد في سائر العلوم والفنون ، في الفقه والحديث واللغة والتاريخ والادب والطب والكيمياء والفلك وغيرها ، وكانت من عجائب الدنيا ، حتى قيل : ليس في جميع بلاد الاسلام بأعظم منها .

وكان في دار الحكمة مكتبة اخرى تعد خلفاً لمكتبة الاسكندرية الشهيرة ، وكان في الجامع الازهر مكتبة خاصة به . كل هذه المكتبات والآثار أبادها وشتتها صلاح الدين [1] .

مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامی

نحن لا ننكر على صلاح الدين مآثره في الحروب الصليبية ، ومن ينكر بطولته وتضحيته ضد الفاتحين والمستعمرين على الرغم من انه عقد الهدنة بينه وبين الافرنج مدة ثلاث سنين وستة اشهر ، على ان يكون لهم من يافا وعكا الى صور وطرابلس وأنطاكية [2] ، ولكنا ننكر موقفه من النساء والاطفال ، واذا

---

(١) كل ما كتبناه عن صلاح الدين مصدره المقريزي في الخطط المجلد الثاني والثالث ، والازهر في الف عام الجزء الاول . وابن الاثير الجزء التاسع . واعيان الشيعة المجلد الاول . وتاريخ الشيعة للمظفري . وقد استند المظفري وصاحب الاعيان الى مصادر سنية ولم ينقلا شيئاً عن المصادر الشيعية .

(٢) خطط المقريزي ج ٣ ص ١٧٠ .

وجدنا تفسيراً لمظالمه مع اسياده وأولياء نعمته الفاطميين ، فاننا لا نجد أي تفسير لموقفه من تلك المكتبات العلمية ، والتراث الثمين الذي يعكس صورة الاوضاع السياسية والاجتماعية ، بالاضافة الى الآثار الفنية .

اما موقفه من الشيعة فلا تفسير له إلا التعصب البغيض ، وإلا فأي فرق بين الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة من جهة ، وبين الشيعة من جهة اخرى ما دام الجميع يعتمدون كتاب الله وسنة الرسول بشهادة شيوخ الازهر من شلتوت الى ابي زهرة والمدني والباقوري والغزالي ، وغيرهم من قادة الدين المتقدمين منهم والمتأخرين ، هذا ، واذا كان صلاح الدين على مذهب الامام الشافعي حقاً فان الشافعي لا يكفر احداً من اهل القبلة ، ولا يبيح دماء الشيعة !..

ولا منافاة ابداً بين ان يكون صلاح الدين بطلا عظيما ، وبين ان يدين ويؤمن بالتعصب ، كعقيدة ومبدأ بالرغم من آثاره الخطيرة السيئة ، فليس كل من حمل السيف ثار على التقاليد ، ولا كل من انتصر على اعدائه كان في حرز حارز من العدوى ، والتأثر بالبيئة والتربية ، فقد كان اعراب الجاهلية كعنترة وغيره ابطالا يدافعون عن اعراضهم وأموالهم ، وينتصرون على اعدائهم ، وفي الوقت نفسه كانوا يتعصبون للباطل ضد الحق ، وينجدون قومهم ، ويناصرونهم على الظلم والجور ، ويحمونهم من العدل والانصاف .

بل شاهدنا وقرأنا عن المتصفين بسمو المدارك انهم كانوا يعتقدون بالاباطيل والخرافات ، وتتحكم بهم الاوهام والتخيلات ، فهذا الجاحظ على أدبه وفطنته قال معقباً على حكاية سخيفة : « ما ثبت لشيعي بعدها قائمة » ولا سبب لقوله هذا إلا التعصب واليك الحكاية مع التعقيب : قال صاحب العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٤ : قال الجاحظ : أخبرني رجل تاجر فقال : كان معنا في السفينة رجل شرس الاخلاق ، طويل الاطراق ، وكان اذا ذكر له الشيعة غضب واربد وجهه ، وذوى حاجبيه ، فقلت له : ما الذي تكرهه من الشيعة ؟ قال : ما اكره

منهم إلا هذا الشين اول اسمهم ، فاني لم أجدها قط إلا في كل شر وشؤم وشيطان وشغب وشقاء وشنار وشرر وشين وشوك وشكوى وشهوة وشتم وشح . وبعد هذا المذيان جاء تعقيب الجاحظ بقوله : « فما ثبت لشيعي بعدها قائمة » .

ولو كانت الغلبة لمن يتكلم بمثل هذا المذيان لكان الكون بأرضه وسمائه ملكاً للعرب دون غيرهم ، لأنهم أقدر الناس على الكلام وأكل الطعام ولاستطاع شيعي واحد ان يقضي على جميع السنة قضاء « لا تقوم لهم بعدها قائمة » بمجرد ان يقول : ان هذه السين لا توجد إلا في كل سرم وسلح وسلس وسوس وسراب وسرطان وسل وسعال وسفلس وسم وسفك وسلب وسب وسجن وسوء وسهاد وسقوط وسفه وسخف وما الى ذلك من سفسطات و « شرشحات » .

العثمانيون :

استولت الدولة العثمانية على معظم البلاد العربية خلال القرن السادس عشر ، فالسلطان سليم ، تاسع السلاطين فتح سوريا والحجاز ومصر ، ثم اتم خليفته وولده سليمان القانوني ففتح سائر البلاد العربية الاخرى ، وكان في هذا القرن ثلاثة دول اسلامية كبيرة : الدولة العثمانيه ، وعاصمتها القسطنطينية ، والدولة الصفوية ، وعاصمتها تبريز ، ودولة المماليك ، وعاصمتها القاهرة ، واقام الشاه اسماعيل نفسه حامياً للمذهب الشيعي ، وتولى السلطان سليم زعامة السنة ، واستحصل على فتوى من شيوخ السوء بأن الشيعة خارجون على الدين يجب قتلهم ، ولذلك امر بقتل كل من كان معروفاً بالتشيع داخل بلاده (البلاد العربية والدولة العثمانية للحصري ص ٤٠ طبعة ١٩٦٠) .

وفي الجزء الاول من اعيان الشيعة ان السلطان سليم قتل في الاناضول وحدها اربعين ألفاً ، وقيل : سبعين ، لا لشيء إلا انهم شيعة . وفي الفصول المهمة ان

الشيخ نوح الحنفي أفتى بكفر الشيعة ، ووجوب قتلهم ، فقتل من جراء هـذه الفتوى عشرات الالوف من شيعة حلب ، حتى لم يبق فيها شيعي واحد ، وكان التشيع فيها راسخاً ومنتشراً ، منذ كانت حلب عاصمة الدولة الحمدانية ، وقد نشأ في حلب منذ القديم عديـد من كبار العلماء وأئمة الفقـه ، كبني زهرة وآل ابي جرادة وغيرهم ممن جاء ذكرهم في كتب السير والتراجم بخاصة كتـاب « امل الآمل » .

وقتل العثمانيون الشهيد الثاني المشهور بفضله وورعه ، وكتبه العلمية الجليلة التي يدرس بعضها حتى اليوم في جامعة النجف وقم [1] . وفعل الجزار والي عكـا بجبل عامل فعل الحجاج في العراق ، فبعد ان قتـل الشيخ ناصيف النصار رئيس البلاد العاملية قبض الجزار على عدد من العلماء والرؤساء ، وقتل جماعـة ، منهم العالم السيد هبة الدين الموسي ، والسيد محـمد آل شكر ، والشيخ محمد العسيلي ، ومنهم الشيخ علي خاتون الفقيه الطبيب ، قـال صاحب « اعيان الشيعة » ج ٤١ :

« كان عالماً فاضلاً فقيهاً جليلاً متبحراً في علم الطب ، وهو من علماء عصر الشيخ ناصيف النصار الوائلي ، شيخ مشايخ جبل عامل ، قبض عليه احمـد باشا الجزار فيمن قبض من علماء ووجوه جبل عامل ، وحبسه في عكا ، وعذبه ، ثم قتله ، وكان يحمي له الساج حتى يحمر ، ثم يضعه على رأسه » .

وانتهب الجزار اموال العامليين ، ومكتباتهم ، وكان في مكتبة آل خـاتون

---

(١) اما الشهيد الاول ، وهو محمد بن مكي فقتل في عهد برقوق اول ملوك الجراكسة. وذلك سنة ٧٨٦ هـ ، فقد افتى برهان الدين المالكي وابن جماعة الشافعي بقتله بحجة انه يستحل اشياء حرمها الدين منها شرب الخمر ..، فحبس سنة كاملة في قلعة دمشق ، ثم قتـل بالسيف ، ثم رجم ثم احرق بالنار ...

خمسة آلاف مجلد ، وبقيت افران عكا توقد اسبوعاً كاملا من كتب العامليين ، ولم يسلم من ظلم الجزار إلا من استطاع الفرار ، وفي عهده هاجر علماء جبل عامل مشردين في الاقطار ، ومن هؤلاء العالم الشاعر الشيخ ابراهيم يحى[1] هرب من الجزار الى دمشق ، وفي نفسه لوعة وحسرة ، وذكرى فظائع الجزار لا تفارقه بحال ، وقد صورها ، وهو شاهد عيان ، في قصائد تدمي الأفئدة والقلوب منها قصيدة طويلة مطلعها :

مضى ما مضى دالدهر بؤس وانعم … وصبر الفتى ان مسه الضر احزم

* * *

يعز علينا ان نروح ومصرنا … لفرعون مغنى يصطفيه ومغنم
منازل اهل العدل منهم خلية … وفيها لأهل الجود جيش عرمرم

* * *

وعاثت يد الايام فينا ومجدنا … وبالرغم مني ان اقول مهدم
ولست ترى إلا قتيلا وهاربا … سليبا ومكبولا يغل ويزغم
وكم علم في عامل طوحت به … طوائح خطب جرحها ليس يلأم
واصبح في قيد الهوان مكبلا … واعظم شيء عالم لا يعظم
وكم من عزيز ناله الضيم فاغتدى … وفي جيده حبل من الذل محكم
وكم هائم في الارض تهفوا بلبه … قوادم افكار تغور وتنهم
ولما رأيت الظلم طال ظلامه … وان صباح العدل لا يتبسم
ترحلت عن دار الهوان وقلما … يطيب الثوى في الدار والجار ارقم
تملكها والملك لله فاجر … سواء لديه ما يحل ويحرم
عتل زنيم يظهر الدين كاذبا … وهيهات ان يخفى على الله مجرم

---

(١) كتبت ترجمته في المجلد الثاني من دائرة المعارف اللبنانية ، لرئيس الجامعة اللبنانية فؤاد البستاني .

هذي وثيقة تاريخية لا تقبل الشك ، ومصدر علي لا يقبل الجدال ، ووصف يلهب القلوب والأفئدة ، ويعجز عنه كل بليغ إلا اذا جاء انعكاساً لحياته وواقعه ، لذا أعجز انا وغيري عن تصوير تلك الفجائع ، كما صورها هذا الشاعر العظيم ، كيف ؟! وهل المستأجرة كالثكلى ؟!.

وبالتالي ، فان الحديث لا ينتهي عن مظالم العثمانيين في البلاد العربية بعامة ، وتعصبهم ضد الشيعة بخاصة ، فقد اقصوهم عن جميع وظائف الدولة كبيرها وصغيرها ، حتى الوظائف الدينية ، ومنعوهم من ممارسة شعائرهم المذهبية في بلاد الشام وغيرها التي تكثر فيها السنة ، ويقل عدد الشيعة ، وامتد تنكيل العثمانيين بالشيعة طوال سيطرتهم على العرب التي دامت من سنة ١٥١٦ الى ١٩١٨ أي اربعة قرون ، وسنتان ..

السعودية :

نحن الآن في القرن العشرين ، فلا حجاج ولا جزار ، نحن في عصر الحرية والعلم ، لا في عصر الجهل والظلم ، نحن في عصر الصحافة يعلن فيها من شاء ما يشاء ، وعصر التلفزيون يعرض فيه اشكال وألوان .. في عصر التنافس على الصعود الى المريخ ، تبذل فيه اصحاب العقول اقسى الجهود ، ليوفروا للانسان الصحة والرفاهية والهناء في مأكله وملبسه ومسكنه ، وفي سفره وحضره ، منذ ولادته الى آخر لحظة من حياته .

وتتجاهل بعض الدول العربية ــ وبصراحة المملكة العربية السعودية ــ تتجاهل هذه الحقيقة ، وتأبى إلا ان تعامل الناس بتقاليد الصحراء ايام زمان وزمان ... وغريبة الغرائب ان السعوديين يوم كانوا في الصحراء كانوا يعيشون كأي انسان فيها ، يركبون الناقة ، ويأكلون من لبنها ، ويكتسون من وبرها ، وينتعلون من جلدها ، ويسكنون في الاطناب على التراب ، ويقاسون ألوان

العذاب والاوضاب ، ويتزوجون بنات الاعمام والانساب فقط لا غير .. حتى تبدلت الحال ، وكثرت الاموال ، وفرغ الفكر والبـال عاشوا في قصور ألف ليلة وليلة ؛ يتقلبون في الملذات ، ويمتطون متون الطائرات ، ولم يبق بين نعيمهم اليوم ، وبؤسهم بالامس اي نسب او سبب ...

هذا من جهة الشهوات ومتع الحياة ، اما العقلية والافكار ، امـا الاصول والتقاليد والاخلاق في معاملة الناس ، والطوائف والاجناس ، فقد بقي ما كان على ما كان في الصحراء ، ويوم الجاهلية الجهلاء ... دون تغيير وتبديل ، ودون تقليم وتطعيم ، وهنا يبرز عدم النظام والانسجام ، فاما الصحراء وناقتهـا معاً ، واما الحضارة في العيش والافكار معاً ، والتفتيك بينهما تحكم وتناقض ، واليك الدليل على انهم يعيشون باجسامهم في وول ستريت ، وبعقولهم في الربع الخالي فلقد حدثني عليم خبير بما في السعودية بالغرائب التالية :

١ ـ لا تقبل شهادة الشيعي على غيره ، وتقبل عليـه كل شهادة ، اي ان الشيعي يدفع الغرم ، ولا ينـاله شيء من الغنم ، ولو كان لا هـذا ولا ذاك لخف المصاب ، هذا مع العلم بأن الشيعة يحرمون الكذب ، وشهادة الزور ، ويشترطون في الشاهد العدالة ، ومتى تحققت عمل بها ، حتى ولو شهد بـدوي على قروي ، بعكس الحنابلة الذين قالوا : لا تقبل شهادة بدوي على قروي[1] « اللهم إلا اذا كان البدوي الشاهد نجدياً ، والقروي المشهود غير نجدي » . ومن الخير ان نذكر هذا الحديث : « ان الله سبحانه أبى إلا ان لا يقبل لاوليـائه شهادة في دولة الظالمين » .

---

(١) ميزان الشعراني باب الشهادة. ونقل صاحب كتاب المغني ج ٩ ص ١٦٧ عن الامام احمد انه قال : اخشى ان لا تقبل شهادة البدوي على صاحب القرية . والمغني من الكتب المعتبرة عند الحنابلة .

٢ ـ القاضي الشرعي السني في السعودية له مــا لسائر القضاة الشرعيين من محكمة وراتب وفرش وادوات وقرطاسية ، أمــا القاضي الشرعي الشيعي فلا محكمة ولا راتب ولا فرش ولا قرطـــاسية ، ولا شيء إلا الاسم ، مع ان في الكويت والبحرين والعراق ولبنان قضاة سنة وشيعة، والكل سواء في الراتب، ومــا اليه دون تفاوت ولا سر للتفاضل في السعودية إلا عقليــة الصحراء ، والاغراض والاهواء .

٣ ـ تحافظ الحكومة السعودية على حرمة مساجد السنّة ومقابرهم ، وتبذل لتشييدها وترميمها الاموال الطائلة الهائلة ـوخيراً ما تفعل ـ ولكنها في الوقت نفسه لا تنفق قرشاً على مســاجــد الشيعة ومقابرهم ، مع ان الكل لله وللاسلام والقرآن ، ويا ليتها حين تخلت سكتت ، ولم تنتهك حرمة المقابر بشق الطرقات فيها ، كما حدث في مقبرة الاحساء ، ولم تهدم المساجد ، كما وقع في قرية المطيرة التي تبعد عن مدينة الهفوف ٩ كيلو متراً ، وتتلخص قصة هذا المسجد كما قيل بأن شيعة القرية استحصلوا على اذن رسمي من (بن جلوى) امــير المنطقة ، ومن البلدية بالبناء ، وبعد ان قام شطر منه تدخلت أبالسة الشر ، فعدل الجلوى عن اذنه ، وأمر بهدم المسجد بعــد ان وقع « رخصة البناء » وعندما نادى منــادي السوء اهدموا بيت الله ... « من هدم لبنة منــه بنى الله له قصراً في الجنــة » .. فاجتمع المجرمون فرقاً ، فرقة بالمعاول ، وفرقة بالأيدي ، وفرقة بالشتائم ، وما هي إلا دقائق ، حتى اصبح بيت الله أثراً بعد عين ..

٤ ـ تمنع الحكومة السعودية اكثر الكتب أو الكثير من التي يؤلفهــا الشيعة ، مع العلم انها تبحث في الدين والتاريخ ، والادب والفلسفة ، وما أشبه وانهــا لا تتعرض للسياسة السعودية من قريب او بعيد ، وان اصحابها يحملون روحاً اسلامية صادقة ، إلا انهم يوالون اهل بيت الرسول (ص) الذين أمر الله بمودتهم ...

ان منع الثقافة عن الشعب معناه منع الحياة، والتحجير على العقول، ومن أجل هذا تهتم كثير من الدول والجامعات بكل ما تصدره المطابع في كل لغة، ومن كل لون ، وتعين لها ميزانيات خاصة ، وترسل لطلبها البعثات الى اقصى البلاد ، أليس من المؤلم ان مكتبة « هداسا » الاسرائيلية تحتوي على جميع ما تصدره المطبعة العربية ، وان المملكة السعودية تقف سداً في طريقها؟!..

قال رسول الله (ص) : اطلب العلم ، ولو بالصين . وقال الامام علي : أعلم الناس من جمع علوم الناس الى علمه . فعمل الصهاينة ومن اليهم بهذا المبدأ الاسلامي الانساني، وأهمله قوم يؤمنون بأنه لا علم إلا في صحراء نجد ، بخاصة عند الوهابيين، وبصورة أخص عند شيوخهم المتعصبين الذين يكفرون الناس اجمعين إلا هم انفسهم ، كما يتبين ذلك من قصة ابراهيم باشا وشيوخ الوهابية عندما دخل الدرعية ، وسنذكرها – قريباً .

ولنفترض انه لا علم إلا في الصحراء ، وفي صحراء نجد فقط لا غير فلماذا تمنع الكتب الدينية الاسلامية، ويؤذن لنشرات الدعاية الاستعمارية بالدخول؟!. لماذا تعرض علناً في واجهات المكاتب السعودية كتب الفسق والفجور والخلاعة وتمنع كتب وصحف المجاهدين المخلصين الذين اوقفوا انفسهم لله والدين ، والدعوة الى الطهر والعفاف والفضيلة ؟!.. لماذا تدخل الى السعودية الكتب التي تعلّم الناس الفوضى والفساد والكفر والالحاد ، وتعود بالحياة الى الوراء مئات السنين، وتمنع الافكار التي تلتقي مع حاجات الحياة، وتطورها الى ما هو أفضل وأكمل ؟!. لماذا تعطي المملكة السعودية الحرية الكافية الوافية لمجلة « راية الاسلام » في سب أئمة المسلمين ، والسادة الأطهار من آل الصادق الأمين ، وفي الفتوى بإباحة دماء الأبرياء ، والتحريض على استئصال الذين يؤمنون بالله

والرسول واليوم الآخر[1] ، وتمنع مجلة العرفان التي امضت خمسين عاماً في الجهاد ضد الاستعمار والفساد ، وقدمت للدين والأمة الاسلامية واللغة العربية الخدمات الجلى ، ووقفت على الحياد بين الشرق والغرب تمارسه بالفعل والقول وتناصر فلسطين والجزائر،والحرية وتقرير المصير اينما كان ويكون في الكنغو وكوبا واللاووس وانغولا وكينيا .

أليس من سوء حظ العرب والمسلمين ان تكون معاملة الانجليز لشيعة البحرين خيراً الف مرة من معاملة السعوديين لشيعة الاحساء والقطيف ، على ما بينها من قرب الجوار ودنو الدار ؟! أليس من العثار والانتكاس ان يتمنى شيعة القطيف والاحساء ان يكون لهم ما لاخوانهم في البحرين من الحرية الدينية واقامة الشعائر المذهبية ، وانشاء المساجد والمقابر ، وقراءة الكتب والصحف التي يرغبون ويودون؟!..اقول هذا وانا ألعن كل مستعمر ومستثمر في الشرق والغرب ، وكل من احوجني الى هذه المقارنة والمضالة .

هذا كله ، وآل سعود يحكمون باسم الاسلام ، ويرفعون علماً كتب عليه بالخط الطويل العريض « لا إله الا الله محمد رسول الله » ! .

هذا قليل من كثير ، ولكنه كاف ووافٍ للدلالة على مآسي الشيعة في السعودية ونحن الشيعة في لبنان والعراق وايران وغيرها نعرف هذا ، واكثر من هذا ، ولكننا نتجاهل ، حتى كأنه ليس لنا اخوان في السعودية هم في أشد الحاجة الى ان يسمعوا أصواتنا ، وان نضعهم تحت الأضواء للعالم في الشرق والغرب ، ليرى كيف يميز السعوديون بين ابناء الوطن الواحد ، بل وحتى الدين الواحد ، لا لشيء إلا لاختلاف في بعض الفروع الفقهية ، والطقوس المذهبية .

---

(١) تهجمت مجلة راية الاسلام على الامام جعفر الصادق بما يهتز له عرش الرحمن . اقرأ عدد ربيع الآخر سنة ١٣٨٠ .

والذي يبعث على الدهشة والغرابة ان الوهابيين يعتمدون مذهب الامام ابن حنبل ، وأقوال محمد عبد الوهـاب الذي يقول : اركان الاسلام خمسة : شهادة ان لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام[1] .

وهذا بلفظه وحروفه وما رواه الشيعة بطرق مختلفة ، حتى تجاوز حد التواتر ، وحتى حفظه النساء والأطفال فضلاً عن الرجال . وقد اجمع علماء الامامية قولاً واحد ان تارك الحج والصلاة والزكاة والصوم مستحلاً لها كافر، ومتهاوناً بها فاسق يجب قتله مع الاصرار وعدم التوبة ، تماماً كا تقول الحنابلة .

وقال صاحب المغنى الحنبلي ج ٨ ص ١٣٢ : « من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ، ومن بعدهم ، واستحلال دمائهم واموالهم ، واعتقادهم التقرب بقتلهم الى الله ، ومع ذلك لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأولهم » .

وعلى هذا فمن كفر الشيعة ، بل والخوارج الذين كفروا بعض الصحـابة واستحلوا قتلهم تقرباً الى الله ، فهو مخطىء اذا لم نقل انه كافر . وقديـــماً كفروا محمد عبد الوهاب ، وابن تيمية وقد سجن من أجل عقيـدته توفي في السجن كا قيل الآن وقبل الآن:ان الوهابية بدعة لا تمت الى الاسلام بسبب، بماماً كا قيل عن مذهب التشيع، بل الوهابيين اصابهم بعض ما اصاب الشيعة من التنكيل في سبيل عقيدتهم ، قال « بيير كربليس » في كتاب « ابراهيم باشا » ص ٤٠ طبعة سنة ١٩٣٧ :

« لما تغلب ابراهيم باشا على السعوديين ، وملك بلادهم ، ودخل عاصمتهم

(١) الرسائل العلمية التسع ص ٧ طبعة ١٩٥٧ .

الدرعية ، وخضع له جميع امراء البيت السعودي ، استدعى اليه رجـال الدين والفقهاء الوهابيين ، وكان عددهم خمسمئة ، وقال لهم : احضرت معي من القاهرة جماعه من اكابر العلماء السنيين، اريد ان تجتمعوا معهم ، وتبحثوا اسباب الخلاف المستحكم بين عقائدكم وعقائد اهل السنة من المسلمين .

فاجتمعت الطائفتان طوعاً لامره وهو بينهم ، وظل خطباؤهم ثلاثة ايام كاملة يتناقشون ، ويظهرون الفروق الدقيقـة بين المذهبين ، وظل ابراهيم طوال هذه المدة يصغي اليهم لا يطرق ، ولا يأخذ الكرى بجفنه ... ولما دخل اليوم الرابع اقفل ابراهيم باب الجدل، حيث سأل شيخ الفقهاء الوهابيين هذا السؤال :

« هل تؤمن بأن الله واحد ، وان الدين الصحيح واحد وهو دينكم » .

فقال الشيخ : نعم .

فقال ابراهيم : « ما رأيك في الجنة اما الخنزير ، وما عرضها ؟! .. »

قال الشيخ : « كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين » .

قال ابراهيم : « اذا كان عرضهـا السموات والارض ، وانت واصحابك تظلكم جميعاً شجرة واحدة ، فلمن تكون المساحة الباقية ؟! ولماذا جعلها الله بتلك السعة !! .. » .

فأفحم الشيخ واتباعه ، وبان عليهم الفشل والانكسار ، وعندها التفت ابراهيم الى جنوده ، وقال لهم : عليكم برقابهم ، فلم تمض الا دقـائق ، حتى كان مسجد الدرعية مقبرة لفقهاء الوهابيين » ؟

وبالتالي ، فان اصحاب الاديان والمذاهب يمـارسون طقوسهم الدينيـة والمذهبية في كل مكان ، كيف شاءوا ، ومتى ارادوا ، ما دامت لا تتعارض

وشيئاً مع سياسة الدولة الا في السعودية ، فان الشيعة محجر عليهم في كثير من عاداتهم وطقوسهم على الرغم من بعدها عن السائس ، والمسوس ، ولكن هكذا شاء اصحاب عقلية الصحراء في عصر الذرة والفضاء . وكلنا يعلم ان الضغط والكبت سياسة فاشلة تعجز عن الاستمرار والبقاء ، وان النصر في النهاية للحرية المطلقة في التعبير عن الرأي والعقيدة ، وفي اختيار الحاكم والحكم الذي يحقق السعادة والاطمئنان والرخاء للجميع . وصدق من قال : دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة .



الشيعة ومجلة الافق السعودية

نشرت في العرفان عدد تشرين الثاني ١٩٦٠ ، ثم في منشور مستقل .

•

كنا نتساءل : لماذا تأخرت البلاد العربية بوجه عـــام عن ركب الحضارة في هذا العصر ؟ وكيف سبقتها اوربة وأمريكا في ميدان الثقافة والعلوم ؟ ثم نتساءل لماذا تأخرت المملكة العربية السعودية بوجه خاص عن سائر البلاد العربية ؟ مع انها أسبق من غيرها استقلالا وا كثرها ايراداً !..

وكنا نسمع في دهشة وذهول الى حديث الحجاج عن جحافل الجياع العراة من رعايا هذه المملكة تتبع الوفود في كل خطوة لتلتقط القتاة وقشور الخضار والفوا كه من الطرقات !..

كنا نسمع هذا وأمثاله ، ولا نكاد نصدق شيئاً منه ونقول ؛ كيف ؟ وأين ؟ البترول الذي يتدفق بحراً في الظهران والقوار والسفاينة والربع الخالي ؟.. والى اين تذهب الملايين التي تؤخذ من الوافدين الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ؟..

ولكن سرعان ما زال العجب بعد ان قرأنا العدد الخامس من مجلة « رايـــة

الاسلام » تاريخ واحد ربيع الآخر ١٣٨٠ هـ ، وقديماً قيـل : اذا ظهر السبب زال العجب ، فلقد عرفنا من هذه المجلة التي تصدر في الرياض عاصمـة المملكة السعودية ان المتمشيخين[1] وبعض الصحفيين في هذه المملكة من « شر الدواب عند الله الصم البكم » .

فبدلا من ان يعالجوا اوضاعهم الفاسدة التي ألقت بالملايين في هوة الجهـل والمرض والجوع ، وان يقفوا بجانب الحجازيين والنجديين الذين ابلاهم العوز ، واكل جلودهم الحر والبرد ، هذا واكواخهم تحيط بالقصور الشامخـات التي تضاهي قصور فرساي والكرملن وناطحات السحاب ، وبدلا من ان يتساءلوا عن دولارات الذهب الاسود ، وتحكم « روكفلر اخوان » في خيرات البـلاد ، واستغلال « وول ستريت » للمستضعفين البائسين ، فبدلا من كل هذه وغير هذه راح اصحاب المجلة الشيوخ يكفرون الطوائف الاسلامية ، ويكيلون الشتائم لأئمة الدين وحماة الاسلام .

وجهت المجلة في عددها المزبور كلمـة الى فضيلة شيخ الازهر موقعـة باسم ابراهيم الجبهان كلها قذف وطعن وتزوير وتزييف ، وتهجم وتعدي على المسلمين وأئمة الاسلام ننقل من افترائها ما يتسع له المجال مع الاشارة الى الرد قال : « ان الخلاف بيننا وبين الشيعة يبدأ من الاصول ، بل هو اصل الاصول » .

وهـذا اعتراف وإقرار صريح من الكاتب بأنه كافر بالله والرسول واليوم الآخر ، لان اصول الشيعة وعقيدتهم هي الايمـان بالله والرسول واليوم الآخر ، وهذه كتبهم الدينية تعد بالالوف تنادي بهذه الحقيقة ، وتلك اصواتهم تدوي في

---

(١) اسم صاحب الامتيـاز الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ . ورئيس التحرير الشيخ صالح الحيدان . ومديرها الشيخ علي الصالحي . اعوذ بالله من شيوخ ...

الفضاء من على المآذن « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وغير عجيب ولا غريب ان يتبرأ الكاتب من دين الاسلام فقد كان اسلافه القاسطون يأمرون المسلمين بالبراءة من دين علي (ع) وما دينه إلا دين ابن عمه محمد (ص) .

ان الشيعة الامامية مسلمون حقاً ، فقد نزهوا الباري سبحانه عن القبيح ، ولم يقولوا ما قالته بعض الطوائف التي يعدها الوهابيون في طليعة المسلمين بأن الله لا يقبح منه شيء ، وانه يجوز في حقه ان يدخل الانبياء الى النار والمشركين الى الجنة ، وان طوله سبعة اشبار بشبر نفسه ، وانه من لحم ودم وانه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة وانه على صورة شاب أمرد يركب حماراً في كل ليلة جمعة وينزل الى الارض ينادي من فوق السطوح : هل من تائب ؟ [1] .

ان الشيعة الامامية مسلمون حقاً لانهم لم ينسبوا النبي الى النوم عن الصلاة والسهو فيها ولا الى اللعب واللهو ، والاستماع الى دفوف الحبشة والنظر الى رقصهم وما الى ذلك من الاباطيل .

وقال الجبهان كاتب الكفران والعدوان :

« ان الاسلام الذي تلبس به الشيعة ليس إلا استسلاماً للصهيونية الماكرة » .

---

(١) قال لي شيخ وهابي من السعودية : من اي مصدر نقلت هذا ؟. ولما ذكرته له قال : ان المؤلف ، وان يكن من السنة . ولكنه غير وهابي ولا حنبلي . ونحن لا نعتمده . فاضطررت الى المراجعة . فرأيت في « رسالة العقيدة الواسطية » لابن تيمية الذي يقدسه الوهابيون « فصل في سنة رسول الله » جاء فيه : « ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول : من يدعوني استجيب له ؟ من يسألني اعطيه ؟ من يستغفرني فاغفر له ؟ » ثم قال ابن تيمية : هذا متفق عليه .. وايضاً جاء فيه : « لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله فتقول : قط قط » وقال ايضا : متفق عليه .

ان الشيعة لم يتحالفوا مع انصار الصهيونية ولم يسلموا ارضهم لمن أوجد اسرائيل وأمدها بالمال والسلاح لقتل المسلمين وتشريدهم من فلسطين ، ولم يعط الشيعة بلادهم لتقام فيها القواعد الحربية السرية لحماية اسرائيل ولم يسيروا في ركاب الذين ناصروا فرنسا ضد الجزائر ، ان الشيعة الامامية مسلمون حقاً ، لانهم يصومون ويصلون ولا يزنون وانهم يحجون الى بيت الله الحرام ويطعمون الجياع ويكسون العراة من رعايا السعودية حين يذهبون الى الحج تقرباً الى الله والرسول (ص) .

وقال كاتب الضلال والعضال :

« اذا كنا في حاجة الى الوحدة السياسية ، لنقضي بها على الاستعمار السياسي فهذه الغاية لا تبرر وقوعنا في فخاخ الاستعمار الديني ، واتخاذ الدين وسيلةللتقرب وإزالة الفوارق لا تصلح إلا مع طائفة تقف معنا في آمالها وآلامها » .

ان الامل الوحيد لهذا القائل هو ان تأمر شركة « أرامكو » فتطاع ، وان تكون جميع الطوائف الاسلامية في شرق الارض وغربها رهناً باشارة هذهالشركة الدينية المقدسة التي تدفع الاشتراك أضعافاً ومن لم يركع لها ويسجد فهو كافر مارق من الاسلام ، واذا لم تكن هذه ارادة الكاتب وهدفه الوحيد، فلماذا نسب الشيعة الى الكفر والمروق، وقد حاربوا الاستعمار الانكليزي في العراق سنة١٩٢٠ وسقط منهم ألوف القتلى ، وحاربوا الاستعمار الفرنسي في لبنان ، وخربت ديارهم من جراء ذلك . وبالأمس القريب وفي سنة ١٩٥٦ بالذات وقفوا صفاً واحداً يتظاهرون ضد المعتدين على بور سعيد ، وتساقطت منهم القتلى بالعشرات في النجف الاشرف وغيرها .

ان تاريخ الشيعة قديماً وحديثاً ينطق بجهادهم ضد الظلم والطغيان ، فأدبهم وشعرهم مشحون بالثورة على الاستعمار والاستبداد ، كما أوجبوا في جميع

كتبهم الدينية الفقهية والعقائدية جهاد المستبدين وحكام الجور ، ولم يقولوا ما قالت الحنابلة ــ الذي ينتمي اليهم الكاتب واصحاب المجلة ــ قالوا : « لا يجوز الخروج على الامراء بالسيف وان جاروا » (راجع كتاب المذاهب الاسلامية لأبي هريرة ص ١٥٥ الطبعة الاولى) .

وقال مخاطباً شيخ الازهر :

« فاتق الله يا صاحب الفضيلة في نفسك وفي العالم الاسلامي .. فان الدجل لا يحارب بالدجل ، والنفاق الديني لا يقضى عليه بالنفاق السياسي » .

شيخ الازهر دجال منافق !.. ولماذا ؟ لانه يدعو للوحدة ويعمل للالفة وجمع الشمل ليقف المسلمون صفاً واحداً في وجه القوى الاستعمارية والشركات الاحتكارية ، والكاتب مؤمن مخلص لانه يريد تفتيت القوى وتشتيت المسلمين ليخلو الجو للماكرثية والصهيونية والتآمر على البلاد العربية ؟!..

ان فضيلة شيخ الازهر إذ يعمل للتقريب بين القلوب ويناصر تدريس فقه الشيعة بالازهر ، لا يفعل ذلك من اجل الشيعة ولا للترويج الى مذهب التشيع ولا للدعاية للنجف ولا حباً بعلمائها ، انما يفعل ذلك من اجل الازهر نفسه ومن اجل الاسلام بالذات ومن اجل المسلمين لا غير . لقد فعل شيخ الازهر ذلك بدافع من غيرته على الدين واخلاصه لأمة محمد (ص) ، وقال الكاتب ما قال بدافع الدولار وبيع الديار ولعنة الله على كل منافق مكار .

وقال «إبراهيم» الاثيم :

« مثل صادقهم الكاذب ومن لف لفه واحتطب بحبله بل ان صادقهم الكاذب اذا صح عندنا كل او بعض ما يروون عنه من اساطير فهو ملحد زنديق يجب لعنه ومقته » .

اللهم إلعن كل مفتر كذاب وكل ملحد زنديق يجرأ على اوليائك وحماة دينك وعترة نبيك ، والعن شركة أرامكو والصهاينة والمستعمرين وأشياعهم وأشياع أشياعهم وأتبـاع أتباعهم ومن لف لفهم واحتطب بحبلهم .

ولا بدع ان ينعت هذا الاثيم الامام الصادق الامين بالكذب ، فقد نعت من قبل الرسول الاعظم (ص)بالكذب من هو على دين الكاتب وشاكلته. كان النبي ينادي في مكة المكرمة ايهـا الناس : قولوا : لا اله الا الله تفلحوا ، فيرشقه ابو لهب بالحجـارة ويقول : لا تطيعوه انه كذاب !.. وما أشبه الليلة بالبارحـة والصادق بجده الرسول والكاتب بأبي لهب ؟..

وصدق الله العلي العظيم . « فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلـك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير » وقد جاء الامام الصادق بالآيات والبينات ونشر الكتاب المنير وسنة جده البشير النذير ، فقال الجاحدون المعاندون لله وكتابه مـا قالوا في جده من قبل . قال ابن حجر في صواعقه : ان الناس نقلوا عن الصادق من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان . وقال الشهرستاني في الملل والنحل : كان الصادق على علم غزير في الدين وأدب كامـل في الحكمة وزهد في الدنيـا . وسئل ابو حنيفة عن أفقه الناس ، فقال : جعفر بن محمـد . والحديث عن فضل الصادق وعظمته وعلومه وخدمته الدين وما قيل في مدحـه والثناء عليه لا يبلغ الى نهاية ولا تدركه غاية وكفى بذلك ذنباً له عند أعداء الله ونبيه . ان علوم الصادق هي علوم القرآن، ومبادئه هي مبادىء الاسلام فالتهجم عليه تهجم على القرآن ، وتكذيبه تكذيب للاسلام .

وختم القائل الخامل كلمته بقوله :

« ليعلم حضرات العلمـاء ــ أي الوهابيين ــ انهم لن يستطيعوا حمـل رسالة الاسلام قبل ان يبدأوا بتطهير الاقرب فالاقرب اليهم » .

الباقية من شيعة الحجاز والقطيف ، فعلى كل مسلم ، وبخاصة علمــاء الامامية ، وبصورة أخص المراجع الكبار في النجف وايران ، ان يستنكروا ويحتجوا بكل وسيلة واسلوب على اصحاب المجلة والذين أفسحوا المجال لسمومها الصهيونية الاستعمارية الماركسية الارامكية المتسترة باسم الدين والاسلام نفاقاً ودجلاً .

وقـد كتبت الى الاعلام الكبار في النجف ولا شك انهم عرفوا وفعـلوا ما يجب فعله ، اما علماء جبل عامل فقد ارسلوا احتجاجاً الى الملك سعود ، كما احتجوا في السفارة السعودية ببيروت وأعلنوا سخطهم واستياءهم في الصحف وعلى المنابر وفي المحافل ، وسيواصلون الاستنكار حتى يتأكدوا ان المسؤولين قد ضربوا على أيدي المعتدين وأخذوا الاحتياطات لتلافي مـا لا تحمد عقباه ، والله مع المتقين .





كتاب السفياني

•

صدر في القاهرة :

صدر في القاهرة ، حيث يوجد الجامع الازهر الذي يضم اكثر من ثلاثين ألف عالم وطالب ديني يدرسون القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثم ينفرون في بقاع الارض يدعون الى الحق ، واعلاء كلمة الاسلام ، واجتماع المسلمين يداً واحدة على من يكيد لهم ولدينهم وأوطانهم ، ويعمل جاهداً للقضاء على وحدتهم وتماسكهم ، ليستسلموا لسلطانه ، ويستكينوا لجبروته .

صدر في القاهرة ، حيث الجامعة العربية التي أقامت نفسها حارساً على العرب وبلاد العرب ، وعاملاً على ان ينتفع كل عربي بما عند اخيه العربي من قوى روحية ومادية .

صدر في القاهرة ، حيث تجتمع الشعوب الآسيوية والافريقية بين الحين والحين ضد المواقع العسكرية ، والاحلاف العدوانية ، وضد التفرقة العنصرية ، والتعصبات الطائفية ، وبالتالي ، ضد أي موقف يضعف الانتفاضات التحررية ، والثورات الوطنية .

صدر في القاهرة كتاب « ابو سفيان شيخ الامويين » لكاتبه محمد السباعي الحفناوي ، اما تاريخ صدوره فسنة ١٩٥٩ ، اي بعد احتلال فلسطين ، وبعد الاعتداء على بور سعيد ، وفي اثناء ثورة الجزائر الاسلامية العربية الانسانية .

هدف الكاتب :

لم يكتف المستعمر بنهب الاموال والارزاق، وامتصاص الدماء ، واحتكار الاسواق ، وقتل الاحساس بالقومية ، والاعتزاز بالوطنية ، فلقد تجاوز هذا كله الى الطعن بأعظم مقدساتنا ، الى الطعن في ديننا وعقائدنا ، وتزييف تاريخنا وثقافتنا ؛ وسلك لهذه الغاية سبلاً لا يهتدي اليها الا من تخصص للدس والتآمر، وامضى في تلقين هذا الدس ، والتمرين عليه سنوات وسنوات ...

لقد اهتم المستعمر بهدم الاسلام وتاريخه اكثر من اهتمامه بأي شيء آخر ، ذلك ان الاسلام بقرآنه ونبيه وأئمته وعظمائه الدرع المتين والحصن الحصين من العدوان على استقلال المسلمين وحريتهم وكرامتهم ، واول طريق استعمله المستعمر توصلاً لهذا الهدف هو طريق المستشرقين ، خصص لهم الاموال ، وارسلهم الى الشرق بحجة زائفة ، وتمويه كاذب ، وهو دراسة اللغة العربية ، وتحقيق التاريخ ، ونشر الثقافة ... اما الواقع فهو الطعن على الاسلام وتشويهه، وتشتيت اهله بإثارة النعرات ، وتدبير المؤامرات .

وأدى المستشرقون هذه المهمة باخلاص، ونشروا كتباً بالمئات ، تكلموا فيها عن القرآن، وفسروا آياته بقصد « التحقيق العلمي والبحث النزيه .. » وتعرضوا لكل شيء فيه ، حتى عن فواتح السور ، وقالوا : ان اوائل السور مثل « الم » ونحوها دخيلة على القرآن ، وضعت للاشارة الى اسماء بعض الصحابة الذين كان عندهم نسخ من القرآن ، فالميم من « الم » اشارة الى المغيرة بن شعبة ، والسين من «طسم» اشارة الى سعد بن وقاص ، والهاء من « كهيعص » اشارة الى ابي هريرة،

ونون من سورة « ن » اشـــارة الى عثمان بن عفان ، وهكذا . وقالوا – اي المستشرقون – : ان محمداً كان يكره الناس على الاسلام بدليل مـــا جاء في سورة يونس : « أفأنت تكره الناس على ان يكونوا مؤمنين » [1] وانه اغتصب زوجة مولاه زيد ، وانه كان ضالاً ، لقوله تعـــالى : « ووجدك ضالاً فهدى » حيث فسروا « ضالاً » بالضلالة لا بالحيرة، وما الى ذلك من التحريف والتزييف الذي ملأوا به كتبهم ونشراتهم .

فيا للسخريات والمضحكات .. غريب عن الدين واللغـــة ، وعدو الاسلام ونبيه ، وجاهل سخيف مغرور يحقق لنا ديننا ، ويفهمنا مقدساتنا ، ويعرّفنا بتاريخنا ، ويرشدنا الى ثقافتنا ... اذن ، فأين الصحابة والتابعون واين الفقهـاء والمؤرخون ؟! واين الفلاسفة والمتكلمون ؟!

وتمادى المستشرقون في غيهم ، حتى ادعوا ان محمداً اخذ تعاليمه من اليهود والنصارى ، وانه ساير المشركين في عبادة الاوثان بعد ان اصبح نبياً .. وانه في اول امره ، وحين كان مستضعفاً قال : ان الاسلام دين الرحمة ، وانه لا يستعمل القوة والعنف ، حتى اذا التف حوله المهاجرون والانصار ، ورأى مـــا له من القوة والاقتدار ترأس حكومة سياسية ونسي نبوتـــه ودعوته الاولى ، وشرع يقتل الرجـــال ، ويبتز الاموال ، الى غـير ذلك من الافتراءات والدسائس .

ولكن الاسلام ونبيه الصادق الامين اعظم واقوى من ان يأتيه الباطل من المستشرقين والمستعمرين ، بل ولا من الانس والجن اجمعين ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، كيف ؟! وهل يطفأ نور الله بالأفواه ؟!

---

(١) نشرت في العرفان عدد كانون الاول سنة ١٩٥٩ مقالا مفصلا في هذا الموضوع .

الاستعمار والحفناوي:

افتضح المستشرقون، وعلم بكلبهم وتآمرهم الكبير والصغير، وبحث الاستعمار عن عميل جديد، يحمل في الظاهر هوية اسلامية عربية، ويبيع دينه وقومه للشيطان، متى دفع الثمن، فوجد الحفناوي فطار به فرحاً، وأوكل اليه مهمة الدس على الاسلام، والنيل من عظماء المسلمين، ورسم له الخطوط التي برزت واضحة جلية في كتابه «ابو سفيان شيخ الامويين» وتتلخص هذه الخطوط بما يلي:

اولاً — النيل من امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع)، لانه اول من لبى دعوة الاسلام والجهاد وأبلى البلاء الحسن في نصرته، فقد رافق محمداً منذ اليوم الاول، وناضل بحسامه وبيانه منذ اللحظة الاولى من نزول الوحي، بات على فراش النبي (ص) يقيه بنفسه، ولولا موقفه في بدر لكان الاسلام أثراً بعد عين، ويوم أحد فر كبار الصحابة، وصمد علي كالطود الشامخ، يصد الكتائب عن رسول الله تلو الكتائب، ويوم الاحزاب بلغت القلوب الحناجر خوفاً من ابن ود الا قلب علي، كان أصلب من الحديد والفولاذ، وكان من ضربته لعمرو التي وصفها النبي بأنها تعادل عمل الثقلين ما كان، وهرب بالراية يوم خيبر من هرب، وأعطاها الرسول الامين لعلي الذي يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وكان الفتح والنصر لله وللمسلمين على يد ابي الحسنين.

علي الذي قاتل المشركين والناكثين والقاسطين والمارقين، علي الذي قاتل على تنزيل القرآن وتأويله، حتى قال عنه النبي الصادق الامين: انه الايمان كله، يقول عنه الحفناوي السفياني: «ليس له كبير حظ في الجهاد، لان الجهاد الصحيح ما كان في الرأي واللسان، اما جهاد علي فليس بشيء بالقياس الى لسان عمر ورأي ابي بكر — ص ١٩٠».

أرأيت الى هـذا المنطق الذي يكذب نفسه بنفسه ؟!.. الاقوال خـير من الافعال ، والفرار من الزحف وترك القتال بين الرسول افضل بكثير من التضحية بالارواح من اجل الدين واعلاء كلمته ، والجبن اعظم من الشجاعة ، والبخـل احسن من الجود ..

ولنفترض ان هذا صحيح ، كما يقول السفياني ، فماذا يجيب عن هذا السؤال: اذا تجمع المشركون على قتل الرسول بعدتهم وعددهم ، كما فعلوا ذلـك بقيادة ابي سفيان يوم بدر وأحد والاحزاب ، وصمموا على قتله بالسيوف والرمـاح ، فهـل يصدهم عنه كلام احـد او تفكير احـد او يصدهم سيف علي وبأسه وشجاعتـه ؟!.. هل ينتصر الاسلام بالجلوس في العريش والحرب بالافكـار والمنظار ، او بالثبات في جبهة القتال ، وجندلة الفرسان والابطال ؟!.. وهل كان محمد ناقص التفكير والتدبير ، حتى يستعين بغيره ؟!..

وما كانت هذه البديهة لتخفى على الحفناوي وأمثاله لولا دعوة النبي عليـه وعلى امثاله بالخذلان يوم سأل ربه قائلا عن علي : ألهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خـذله . ولو كان مجرد الكلام والرأي يجدي لما ذهبت فلسطين ، ولما تأخر المسلمون والعرب الى الوراء مئـات السنين على الرغم من وجود الحفناوي وأضرابه بينهم .

ثانياً ـ أوكل الاستعمار الى الحفناوي الطعن في المصادر الاسلامية ، بخـاصة التاريخية ، وبصورة أخص القديمة منها ، لانها أصح المصادر وأوثقهـا في معرفة الحقائق ، وواقع الاسلام ، والتعريف برجالات المسلمين الذين بسيرتهم وانتشار مبادئهم وتعاليمهم تنتصر الانسانية ، وتتحرر الشعوب من العبودية ، ولا يبقى لمستعمر ومستثمر حول ولا قوة ، وقد استجاب الحفناوي لنداء الاستعمار وطبقه تماماً كما شاء ، قال آخر في الصفحة الثامنـة ما نصه بالحرف : « فمعظم المصادر قديمها وحديثها ليست في حقيقة الامر من التاريخ الصحيح في شيء » وقـال في

الصفحة العاشرة : « معظم المؤرخين القدامى الذين تناولوا تاريخ العرب انساقوا وراء الاساطير التي ليس لها سند من الواقع » .. ان المؤرخين القدامى ليسوا بشيء عند الحفناوي ، لانهم قريبو عهد بصدر الاسلام وعلاقتهم به متينة وقوية ولانهم سمعوا ممن شاهد ورأى ولأن الاسلام ما زال حياً في نفوسهم ، أجل ، ان المؤرخين القدامى والجدد إذا طعنوا في اهل البيت فهم صادقون وما عدا ذلك فهم كاذبون .

واذا لم نعتمد على المصادر الاسلامية قديمها وحديثها فلا يبقى للاسلام والمسلمين شيء ، وهذه هي امنية الاستعمار الذي يحاول القضاء على كل اثر اسلامي . ولكن هنالك مصدر آخر يعتمده الحفناوي ويركن اليه ، ويستمد منه احكامه على الطيبين الاخيار ، وهذا المصدر هو اقوال المستشرقين اعداء الوطن والدين ، فطالما استشهد الحفناوي بكلامهم ، واستدل بآرائهم ، وبخاصة المستشرق الالماني كارل بروكلمان الذي يعتمد عليه الحفناوي اكثر من غيره ، وكثيراً ما ينقل كلامه بلفظه ، ولنقرن الدعوى بالدليل ننقل بعض الشواهد من عبارات هذا المستشرق .

قال في الجزء الاول من « تاريخ الشعوب الاسلامية » الطبعة الثالثة ص ٣٥ : « والواقع ان الامة الاسلامية قد سعت الى ان تحيط النبي بهالة من التمجيد .. ولسنا نملك بينة موثوق بها عن حياة النبي الاولى إلا هذه الآية القرآنية « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى » لم يجد سوى هذه الآية ، لان فيها « ضالا » ولولا لفظة « ضالا » لم يجد شيئاً على الاطلاق ... وقال في ص ٣٦ : « وكان النبي مولعاً في حديثه المجازي بالصور والاستعارات التجارية » اي ان النبي كانت له عقلية تجارية تماماً كعقلية روكفلر وفورد .. وقال في آخر الصفحة المذكورة : « وتذهب الروايات الى انه اتصل ببعض اليهود والنصارى » وقال في ص ٤٣ :

« كان يمارس الدعاء والصلوات الليلية على منوال الزهاد النصارى . وليس من شك ان معرفته بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية الى أبعد الحدود وحافلة بالأخطاء ، وقد يكون مديناً ببعض هذه الاخطاء للأساطير اليهودية .. ولكنه مدين بذلك اكثر للمعلمين المسيحيين الذين عرفوه بانجيل الطفولة ، وبحديث اهل الكهف والاسكندر وغيره من الموضوعات » .

هذا المستشرق الذي قال عن النبي ان معرفته حافلة بالاخطاء ، وانه اخذ القرآن عن النصارى من سورة الكهف الى حديث الاسكندر ، الى غيره من الموضوعات ، كلها اخذها محمد عن النصارى ، هذا المستشرق هو الحجةالكبرى عند الحفناوي السفياني ، أما المصادر الاسلامية فهي أساطير وأساطير ، وليست من التاريخ الصحيح في شيء !.

وقال المستشرق بروكلمان المصدر الاول والاخير للحفناوي، قال في ص٣٧: « ولكن محمداً على ما يظهر اعترف في السنوات الاولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث » .. محمد يعترف باللات والعزى ومناة ، ويأخذ من النصارى القرآن !. اذن فماذا بقي لنا نحن المسلمين !.. ومع ذلك كله فبروكلمان هو المصدر الموثوق عند الحفناوي دون غيره ، ولماذا ؟! لأن الاستعمار هكذا يريد ، ولاراد لما أراد عند الحفناوي السفياني ..

ثالثاً ــ أوكل الاستعمار الى الحفناوي السفياني ان يمجد ويروج للالحاد والفجور والمظالم والشرور على ان يكون هذا التمجيد والترويج مغلفاً بتمجيد الأمويين الذين يتجسد فيهم الكفر والزندقة والفساد ، والحقد والحسد والضغينة والشهوة والكذب والرياء والافتراء ، وما الى ذلك من الرذائل والجرائم والمآثم التي ورثها الامويون صاغراً عن صاغر ، وفاجراً عن فاجر ، ونذلاً عن نذل ، وزنيا عن زنيم ، اقرأ كتاب « النزاع والتخاصم فيا بين امية وبني هاشم » للمقريزي الذي قال فيه ص ٢٢ : ان امية جد الامويين أنكح زوجته لولده ابي

عمرو في حياته ، وكان يبتني بها ابنه ، وهو يراه ، واقرأ « ابو الشهداء » للعقاد والجزء الرابع من كتاب « الامام علي صوت العدالة الانسانية » لجورج جرداق واقرأ « النصائح الكافيــة » ، وارجع الى كتابنا « المجالس الحسينية » والى مــا كتبناه في هذا الكتاب بعنوان « الشيعة ومعــاوية » و « صلح الحسن واستشهاد الحسين » والى كتاب « الصراع بين الأمويين ومبادىء الاسلام » لنوري جعفر، وغير هذه من كتب التاريخ والسير .

من يصدق ؟!

أوكل الاستعمار الى الحفناوي السفيــاني ، بالمهمات الثلاث التي أشرنا اليهــا فامتثل وأطاع ، وأخرج كتاب السيئات والنزوات ، ولكن لا احــد يصدق لو حدث بما جاء في هذا الكتاب الذي يحمل صاحبه اسم « محمد » .

ومن يصدق ان في القاهرة من يقول : ان ابا سفيان كبير وعظيم ، لانه قاوم دعوة الاسلام والقرآن ، وان له مفاخر وفضائل لا يحصى عديدها ، منها انه قاد جيش الشرك لحرب الرسول في أحد والاحزاب ، ومنهــا انه كان في العير يوم بدر ، وكان له ولدان يقاتلان النبي ، فقتل احدهما ، وأسر الآخر ، ومنهــا انه من المؤلفة قلوبهم ، وان كان فيه من عيب فهو انه لم يعرف كيف يستغل انتصاره على المسلمين يوم أحد !

من يصدق ان في القاهرة من يقول : ان النبي كان يفضل معــاوية على ابي بكر وعمر في المشورة ، وانه امرهما بالرجوع اليه .. بل امرهما .. وامر المسلمين جميعاً ان يحملوا معاوية امرهم ، أي ان يعقدوا له البيعة عليهم من بعد الرسول، لأنه قوي امين !..

من يصدق ان في القاهرة من يقول : ان هنداً التي كانت تحرض على النبي ،

واكلت كبد عمه الحمزة كانت في الجاهلية عظيمة الخطر وفي الاسلام كريمة الخير [1] لأن اباها واخاها قتلا في جيش الشرك الذي حارب الله والرسول يوم بدر !..

من يصدق ان في القاهرة من يقول : ان الحجاج بن يوسف الثقفي هو التقي العادل ، والمصلح الكامل ، وان علي بن ابي طالب ليس اهلا للخلافة ، لأن ابا موسى الأشعري نزعه منها ، وانه السبب في قتل عشرات الآلاف من الصحابة والمسلمين ، وانه لم يقتل كافراً واحداً [2] وانه خرج على امير المؤمنين معاوية الذي كان عالماً زاهداً كعمر بن الخطاب ، وان ولده الحسين يستحق القتل ، لانه مشاغب خائن مجرم خرج على الزاهد العابد امير المؤمنين يزيد ، وان ما فعله يزيد من وقعة الحرة واحراق الكعبة كان من صالح الاعمال وأفضلها ، وان الواجب يحتم عليه ان يفعل اكثر مما فعل ، ولكنه اقتصر على ما كان ، لانه كريم حليم ..

اجل ، ان احداً لا يصدق ان في القاهرة ، وهي حامية للاسلام ، وعاصمة المسلمين ؛ من يقول هذا الكفر والالحاد ، ثم يبقى حياً لحظة واحدة !.. ولكن هذا ما حدث بالفعل ، فقد نطق الحفناوي السفياني بهذا كله ، وكتب ونشر .

---

(١) في كتاب (مثالب بني امية) لاسماعيل بن علي الحنفي ان مسافر بن عمر جامع هندا سفاحا فحملت منه ، وفي اثناء حملها تزوجها ابو سفيان فولدت معاوية بعد ثلاثة اشهر من تاريخ الزواج ، وفي كتاب (ذخيرة الدارين) نقلا عن كتاب الابرار للزمخشري ان معاوية ينسب الى اربعة : عمر بن مسافر ، وعمارة بن الوليد ، والعباس بن عبد المطلب ، ورجل اسود يدعى الصباح .

(٢) قال الحنفاوي هذا في ص ١٤٣ ، وقال قبل ذلك في ص ٧٠ : ان عليا قتل عمرو بن ود يوم الخندق ، وقد وصف الله الكافرين بانهم لا تعمى منهم العيون ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

وليس من غرضنا الرد عليـــه ، كلا ، وألف كلا ، ومن يرد على من يسمي الاشياء بأضدادها ، ويقول راداً على الله والرسول بأن زياد بن سمية هو ابن ابي سفيان حقاً وصدقاً ، ولغـــة وشرعاً ، ويقول عن المجرم : انه الصالح المصلح ، وعن المؤمن : انه الكـــافر الفاجر ، وعن العادل : انه الظالم الآثم ؟!.. وانمـــا غرضنا ان نبين انه يوجد بين المسلمين من يحمل هوية الاسلام والعروبة، ثم يأسف ويتلهف ، ويتمنى لو ان ابا سفيان انتصر على محمد ، وفعل به وبأهله وعياله ما فعله حفيده يزيد بالحسين سبط الرسول ، وعياله يوم الطف ، ومع هذا ، وبرغم هذا لم يعترض احد من شيوخ الازهر ، وحمـــلة الاقلام ، او أي انسان يقول : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، بل على العكس لقد قرظه وأثنى عليه شيوخ يدرسون بكليات الأزهر !.

ان من يقرأ كتاب السفياني الذي قرظه بعض شيوخ الأزهر واساتذة اصول الدين فيه يخرج بحقيقة واحـــدة ، وهي انه لا هدف للحفنـــاوي والغربان الذين أيدوه إلا الطعن بالاسلام ومقدسات الاسلام ، وإلا الترويج للكفر والالحادالذي يعمل له المبشرون أعداء الاسلام والمسلمين ، وتظهر هذه الحقيقة جلية واضحة عند المقارنة بين اقوال الحفناوي واقوال المستشرقين المبشرين .

قال بروكلمان في كتاب « تاريخ الشعوب الاسلامية » ج ١ ص ٥٩ : « ان المكيين عجزوا عن استثمار انتصارهم يوم أحد » وقال الحفناوي ص ٣٧ : « لم يعرف ابو سفيان كيف يستغل انتصاره على المسلمين يوم أحد » وقال بروكلمان ص ١٥٤ : « وأبى الحسين ان يستسلم لعمر بن سعد مبالغاً في اتكاله على الحصانة التي يتمتع بها بوصفه حفيداً لرسول الله » !. وقال الحفناوي ص ١٣٩ : « وأبى الحسين ان يستسلم لعمر بن سعد مبالغـــاً في اتكاله على الحصانة التي يتمتع بهـــا بوصفه حفيداً لرسول الله » ان كلمات المبشرين والمستشرقين هي الأصل والمصدر الأول والأخير لكتاب « ابو سفيـــان شيخ الامويين » فانه من ألفـــه الى يائه

مستورد من الغرب ، حيث الاستعمار والتبشير والعداء للاسلام والمسلمين ، وبهذا يتبين السبب لطعن الحفناوي بالمصادر الاسلامية قديمها وحديثها ، سواء أكان في التاريخ او التفسير او الحديث او التراجم ، لقد شدد الحفناوي على تركها واهمالها لان فيها الحق والصدق والثناء والولاء لعلي وابناء علي ، والشتم والذم للامويين ، ولمن مال اليهم بقول او فعل .

ويتبين ايضاً مدى صدق الحفناوي ، حيث قال في المقدمة ص ٤ : شعاري كشف اللثـــام عن الحقيقة بصرف النظر عن التقليد ... وان الذين حملوا على الامويين قلدوا الشيعة تقليداً أعمى » . اجل ، يا سفياني انك لم تعتمد على القرآن الكريم ، لأنه لعن الامويين بالآية ٦٠ من سورة الاسراء : « والشجرة الملعونـــة في القرآن » ، ولم تعتمد على السنة النبوية ، لأنهـا اعتبرت علياً وأبناءه شركاء للقرآن في الفصل بين الحق والبـاطل ، وانما اعتمدت في افكارك واقوالك على اعداء الله والرسول ، لانك معهم على طريق واحد الى هدف واحد ..

ولا أريد ان انقل هنا ما ذكره اهل الحديث والتاريخ وأصحاب التفاسير في فضل علي وأبنائه ، فقد أطلت الكلام في ذلك بكتاب « اهل البيت » وكتـــاب « علي والقرآن » وكتاب « المجالس الحسينية » وفي كتابي هذا ، غير اني لا أرى ندحة من ذكر كلمة موجزة لمفتي الموصل الشيخ حبيب محمد العبيـــدي ، وهو من كبار علماء السنة في العراق ، قال في كتاب « النواة في حقـــل الحياة » ص ١٠٩ :

« جاء في الحديث الشريف : « واني تارك فيكم الثقلين : اولها كتـــاب الله . فيه الهدى والنور ، فخـــذوا بكتاب الله واستمسكوا به » ، ثم قال : وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي » ، رواه مسلم ، وفيه اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الآخر ، وهو كتـــاب الله ،

حبـل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي لن يفترقـا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، رواه الترمذي ، ولعل في هذا التأكيـد اشارة الى ما حدث بعده لأهل بيته مما كان وصمة على المسلمين ، وطعنـة في صميم الاسلام نجلاء ما يزال يسيل دمها طرياً على مر الايام وكر العصور » .

من هذا المصدر الصحيح والمعين الصافي ، من كتاب الله وسنة الرسول ، من صحيح مسلم والترمـذي والنسائي ، ومن مسند احمد وغيره من الثقـاة يستمد المسلمون دينهم وعقيدتهم واخـلاقهم لا من المستشرق لامنس [1] وجولدتسهير وفيزمار وبروكلمان وغيرهم من المبشرين والكافرين .

وبالتالي ، فنحن لا نخشى على التشيع لآل الرسول من الحفناوي السفيـاني ، ولا من مستشرق الماني او اميركاني ، فقد حاول كثيرون من قبل ان ينالوا منه ، فما ازداد إلا قوة وثباتاً ، وإلا ازدهاراً وانتشاراً ، تماماً كالقرآن الكريم الركيزة الاولى لمذهب التشيع . وآل أمر أمية الى الخزي وسوء الذكر ، لأنها حرب على القرآن وبني الاسلام ، وصدق الله العظيم : « فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » .

الله يقول والحفناوي يقول !

ان الحفناوي يشترط لصحة التاريخ والأخذ به شرطـين أساسيين : الاول ان يتنزه المؤرخ عن التعصب . الثاني ان لا يكون شيعياً محبـاً للنبي وآله ، لأن

(١) مستشرق فرنسي وضع كتابا خاصا لتمجيد يزيد وابيه معاوية نكاية بالاسلام .

محبتهم بدعة وضلالة . ان قلت : كيف تكون بدعة ، وقد قال الله عز من قائل: « قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى[1] .

قلت : ثم ماذا يقول الله ، والحفناوي ايضاً يقول !.. أليس الحفناوي بقادر على تحريك قلبه ولسانه ؟!.. أليس له مصلحة تجارية في ذلك ؟! ألم يقل له الاستعمار افعل هكذا ؟!.. وهذا وحده كاف واف لأن يقول ويكتب وينشر ، ويكذب ويفجر .

وليس من شك انك ستسخر من هـذا المنطق ايها القارىء الكريم الفهم ، ولكن ما الحيلة اذا كان هذا هو منطق الحفناوي ؟!. اقرأ قوله في صفحة ٩ و١٦ وما بعدها ، حيث يقول : كل شيعي فهو كاذب ، بل كل من له ميول شيعيةفهو كاذب ، بل كل سني تتفق اقواله مع شيء من اقوال الشيعة فلا يعتمد عليـه ، فالمسعودي مبتدع محتـال ، لأن الشيعة يعدونه منهم ، اما يزيد بن معاوية فهو الزاهد العابد ، ومروان بن الحكم يؤخذ بفتواه ، وولده عبد الملك يعمل بقضائه كما زعم الحفناوي[2] اما ابن قتيبة والأصفهاني والجاحظ وابن عبد ربه وغيرهم فانهم لم يكتبوا للتاريـخ بل للخبط والخلط ، اما الواقـدي والطـبري فقولهما

---

(١) قال الحفناوي في صفحة ٢٧٢ : نزلت هذه الاية في جميع قريش ، واقرب قريش الى النبي ابو سفيان ، فهي اظهر ما تكون في ابي سفيان ، اي ان ابا سفيان اقرب الى النبي من علي وفاطمة والحسن والحسين .

(٢) قال المقريزي في (النزاع والتخاصم) ص ١٧ : « قال عبد الملك بن مروان على المنبر: مـا انا بالخليفة المستضعف ، ولا بالخليفة المداهن ، ولا بالخليفة المأفون » والاول عنده عثمان ، والثاني معاوية ، والثالث يزيد واذا وجب الاخذ بحكم مروان وقضائه فيجب ان نحكم عليهم بحكم عبد الملك ، مع ان الحفناوي يوالي الجميع ، ويؤمن باللاعن والملعون .

متروك ، لأن المستشرق بروكلمان لم يوثقهما . هـذا بعض ما جاء في كتـاب (شيخ الامويين) .

واذا كان يزيد الذي قتل الحسين ، وحرق الكعبة ، وأباح مدينة الرسول ، ونكح الامهات والبنات والاخوات وشرب الخمر وترك الصلاة، كما قال الصحابي عبدالله بن حنظلة ، اذا كان يزيد زاهداً فجميع الأولياء الصالحـين ، والشهداء والصديقـين كفرة فجرة ، وليس خصوص الشيعة ، ولا من كانت له ميول شيعية فحسب .

ان الكذاب من كذب الاحاديث الثابتـة الصحيحة ، وصدق الاخبـار المكذوبة، وزعم ان النبي قال : الامناء ثلاثة : جبريل وأنا ومعاوية ، وان جبريل قال للنبي : يا محمد اقرأ معاوية السلام ، واستوصي به خيراً ، وانه دعا لهنـد بالبركة ، وكذب أئمة المسلمين والثقاة من رواتهم ومؤرخيهم ونسب زياد بن سمية الى ابي سفيـان .. ان الكذاب من قال . ان علي بن ابي طالب لم يقتل كافراً واحداً ، وان الامة الاسلامية لولا معاوية لم تقم لها قائمة ، ولرجع العرب الى الجاهلية الاولى .. ان الكذاب من قال : ان النبي كان يحتمي في دار ابي سفيان من أذى المشركين . وان آية المودة تشمل ابا سفيان ، لأنه أقرب الناس الى النبي ، ولا تشمل علياً وفاطمة والحسن والحسين .

ومهما يكن ، فليست هذه هي المرة الاولى التي تقرأ فيها الزور والبهتان على الشيعة ، فلقد عودنا بعض الكتـاب المستأجرين من المستعمرين والوهـابيين على شحناتهم واسوائهم التي استفاد منها اعداء الاسلام والمسلمين ، ولم تضر الشيعة شيئاً ، ولكن الشيء الجديد هو هذا الكذب الصراح على الله والرسول ،وتحريف آي الذكر الحكيم ، والدس في سنة الرسول العظيم ..

وليس من شك ان سكوت شيوخ الازهر ، ومن اليهم من رجالات المسلمين

سكوتهم عن الجبهان ومحب الدين الخطيب ومجلة التمدن الاسلامي وغيرهـا ممن كتب ونشر ، وحمل وتحامل على الشيعة والتشيع لآل الرسول قد أدى كنتيجة طبيعية الى الكذب والافتراء على الله وآياته ، والنبي وعترته ، والاسلام وحماته ، نقول هذا مع احترامنا وتقديرنا لجهود الاستاذ الاكبر الشيخ شلتوت ، والشيخ المدني في سبيل التقريب ، ولكن ماذا يصنع الاثنان والعشرة اذا رضي وسكت الالوف .

كنا نقرأ تلك الحملات والتحاملات ، ونقول : انها عقلية قديمة ستتغير وتزول مع الايام ، ولكن كلما امتد الزمن كلما ازدادت وتراكمت ، فهل نلام بعد هذا اذا يئسنا وفقدنا الثقة بالكبير والصغير ؟! هل نلام اذا دافعنا عن انفسنا ، ووقفنا في وجه من يعمل لمصلحة الاجنبي الغاصب ؟!.. أليس من المحزن المؤلم ، ونحن ابناء الدين الواحد ، ان يهاجم بعضنا بعضاً لا لشيء إلا لنقع جميعاً في قبضة الاستعمار والاستثمار ، والا لنلهو بأنفسنا عن حقنا المغصوب ، وننصرف عن ادوائنا ومشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية !.. نحن لا نتهجم على دين من الاديان ولا على مذهب من المذاهب ، ولا على امة من الامم ، ولا على احد كائناً من كان ، وفي الوقت نفسه لا نريد ان يتهجم علينا احد ، فاذا ما حاول فنحن له بالمرصاد .

ونختم هذا الفصل بقول الرسول الاعظم : « يا علي لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق »[1] فالنفاق سبب لبغض علي وعداوته ، كما ان الايمان سبب

---

(١) قال العلامة الحلي الذي يعبر عنه الحنفاوي بطاغوت التشيع ، قال رحمه الله في كتاب « نهج الحق » هذا الحديث مذكور في مسند احمد ، وفي الجمع بين الصحيحين وفي الجمع بين الصحاح الستة ، وقال الفضل بن زربهان الذي يرد على العلامة في كتابه « ابطال الباطل »: هذا الحديث صحيح لا شك فيه ، والحمد لله الذي جعلنا من اهل محبة علي وملأ قلوبنا من صفو مودته » .

لحبه وولايته، ومحال ان يتفق النفاق والايمان إلا اذا صار المنافق مؤمناً ،والمؤمن منافقاً ، ونحن الشيعة لا نترك الإيمان بالله والرسول ، والعمل بالحق لوجـــه الحق مهما كانت الظروف والاحوال ، ومن اجـل هذا وحده لا يتركنـــا العملاء المنافقون . وصدق الله وعده : (لن يضروكم إلا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) .

يوم الغدير*

•

ما حاول احد الكلام عن الامام علي (ع) إلا تهيب تلك العظمة التي تخرس ألسنة البلغاء ، وتبهر عقول العظماء ، عظمة ، اساسها العلم والعـــدل ، لا الثراء والمناصب ، وبناؤها الاخلاص والجهاد ، لا الأنساب والأمجاد ، عظمة طوت تحت جناحيها كل كبير وعظيم ، لسانها الهدى والنور ، وسنانها العذاب الاكبر على الفوضى والفساد والنفاق ، عظمة رفعت للاسلام رايات ، ورايات، ودفعت عنه الآفات والشبهات ، وكشفت عن وجه الرسول الاعظم (ص) النكبـــات والكربات ، وشهد لها الله والنبي والاصحاب والتابعون ، والناس اجمعين من كل مذهب ودين .

وبعد ، فماذا يقول من يريد الكلام عن علي بن ابي طالب ، واذا تجرأ ، فعن أي جانب يتحدث من جوانب عظمته التي لا يبلغها الاحصاء؟!.. واذا اختار

---

(١) اذيعت من محطة الاذاعة اللبنانية في ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٨٠ بمناسبة عيد الغدير ، وذلك في الحفل الذي اقامته لهذه الغاية هيئة النضال الاجتماعي ببيروت ، وهذه هي المرة الاولى التي تذاع فيها حفلة الغدير من المحطة اللبنانية .

جانباً منها فانه يضع نفسه في موقف مشكل وحرج بأعلى درجات الاشكال والحرج ، تماماً كالذي يسير على صراط أدق من الشعرة ، وأحد من السيف ، قال النظام : ان علي بن ابي طالب محنة على المتكلم ، ان وفاه حقه غلا ، وان بخسه حقه أساء ، والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن حادة الشأن ، صعبة المرتقى .

ولم تقف هذه الدقة والصعوبة عند عظمته ، وتحديد منزلته ، بل تعدتها الى اعتقاد الناس به ومعاملتهم له دينياً وسياسياً ، اما الدقة والصعوبة في موقف الناس منه سياسياً فقد بينّها الشعبي بقوله: ما ندري ما نصنع بعلي بن ابي طالب؟! ان احببناه افتقرنا ، وان ابغضناه كفرنا ، يشير بالفقر الى مطاردة السلطان لمحبيه ومريديه ، اما الحرج في الموقف الديني فقد اوضحه الامام، حيث قال : سيهلك في صنفان : محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق ، وخير الناس في حالا النمط الاوسط .

وان دل هذا على شيء ، فانما يدل على ان عظمة الامام ليست من النوع المألوف لدى الناس لأن الحديث عن المعروف لا بخس فيه ولا مغالاة . فعظمة الامام اذن ، من نوع آخر ترتفع عن عظمة المخلوق ، ولا تصعد الى عظمة الخالق .

ومن هنا كانت الدقة والصعوبة التي اشار اليها النظام .

وتجنباً لهذا المأزق الحرج ، وخوفاً من الافراط او التفريط نصرف الحديث عن عظمته الى الحديث عن بعض آثاره وكلماته التي حدد فيها مقاييس الحق ، واحكام العدل بما يتفق مع بساطة الفطرة ودقة العلم .

الوطن :

قال في تحديد الوطن : « ليس بلد بأحق بك من بلد ، خير البلاد ما حملك »

فكل بلد هو وطن لكل فرد ، ينبغي ان يعمل لانعاشة ، وتحقيق العدالة فيه ، وليس خير البلاد وافضلها بلداً ولدت فيه ، وضم اجدادك وآباءك ، بل افضلها ما يقدم لك اسباب الحياة من العيش والامن ، والحرية والكرامة ، وهذا ما شهدناه ، ولمسناه من وفاء المهاجرين لموطن هجرتهم الذي وجدوا فيه هذه الاسباب كافية وافية .

القريب :

وقال في تحديد القرابة : « القريب من قربته الاخلاق » اي ان القرابة ليست مشاركة في النسب والرحم فقط ، فالناس كلهم من آدم ، وآدم من تراب ، ان القرابة بمعناها الصحيح هي النصيحة والوفاء ، والحب والاخلاص ، والرأفة والصدق ، فأخوك أبعد الناس عنك اذا خانك وخذلك ، والبعيد نسباً أقرب الناس اليك اذا أخلف لك ، وضحى في سبيلك ، وهذا ما أراده الامام بقوله : « رب قريب أبعد من بعيد ، ورب بعيد أقرب من قريب » .

الخلق الحسن :

وقال في تحديد الخلق الحسن : « حسن الخلق في تجنب الحرام ، وطلب الحلال » لقد ربط الامام أخلاق الفرد بالقيم الاجتماعية ، والنظام الشامل للناس اجمعين ، وهذا هو عين الحق ، وعلم اليقين ، فما دام الفرد لا يستقل عن المجتمع في شيء من تصرفاته ، فمن الخطأ ان نقيس اخلاقه بشخصيته الفردية ، ونتجاهل شخصيته الاجتماعية ، ونقول لمن يحسن استقبال زائريه ، ويبتسم لجلسائه : انه متواضع ، ولمن صدق في بعض اقواله انه صادق ، ولمن وفى ديناً من ديونه : انه وفي ، كلا والف كلا ، بل علينا اولا ، وقبل الحكم على أي فرد ان ندخل في حسابنا الرابطة الجماعية بين تصرفاته ، وبين غيره ، فان اساء الى احد من

النـــاس فلا ينبغي عده من بني الانسان ، وان هش وبش ، وأظهر الاخلاص والايمان . وإنا نسيء الى أنفسنا ، والى الانسانية والعلم والدين والاخـــلاق إذا نسبنا شيئاً من مكارم الاخلاق الى من يسيء الى احد من الناس .

وسائل الانتاج :

ومن تعاليمه في عهده لمالك الاشتر الذي يصلح دستوراً لكل دولة تريـــد الحياة لها وللشعب ، فلقد أوصى الاشتر بعمارة الارض ، والعناية بالتجار والعمال وأرباب الصنائع ، وقال : انهم مواد المنافع ، واسباب المرافق ، وهذا ما يسمى بلغة العصر الاهتمام بوسائل الانتاج التي تنظم من اجلهـــا المشاريع ، كمشروع السنوات الخمس والسبع او العشر لانتاج البضائع الاستهلاكية ، واعطـــاء القوة الشرائية لكل فرد .

قصة الغدير :

وبعد هـــذا التمهيد نشير الى قصة الغدير ، والنص على علي امير المؤمنـــين بالخلافة ، مع العلم بانها حق طبيعي له ، سواء أوجد النص عليه ، او لم يوجد ، لان بالحق تقاس الرجال ، وتعرف ، ولا يعرف الحق بالرجال ، وقـــد عرفت الاجيال علياً بأوصافه التي تعينه لخلافة الرسول وتفضله على الجميع ، ومن هنا من اوصاف علي وفضائله وولايته تبتدىء قصة الغدير وعيد الغدير ، ولولاها لم يكن للغدير وعيده عين ولا اثر .

وأي يوم أحق وأولى ببهجة العيد من يوم أكمل الله فيه الدين، وأتم نعمته على المسلمين بولاية علي امير المؤمنين ؟! أي يوم أكرم وأحب الى الله من هذا اليوم الذي قال الله فيه وعنه: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الاسلام ديناً » ؟! .

في هذا اليوم بالذات ، وهو يوم الغدير نزلت هذه الآية الكريمة ، آية اكمال الدين واتمام النعمة ، في هذا اليوم ، وباتفاق المفسرين جميعاً ، وقف النبي (ص) في غدير خم ، وهو في طريق عودته من حجة الوداع ، وذلك في الثامن عشر من ذي الحجة ، أي في مثل هذا اليوم ، وقف في جموع المسلمين ، وقال : – بعد ان أخذ بيد علي ورفعها – ايها الناس ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا : بلى. قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، واحبب من احبه ، وابغض من بغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وادر الحق معه حيث دار ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب » .

وقبل ان يتفرق الناس نزل جبريل بقول الله : (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) فقال رسول الله : الله اكبر على اكمال الدين ، واتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتي ، والولاية لعلي من بعدي ، ثم طفق الاصحاب يهنئون الامام ، وفي مقدمتهم الشيخان ابو بكر وعمر ، وكل يقول : بخ بخ لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

ورب قائل يقول : ان معنى (اليوم أكملت لكم دينكم) هو اكمال الشريعة الاسلامية ببيان جميع الاحكام من العبادات والاحوال الشخصية والعقوبات ، والعقود والموجبات والحلال والحرام ، ولم يبق أي داع للتشريع وسن القوانين.

الجواب :

اولاً : ان هناك آيات للاحكام نزلت بعد آية (اليوم اكملت لكم دينكم) كآية الكلالة المتعلقة بالميراث ، وآية الربا ، فقد جاء في صحيح البخاري ان آخر آية نزلت على النبي هي آية الربا .

ثانياً : ان الكمال والاكمال في الحكومة الدينية والزمنية انما يتم ويتحقق بالسلطتين معاً التشريعية والتنفيذية ، والسلطة الاولى وحدها ليست بشيء ما لم تدعم بالسلطة الثانية ، وقد كان التنفيذ بيد الرسول الأعظم ، فظن الكفار ان السلطة التنفيذية ستذهب بذهاب الرسول، وعندها لا يبقى للاسلام عين ولا اثر، فأقام الرسول علياً مقامه ، ليحفظ الشريعة من بعده ، ويدبر الامور ، ويرشد الامة الى الخير، أقامه ليفهم الناس ان « ذو الفقار » سيبقى كما كان رحمة للمطيعين ونقمة على العاصين .

وبهذا العمل : بنصب علي خليفة بعده يئس الكفار من الاسلام ، ولم يعد لهم أي أمل في ذهابه واضعافه بعد ان تحول من التشريع الى التنفيذ ، من الاقوال الى الاعمال على يد عادل حازم

وقد اتفق السنة والشيعة على صحة حديث الولاية ، وقول الرسول : (من كنت مولاه فعلي مولاه) لانه تجاوز حد التواتر بعد ان رواه مئة وعشرة من الاصحاب ، وأربعة وثمانون من التابعين ، وبعد ان ذكره الامام احمد في مسنده والامام النسائي في خصائصه ، والحاكم في مستدركه ، والخوارزمي في مناقبه ، وابن عبد البر في استيعابه ، والعسقلاني في اصابته ، كما ذكره الترمذي وابن جرير والذهبي وغيرهم ، والذين لم يجدوا ندحة لانكار الحديث صرفوا الكلام والنقد عن سنده الى الكلام عن متنه وقالوا : ان النبي أثبت الولاية لعلي من غير شك ، ولكنه أراد منها الحب والمودة ، لا الخلافة والامامة ..

ونقول في الجواب ان قول النبي : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، يدل بصراحة ووضوح على ان نفس ولاية النبي الدينية والزمنية على المؤمنين هي بعينها وحقيقتها قد جعلها النبي لعلي بعده دون زيادة او نقصان ، ولا شيء سوى ذلك ، حتى ولو كان للفظ المولى ألف معنى ومعنى

لغوي ، لا عشرون معنى كما قيل ، هذا هو المتعين من سوق الكلام والملابسات التي رافقت حديث الغدير اولا وآخراً .

هذا الى ان تهنئة الخليفة لعلي تنفي ارادة الحب والمودة وتعين ارادة الخلافة والامامة ، وأي عاقل يهنىء غيره بحبه له !!

وقد أطال الامامية ، واطنبوا الكلام والاخذ والرد في دلالة هـذا الحديث وغيره ، واستخراج المعاني من النصوص على امامة علي امير المؤمنين ، وملأوا كتب العقائد والمناقب والتفسير ، بل وضعوا مؤلفات خاصة بذلك ، كالاحتجاج للمفيد ، والشافي للمرتضى ، والاعيان للامين ، والمراجعـات لشرف الدين ، والغدير للاميني ، وقد بلغ هذا الكتاب اثني عشر مجلداً ضخماً .

هذا ، وان الامامية يوالون علياً ولاء دين وعقيدة ويؤمنون بأنه أحق وأولى بالخلافة ، لانه لم يطلبها للرزق ، ولا للجاه ، ولا لأيه غاية من غايات الدنيـا ، فقد كانت نفسه اقوى من شهوة الحكم ، وفتنة السلطان ، وكانت الدنيا في نظره أشبه برماد تذروه الرياح في يوم عاصف ، قال ابن عباس : كانت الدنيا أهون على علي من شسع نعله ، وكانت نعله من ليف لا تساوي كسر درهم ، وقال ابن عباس ايضاً : دخلت على امير المؤمنين ، وهو خليفة ، فوجـدته يصلح نعله ، فقلت : ماذا تصنع ؟! دعنا من هذا.. فلم يكلمني ، حتى فرغ ، ثم ضمها، وقال: قومها . قلت : لا قيمة لها ، قال : قومها على ذلـك ، قلت : كسر درهم . قال : والله لهي أحب إلي من امركم هذا إلا ان اقيم حقاً او ادفع باطـلا ، ومن كانت الدنيا عنده لا تساوي شسع نعله فما أحراه وأولاه بالخـلافة ، بل ما أولى بأن تكون الدنيا بكاملها حذاء لرجله .

ولم تكن اقوال علي مجرد افكار ونظريات ، بل كانت نبضاً في اعمـاق قلبه

الكبير ، يتمرس بها ، ويحياها ، ولو جرت عليه الكوارث والخطوب ، كما حدث ذلك بالفعل .

وبالتالي ، فان علياً لم يكن رجل المسلمين وكفى ، ولا رجل العرب ، ولا رجل الشرق ، بل رجل الدنيا بكاملها ، والانسانية بمعناها الشامل ، فاذا ما احتفلنا بيومه هذا ، فاننا نحتفل بالمبادىء والمثل العليا ، نحتفل بعظمة الدين والعلم وعظمة الاخلاص والتضحية ، وعظمة البطولة والشجاعة ، نحتفل باكمال الدين واتمام النعمة ، وانتشار الاسلام في الشرق والغرب .



الفهرس

●